الأمير

مسلمة بن عبد الملك بن مروان

٦٣ هـ — ١٢١هـ

٦٨٢م — ٧٣٩م

تأليف
الدكتور عوّاد مجيد الأعظمي
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بغداد ـ ١٩٨٠

منشورات
اتحاد المؤرخين العرب


محمد خطاب



الأمير

مسلمة بن عبد الملك بن مروان


MOHAMED KHATAB



المقدمة

إذا كان حقاً لنا أن نفتخر بقاهر الصحراء القاحلة الجرداء وبطل معركة اليرموك الفاصلة مع الروم ـ خالد بن الوليد ... فإنما يحق لنا ـ في الوقت نفسه ـ أن نشيد ونعتز بقاهر الجبال والوديان ، ومدك قلاع الروم وحصونهم ـ مسلمة بن عبد الملك بن مروان ...

وإذا كان خالد بن الوليد قد رفع راية العروبة والإسلام فـــوق أرض الشام ، وحررها من طغاة الروم ، فإن مسلمة بن عبد الملك قد رفع أيضاً راية العروبة والإسلام فوق أرض الروم نفسها ...

وإذا كان خالد بن الوليد لم يخسر معركة واحدة مع الأعـــداء فإن مسلمة بن عبد الملك كان كذلك أيضاً ...

وقد شاء القدر أن كلا منهما لم يستشهد في ساحة الشرف ، وإن كلا منهما قد لفظ أنفاسه الأخيرة على فراش الموت ...

فما أروع أن يلتقي خالد ومسلمة في صورة واحدة ومصير واحد ...

وإني إذ اخترت خالد بن الوليد من بين العديد من أبطال العرب والمسلمين وقوادهم لكي أقرنه بمسلمة بن عبد الملك ، ذلك لأني وجدت

في مسلمة من الخصائص والسمات ما يلتقي بهما مع خالد ، ولأضفي على مسلمة الشهرة والسمعة اللتين نالهما خالد في التاريخ العربي الإسلامي قديماً وحديثاً . وليس بعيداً إن كانت لمسلمة شهرة خالد وسمعته في ظل الحكم الأموي ، ولكن ليست له من الشهرة والسمعة في تاريخنا العربي الإسلامي الحديث ...

أجل لقد خدم خالد بن الوليد دولة الرسول الأعظم (ص) ، ودولة الراشدين في مطلعها بكل وفاء وإخلاص ، ورد عنها كيد الأعداء والمرتدين ، هدفه توطيد أركان العروبة والإسلام ...

وخدم مسلمة بن عبد الملك دولة الأمويين بكل وفاء وإخلاص ، فهو رغم انتمائه العائلي إليها ، ولكنه كان فوق الشبهات والمطامع والأهواء والصراعات التي كانت تعصف بالخلافة الأموية .. هدفه توطيد أركان الدولة ، ورد كيد الأعداء عنها ، وترسيخ قواعد العروبة والإسلام فيها ....

أجل خدم مسلمة بن عبد الملك دولة بني أمية في فترة من أوج فترات تاريخها ، وخلال حكم ستة من خلفائها ، وهم حسب التسلسل التاريخي : عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، وسليمان ابن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام ابن عبد الملك ، حيث مات مسلمة في خلافة هذا الأخير في عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ...

وإني في الواقع إذ أقدم هذه الدراسة الدقيقة والمفصلة عن حياة مسلمة بن عبد الملك ونشاطاته وأعماله في مختلف نواحي الحياة ، إن هي في الحقيقة إلا تجسيد كامل انعكس عليه تاريخ فترة أموية في ظل

حكم ستة من خلفائها تجلت في مختلف نواحي الحياة العسكرية والإدارية والإقتصادية والسياسية والفكرية والأدبية ، تلاحم مسلمة في كل جوانبها وتلاحمت هي فيه ، فأنتجت نسيجاً تاريخياً موحداً لفترة من فترات تاريخ أمتنا العربية والإسلامية ....

وقد جاءت الدراسة مكونة من سبعة فصول ، وهي بمجموعها تشكل فصلا واحداً متداخلا في حياة مسلمة وأعماله ونشاطاته في مختلف مجالات الحياة العسكرية والإدارية والإقتصادية والسياسية والفكرية.

وإني لا أريد في هذه المقدمة الموجزة أن أعرض ما ورد في كل فصل من فصول هذا الكتاب كما هو مألوف ، ولعل في قراءة الفهرس أو المحتويات ما يغني عن ذلك .... واترك للقارىء الكريم أن يقرأ كل فصل بنفسه ويخرج بما يستطيع أن يخرج به من حصائل ونتائج تعطي هذا الرجل قيمته ومنزلته في التاريخ العربي الإسلامي ...

ولكن أود أن أشير هنا مقدماً إلى ثلاث مسائل قد تشكل محور نقاش في حياة مسلمة أوجزها بما يأتي :

١ ـ مسألة كون مسلمة رجل اقطاع وثروة :

أجل قد كان مسلمة كذلك ، ولكن أملاكه الواسعة وثرواته الطائلة لم تكن ملك نفسه بقدر ما كانت ملك الدولة والمجتمع فقد وظف مسلمة معظم ثرواته في تقديم الخدمات وعلى مختلف المستويات الفكرية والأدبية والدينية والسياسية والعمرانية والزراعية ...

٢ ـ مسألة كون مسلمة ابن امة :

إن هذه المسألة قد صورتها بعض المصادر الأولية وبعض المراجع

الثانوية ، بأنها كانت حائلا دون وصول مسلمة إلى منصب الخلافة ..

وقد عالجت هذه المسألة بكل دقة وتركيز من خلال الفصل الرابع ، وقد خرجت أن هذا التصور لم يكن حقيقياً ولا منسجماً سواء كان ذلك على الصعيد النظري أو على الصعيد الواقعي ... وإن ظروفاً سياسية موضوعية بعضها كان يخص مسلمة نفسه ، وبعضها الآخر كان يخص الواقع السياسي الذي كان يقرر مسألة الوصول إلى منصب الخلافة .

٣ ـ مسألة لقب « الجرادة الصفراء » :

هذا اللقب الذي نعت به مسلمة من قبل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أثناء حربه إياه في عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في واقعة عقر ، والتي انتصر فيها مسلمة على يزيد ....

وقد ناقشت هذا اللقب من خلال الفصل الثاني من جميع جوانبه وأبعاده ومصادره ومعانيه بكل دقة وتفصيل ، وخرجت أن يزيد بن المهلب كان أحق بأن ينعت بهذا اللقب من مسلمة حقاً وحقيقة ...

بقي لي أن أقول أن لي عودة أخرى إلى مسلمة في حصاره الكبير لمدينة القسطنطينية ، هذا الحصار الذي دام عاماً كاملا ما بين ٩٨ هـ - ٩٩ هـ / ٧١٦ م - ٧١٧ م ، والذي سوف نخصص له دراسة مستقلة ان شاء الله ...

د٠ عواد الاعظمي

بغداد ـ ١٩٨٠





الفهـــرس

الفصل الثالث

مسلمة بن عبد الملك

مواهبه ـ صفاته ـ مواقفه

صفحة

الفصل الرابع

مسلمة بن عبد الملك

ودوره في المجال السياسي

الفصل الخامس

مسلمة بن عبد الملك

ودوره في المجالين المالي والاقتصادي

صفحة

الفصل السابع

مسلمة بن عبد الملك

ودوره في المجال العسكري



الفصل الأول

عبد الملك بن مروان وبنوه

١ ـ أولاد عبد الملك بن مروان وزوجاته :

٢ ـ عبد الملك بن مروان ورعاية أبناءه :

٣ ـ بعض من صفات مسلمة وخصائصه في حياة والده


MOHAMED KHATAB



الفصل الأول

١ ـ اولاد عبد الملك بن مروان وزوجاته :

تزوج عبد الملك بن مروان [١] نساء عديدات ، منهن حرائر عربيات [٢] ، ومنهن جوار اماء ، .. وقد أنجب منهن جميعاً

---

(١) خلافته : ٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م ٠

(٢) واسماؤهن كما يأتي : ـ

أ ـ ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة ٠ وهي أم الوليد ، وسليمان ، ومروان الاكبر ٠٠٠

ب ـ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ٠ وهي ام يزيد ، ومروان الاصغر ، ومعاوية ٠٠٠

حـ ـ ام هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ٠ وهي ام هشام ٠٠ وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام ٠

د ـ عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبد الله ، وهي ام ابو بكر (بكار) ٠

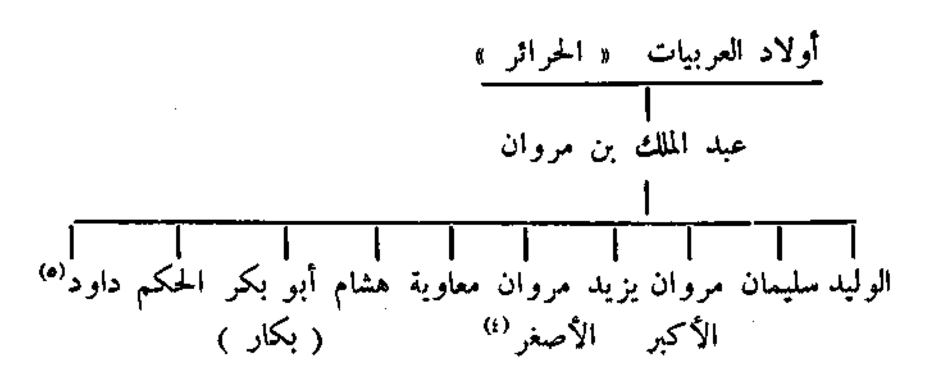
هـ ـ ام ايوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، وهي أم الحكم ٠٠

و ـ ترد اشارة في بعض المصادر الاولية ، ان عبد الملك مروان تزوج ابنة لعلي بن ابي طالب ٠ وتزوج ام ابيها بنت عبد الله بن جعفر فطلقها ٠٠٠

انظر بهذا الخصوص : البلاذري ، انساب الاشراف ، مخطوطة بعناية غريفزولد ١٨٨٣ ، جـ ١١ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

وانظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الحسينية القاهرة، جـ ٨ ، ص ٥٧ ٠

ثمانية عشر ولداً ذكراً غير الإناث [٣] ، ندرج أسماء الذكور منهم في الشجرتين الآتيتين : ـ



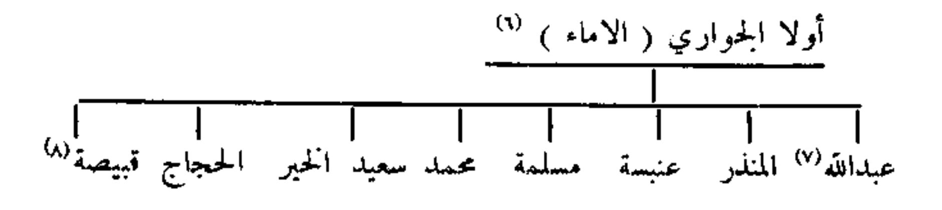
(٣) يذكر اليعقوبي : ان عبد الملك بن مروان خلف اربعة عشر من الولد الذكور وهم :

الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، ومروان ، وهشام ، وبكار ، وعبد الله ، ومسلمة ، ومعاوية ، ومحمد ، والحجاج ، وسعيد ، والمنذر وعنبسة ٠٠٠

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، النجف ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦ ٠

(٤) لا يذكر الطبري اسم « الاصغر » ، وانما يرد هذا الاسم في البلاذري انساب الاشراف ، المصدر السابق ، مخطوطة ، جـ ١١ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

(٥) لا يذكر الطبري اسم « داود » ، وانما يرد اسمه في البلاذري ، انساب الاشراف ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ، ولم يرد اسم امه ٠



٢ ـ عبد الملك بن مروان ورعاية اولاده :

تميزت شخصية عبد الملك بن مروان قبل توليه منصب الخلافة وبعدها ، بالتقوى والورع ، والإهتمام الكبير بالقرآن والسنة ، كما

---

(٦) لا تذكر المصادر المتوفرة لدينا اسماء امهاتهم ، وبصورة خاصة لم نعثر على اسم « ام مسلمة » اواصلها ٠٠ ومن المرجح ان ام مسلمة فارسية الاصل ، وذلك اذا ما اخذنا بقول ينسب الـــى عبد الملك ، ورأيه في اتخاذ الجواري : قال عبد الملك : « من اراد ان يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية، ومن اراد ان يتخذها للولد فليتخذها فارسية ، ومن اراد ان يتخذها للخدمة فليتخذها رومية » ٠٠٠

انظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ط ٢،القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٢٢١٠ ونعم الولد كان مسلمة لابيه ، حيث رعاه خاصة ، كما سنلاحظ من خلال هذه الدراسة ٠

(٧) انظر ورود اسمائهم في :

البلاذري ، انساب الاشراف ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

والطبري ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٥٧ ٠

(٨) لا يذكر الطبري اسم « قبيصة » ، وقــد ورد اسمه فــي البلاذري ، انساب الاشراف ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

عرف عنه سعة العلم والمعرفة باللغة والأدب ، والشعر والفصاحة والمنطق [٩] .

وقد بذل عبد الملك بن مروان جهده لأن يعكس هذه الصورة التي تميزت بها شخصيته على أولاده ، وقد تجلى ذلك بكل وضوح من خلال سلوكه معهم ، سواء كان ذلك من تعيينه مؤدباً خاصاً بهم ، أو مما كان يقدمه لهم من وصايا وإرشادات أثناء حياته وحتى قبيل وفاته ... فكان منهم من سار على هديها وتحلى بها ، وكان منهم من أصابه الإنحراف والزلل [١٠] ... ولسنا هنا بصدد تبيان خصائص كل ولد

---

(٩) راجع التفاصيل بهذا الخصوص :

د . عبد الامير عبد حسين دكسن ، الخلافة الاموية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٩ ــ ٤٥ ... و د . محمد ضياء الدين الريس ، عبد الملك بن مروان ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ... وعمر ابو النصر ، عبد الملك بن مروان ، بيروت ، ١٩٦٢ ..

(١٠) نذكر الان بعضا من ذلك على سبيل المثال :

كان عبد الملك بن مروان فصيحا ، يعيب اللحن في اللغة ، ويروى عنه قوله : « اللحن في الكلام اقبح من التفتيق في الثوب النفيس » .

انظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٥٨ ... وقد ظهر هذا التأثير عند مسلمة حيث يروى عنه قوله : «اللحن في الكلام اقبح من الجدري في الوجه » ..

انظر : نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ..

ويروى عن مسلمة قوله ايضا : « اني لاحب ان أسأل هذا الشيخ ــ يعني عمر بن مسلم ــ فيما يمنعني منه الا لحنه » ...

انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٩ ..
هذا ، بينما عرف عن الوليد بن عبد الملك ــ الذي تولى الخلافة بعد والده ــ بكثرة لحنه في اللغة ، يشير الى ذلك الجاحظ ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ، حيث يقول : « وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين،ولم يكن =

من أولاد عبد الملك وصفاته ، سواء كان من تولى منهم منصب الخلافة أو من تولى منهم منصب الإمارة وقيادة الجيوش ...

وسوف نركز حديثنا هنا على مواقف عبد الملك بن مروان ومدى رعايته ونظرته لأولاده بصورة عامة ، ثم نقدم – بعد ذلك – صوراً من بعض مواقفه تجاه إبنه مسلمة موضوع بحثنا ودراستنا – ...

تذكر الروايات والنصوص التاريخية ، أن عبد الملك بن مروان أولى عناية كبيرة ، واهتماماً بالغاً بتربية أولاده تربية صالحة قويمة ، وكان لا يميز بين واحد وآخر من أبنائه ، سواء كان ابن حرة أو ابن أمة ...

فقد عين عبد الملك لهم مؤدباً خاصاً يدعى « إسماعيل بن مهاجر » وكان يحثه على تأديب أولاده وتعليمهم أصول الدين ، وارتشاف معالم العلم والأدب ، والشعر واللغة ، والتحلي بمكارم الأخلاق وقول الصدق وصلة الأرحام .. قال عبد الملك لإسماعيل مؤدب ولده : «علم بني الصدق ، حتى إن قتل أحدهم قتيلا اعترف به على نفسه » كما قال له وهو يؤدب مسلمة ، ويزيد وعنبسة : « علم بني القرآن ، وخذهم بمكارم الأخلاق ، وحثهم على صلة الارحام ، ووقرهم في الملأ ، واخفهم في السر ، فإن الأدب أملك بالغلام من الحسب ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ، ولا تخرجهم من عام إلى علم حتى يفهموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم » [11] .

= في ولده افصح من هشام ومسلمة ...»... كما عرف عن عبد الملك بن مروان ، انه كان بعيدا عن مجالس الشرب والغناء ، وهذا عكس ما ذكر عن ابنه يزيد الذي تولى الخلافة : ١٠١ ـ ١٠٥ هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤ م ...

(١١) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١، ص ١٩٦ .

هكذا كان عبد الملك يرسم الطريق أمام مؤدب أولاده ، ويضع الخطوط العامة له في التربية والتعليم . وكان حريصاً كل الحرص في حسن اختيار معلم أولاده وتوجيهه . قال يوماً لمعلم ولده : « إني قد اخترتك لتأديب ولدي ، وجعلتك عيني عليهم وأميني ، فاجتهد في تأديبهم ، ونصيحتي فيما أستنصحك فيه من أمرهم . علمهم كتاب الله — عز وجل — حتى يحفظوه ، وفقهم على ما بين الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه ، وخذهم من الأخلاق بأحسنها ، ومن الآداب بأجمعها ، وروهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أصدقه ، وجنبهم محادثة النساء ، ومجالسة الأظناء ومخالطة السفهاء ، وخوفهم وأدبهم دوني ، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ... وأنا أسأل الله تسديدك وتوفيقك»[١٢] .

هكذا كان موقف عبد الملك بن مروان من مؤدب أولاده ...

ترى كيف كان موقفه هو نفسه من أولاده .... ؟؟ ..

كان عبد الملك بن مروان يكن لأولاده شعوراً مليئاً بالحب العميق وهذا ما كان يفصح به هو عن نفسه . فقد روي عنه أبيات من الشعر أعطى في كل بيت صفة كل منهم ومبلغ حبه لهم ..

قال عبد الملك في بنيه :

يزيد زيادة الرحمن فينا ... وصاحب عروة الأمر الشديد
ومروان الصفي صفي نفسي ... شبيه النفس مني والخدود

---

(١٢) انظر : نفسه ، جـ ١١ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ، ومحمد ضياء الدين الريس ، عبد الملك بن مروان والدولة الاموية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠

وعبد الله صاحب كل حرب وغزو تحت أبدان الحديد
فقد علقت حبهم جميعاً على أن الخلافة للوليد
سليمان الشعار شعار قلبي أحب إلي من ذوب الشهود
ورأيي في هشام أن فيه حياة للجنود وللوفود [١٣]

وتبرز مواقف عبد الملك بن مروان تجاه أبنائه وذلك من خلال سلوكه الشخصي معهم ، والذي كان يتجلى بشكل اتصال فردي أحياناً ، أو بشكل اتصال جماعي أحياناً أخرى ، وذلك مما كان يسديه لهم من نصائح وإرشادات ، أو من تقديم وصاياه لهم أثناء حياته أو قبيل وفاته ...

وقد كانت كل هذه المواقف والوصايا تنحصر في مجالات الإيمان بالمبادىء الدينية السامية ، والتسلح بالعلم والمعرفة ، والأدب واللغة والكلام ، والتحلي بالخلق القويم ، والظهور بمظهر القوة والشجاعة والتضحية وحب الخير والغير ...

ولعل في الشواهد والنصوص التاريخية الآتية لخير دليل على صدق هذه المواقف ... فقد كان عبد الملك بن مروان يرغب في أن يكون أولاده مهتمين اهتمامه بالقرآن والحديث من ذلك : أن عبد الملك عندما وجد أخبار مغازي الرسول (ص) بشكل كتاب لدى بعض ولده ، أمر بإحراقه ، وأمرهم جميعاً بقراءة القرآن ودراسة سنة الرسول (ص) كي يعملوا بموجبها . [١٤] .

---

(١٣) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، ص ١٥٨ .

(١٤) انظر : د . عبد الامير دكسن ، الخلافة الاموية ، ص ٤١ ، عن البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، ص ١٧٢ .

وكان عبد الملك يوصي بنيه بأن يحفظوا لغة العرب وكان يقول : « لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم »[15] ، كما يروى عنه قوله بخصوص اللحن في اللغة : « اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس »[16] ...

وكان عبد الملك ينصح أولاده ويوصيهم بتقوى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن التفرقة والإختلاف ، والتحلي بالشجاعة وقت الحرب .. فمن ذلك قوله لهم : « كونوا بني أم بررة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف منارا ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يبقى أجره وذكره ، واحلوا في مرارة ، ولينوا في شدة »[17] ...

٣ ـ مسلمة في حظوة أبيه :

بعض من صفاته وخصائصه في حياة والده ..

كانت هذه هي نظرة عبد الملك بن مروان العامة تجاه أولاده في تربيتهم ورعايتهم .. ولكن يبدو أنه كانت لمسلمة حظوة خاصة عند أبيه . فقد احتضن عبد الملك إبنه مسلمة ورعاه رعاية خاصة منذ نعومة أظفاره ، وذلك لما كانت تتجلى في مسلمة من سمات وخصائص جعلته يتفوق على بقية إخوته رغم كونه ابن أمة .....

---

(١٥) انظر : د . سيدة اسماعيل كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ، بلا ، ص ١٨ .

(١٦) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٥٨ .

(١٧) انظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤ ص ٢٢٠ ...

فقد اتسم مسلمة — وهو في ريعان فتوته وشبابه — بجمال الصورة ورجاحة العقل ، وقوة الذكاء ، وقدرة فائقة في اللغة والشعر ، والمنطق والكلام ، وحضور الجواب ، والشجاعة والخلق القويم ..

يروي لنا صاحب العقد الفريد : « أن شخصاً — دخل على عبد الملك وعنده مسلمة ابنه وهو غلام — قال : ما رأيت مثله ، ولا أجمل منه حين اخضر شاربه » [18] .. كما يذكر في مكان آخر من كتابه : « إن مسلمة كان من أجمل الناس ، ومن أحصر الناس جواباً »[19] كما يشير أيضاً أنه : « لم يكن لعبد الملك بن مروان ابن اسد رأياً ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مسلمة » [20] .

ويشير البلاذري — في كتابه أنساب الأشراف — في مجال حديثه عن أولاد عبد الملك : « إن مسلمة بن عبد الملك كان صاحب رأيهم[21] ».

فلا غروة والحالة هـــذه ، أن عبد الملك بن مروان كان يسمي ابنه مسلمة « ناب بني أمية » [22] ..

---

(١٨) انظر : ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ط ٣ ، جـ ٢ ، القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ٧٥ .

(١٩) انظر : نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٢٠) انظر : نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٢١) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١، ص ١٦٠ .

(٢٢) انظر : فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، القاهرة ، ص ٨٠ .

ومن وصية عبد الملك بن مروان لأولاده حينما حضرته الوفاة قوله بحق مسلمة :

« أكرموا مسلمة ، فإنه سنكم الذي به تتزينون ، ونابكم الذي عنه تفترون ، وسيفكم الذي به تصولون ، فاقبلوا قوله ، واصدروا عن رأيه ، واسندوا جسيم أمركم إليه » (٢٣) ...

ورغم كون مسلمة ابن أمة ، لكن هذا لم يكن ليقلل أو يضعف من نظرة أبيه إليه ــ كما لاحظنا أعلاه ، كما أن هذا لم يجعل مسلمة يشعر بالنقص أو الضعف أو الجبن ...

في رواية يذكرها البلاذري ، نستطيع أن ندرك من خلالها أن أبناء الإماء هم في منزلة أبناء الحرائر ، أو قد يتفوقون عليهم بدرجات .

يقول البلاذري : « أجرى عبد الملك الخيل ، فحمل مسلمة على فرس ، وكانت أمه أم ولد ، فجاء سابقاً ، فقال لمصقلة بن رقية العبدي : إن صاحبكم لقليل المعرفة بأولاد أمهات الأولاد .. فقال يا

---

(٢٣) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١ ، ص ١٨١ ٠ والمسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٦١ ٠٠

ومن وصية اخرى لعبد الملك بن مروان لاولاده عندما حضرته الوفاة وكان مسلمة غائبا يجاهد في أرض الروم ، حيث قال عبد الملك : « يا بني ، أوصيكم بتقوى الله ، فأن التقوى أزين حيلة ، واحسن حلة ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير منكم حق الكبير ٠ وأنظـروا ــ ابني مسلمة ــ حفظه الله ــ اذا قدم من أرض الروم فأعرفوا له حق الجهاد فـي سبيل الله » ٠

انظر : ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، حيدر أباد ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، جـ ٧ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ ٠

أمير المؤمنين : إن من الإماء ذوات شرف ، فيمن هن منه ، ... وقد يشتري الرجل الجارية فيعتقها فتكون حرة » [٢٤] .

ونستطيع أن ندرك أيضاً من رواية أخرى يذكرها صاحب العقد الفريد عن مدى اعتزاز مسلمة بكونه ابن أمه ، وذلك حينما ناظر والده عبد الملك مناظرة شعرية وقعت في حالة سباق خيل بين مسلمة وأخيه سليمان ... فجعل مسلمة إياه يخرج من هذه المناظرة الشعرية خجلا مستحياً من نفسه ... فعن جبلة بن عبد الملك قال : سابق عبد الملك بين سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة . فقال عبد الملك أبياتاً من الشعر :

ألم أنهكم أن تحملوا هجناءكم	على خيلكم يوم الرهان فتدرك
وما يستوي المرآن هذا ابن حرة	وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك
وتضعف عضداه ويقصر سوطه	وتقصر رجلاه فلا يتحرك
وأدركنه خالاته فنزعنه	إلا أن عرق السوء لا بد يدرك

فأجابه مسلمة قائلا : يا أمير المؤمنين ما هكذا قال حاتم الطائي ..

قال عبد الملك : وماذا قال حاتم : فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم	ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا
فما زادها فينا السباء مذلة	ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا	فجاءت بهم بيضاً وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية	إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا

---

(٢٤) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

ويأخذ رايات الطعان بكفه   فيوردها بيضاً ويصدرها حمرا
أغر اذا غبّر اللثام رأيته   إذا سرى ليل الدجى قمرا بدرا

فقال عبد الملك كالمستحي :

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا [٢٥]

وأخيراً وليس آخراً نشير هنا إلى ما قدمه لنا الجاحظ من صورة واضحة وصف فيها مسلمة بالشجاعة والمنطق والجود والكرم ،وجعله – وهو ابن أمة – في منزلة أخيه هشام وهو ابن حرة ، حيث قال : وكان مسلمة شجاعاً خطيباً ، بارع اللسان جواداً ، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده .. [٢٦]

ومن كل هذا يظهر لنا ، أن عبد الملك بن مروان كان ينشىء ابنه مسلمة على حسن المنطق والكلام واللغة ، وينمي فيه الخلق القويم القائم على مبادىء العروبة والإسلام ، ويغرس في نفسه حب الفروسية ويغذي فيه روح الإقدام والشجاعة ، وبكل هذا كان يعده إعداداً تاماً لأن يكون قائداً مظفراً ...

ولكن ترى في أية ساحة من ساحات القتال صار اختيار مسلمة ؟
وفي قتال أي عدو من أعداء العروبة والإسلام صار هدفه ...؟؟

لقد شاء نصيب مسلمة – في أن يقع خيار أبيه عليه في أن تكون الساحة الشمالية مواقع قتاله ، وان يكون الروم هدفـه الأساس في حروبه ...

---

(٢٥) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ ٠

(٢٦) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ص ١٨٩ ٠ وقد تحلى مسلمة بخصائص وصفات اخرى عديدة سنشير اليها في فصولنا القادمة ٠٠

وهكذا عين عبد الملك ابنه مسلمة قائداً على الجيوش العربية الإسلامية لخوض معاركه المظفرة ضد الروم وهو لا يزال في ريعان الفتوة والشباب [٢٧] ...

وقد أبدى مسلمة شجاعة فائقة وجلداً عظيماً في حروبه مع الروم في خلافة والده عبد الملك .. يروي الجاحظ : « أن عبد الملك استبطأ إبنه مسلمة في مسيره إلى الروم وكتب إليه :

لمن الظعائن سيرهن تزحف   سير السفين إذا تقاعس يجذف [٢٨]

---

(٢٧) يشير اليعقوبي والطبري الى غزو مسلمة لارض الروم في عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، ويعني هذا ان مسلمة كان في حدود الثالثة والعشرين من عمره ٠هذا اذا علمنا ان ولادة مسلمة كانت في حدود عام ٦٣ هـ ٠

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٧ ٠٠

والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٧ جـ ٦ ، ص ٤٢٩ ٠

ويبدو ان مسلمة كان مع عمه محمد بن مروان الذي كان واليا على أرمينيا وأذربيجان ، فكتب عبد الملك بن مروان اليهما بالشخوص اليه ٠ ثم أعلن عبد الملك تعيين ابنه مسلمة قائدا على الجيش في غزو الروم ٠ وخطب الناس قائلا : هذا ابني مسلمة وقد أمرته عليكم فاستمعوا له واطيعوا يوفقكم الله ٠٠٠

ثم أوصى عبد الملك ابنه مسلمة ، بأن يكون قائدا بارا ، رحيما ، واميرا حليما ٠ وان يقابل الروم بقوة وشجاعة واقدام ، وان لا يهوله جمع الروم وكثرتهم ، وان الله ناصره ، ومهلك عدوه ٠

انظر : ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ١٧٠ ٠

(٢٨) التزحف : السير في بطء وكلال ٠٠

تقاعس : تأخر ورجع الى الخلف

انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ ٠

فلما قرأ مسلمة الكتاب ، كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناتنا   ولو زينته الحرب لم يترمرم [٢٩]

ولما مات عبد بن مروان في عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، ترك في نفس إبنه مسلمة ذكريات عميقة ، كان يتردد صداها على لسانه عبر الأيام والسنين ...

أنظر إلى مسلمة عندما دلي بعضهم على قبر والده ، فتمثل من كان حاضراً فقال :

فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما [٣٠]

---

(٢٩) البيت لاوس بن حجر في ديوانه ..

زينته الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون ..

لم يترمرم : لم يحرك فاه بالكلام ...

انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٣ ، هامش ص ١٨٨ .

(٣٠) انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .

والبيت لعبدة بن الطيب ، وهو شاعر مخضرم ، ادرك الاسلام فاسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ هـ . وكان في جيش النعمان بن مقرن حارب الفرس بالمدائن ...

انظر نفسه ، ج ١ ، هامش ص ١٢٤ ...

فرد عايه مسلمة قائلا : لقد تكلمت بكلمة شيطان هلا قلت :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه   تخمط فيه ناب أخر مقرم [٣١]

---

(٣١) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ..

والبيت لاوس بن حجر في ديوانه ..

المقرم : هو السيد ، والرئيس من الرجال ، شبه بالمقرم من الابل ، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ..

ذرا حد نابه : انكسر ، او وقع

والتخمط : اصله للفحل ، وهو ان يهدد ويشتد غضبه جعل التخمط للانياب .

انظر : نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ .

الفصل الثاني

تعريف بشخصية مسلمة بن عبد الملك

١ ــ ولادته

٢ ــ إسمه ونسبه

٣ ــ كنيته ــ ولقبه

٤ ــ لقب « الجرادة الصفراء »

الفصل الثاني

تعريف بشخصية مسلمة بن عبد الملك

١ ـ ولادته :

ولد مسلمة بن عبد الملك في المدينة المنورة ، ورغم أن مصادرنا الأولية لم تذكر تاريخاً دقيقاً لولادته [1] ، ولكن نصاً صريحاً ورد في

---

(١) يناقش السيد محمود شيت خطاب في بحثه « عن مسلمة بن عبد الملك، نشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثامن والعشرون لسنة ١٩٧٧،ص ١١٨ ، مسألة تاريخ ولادة مسلمة ـ ودون أن يذكر مكان ولادته ـ ويشير الى رواية ابن حزم الاندلسي في رسالته (اسماء الخلفاء والولاة) ، « بأن سن مسلمة وقت حصاره للقسطنطينية كان اربعا وعشرين سنة » ‥ ولما كان حصار مسلمة للقسطنطينية في عام ٩٨هـ/٧١٧م، وعليه تكون ولادة مسلمة في عام ٧٤ هـ / ٦٩٣ م ، غير ان السيد خطاب يعارض هذا التاريخ وهو محق بذلك ‥ ولكننا وجدناه يذهب الى بعض الاستنتاجات القائمة على التخمين والمعقول واللامعقول على حد قـولـه ، فيخرج بعد ذلك ، ان ولادة اساس التخمين والمعقول واللامعقول على حد قوله،فيخرج بعد ذلك،ان ولادة ان اول غزوة لمسلمة على بلاد الروم كان فـي عام ٨٦ هـ ، فيخمن السيد خطاب ان عمر مسلمة اثناء هذه الفترة كان عشرين عاما ـ ثم يخرج ـ بعد عملية طـرح بسيطة ـ ان ولادة مسلمة كانت في عـام ٦٦ هـ ‥ ويبدو أن السيد محمود شيت خطاب لم يراجع كتاب انساب الاشراف للبلاذري وروايته التي تحدد تاريخ ولادة مسلمة ومكانها والمشار اليها اعلاه .

كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، يكاد ينفرد به ، يذكر فيـه : وكان مولده عام أخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة ..[٢]

وتذكر مصادرنا الأولية ، أن إخراج بني أمية من المدينة كان في عام ٦٣ هـ / ٦٨٣ م . يشير المسعودي : وقد أخرج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم وسائر بني أمية وذلك عند تنسك ابن الزبير وتألهه وإظهار الدعـوة لنفسه ، وذلك في سنة ثلاث وستين .، وكان عبد الملك بن مروان من جملة من أخرج من المدينة مع والده وأبنائه ، حيث استقروا في بلاد الشام [٣] .. ويذكر الطبري كذلك : أن إخراج بني أمية من المدينة كان في عام ثلاث وستين للهجرة ... [٤]

وعليه ، فإن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قد ولد في المدينـة المنورة في عام ٦٣ هـ / ٦٨٣ م ، وكان عمره عندما تولى والده عبد الملك بن مروان كرسي الخلافة ثلاث سنوات ، وإن عمره عندما قاد حملته الأولى ضد الروم في عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ثلاث وعشرون سنة ...

---

(٢) انظر البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١ ، ص ١٦٠ .

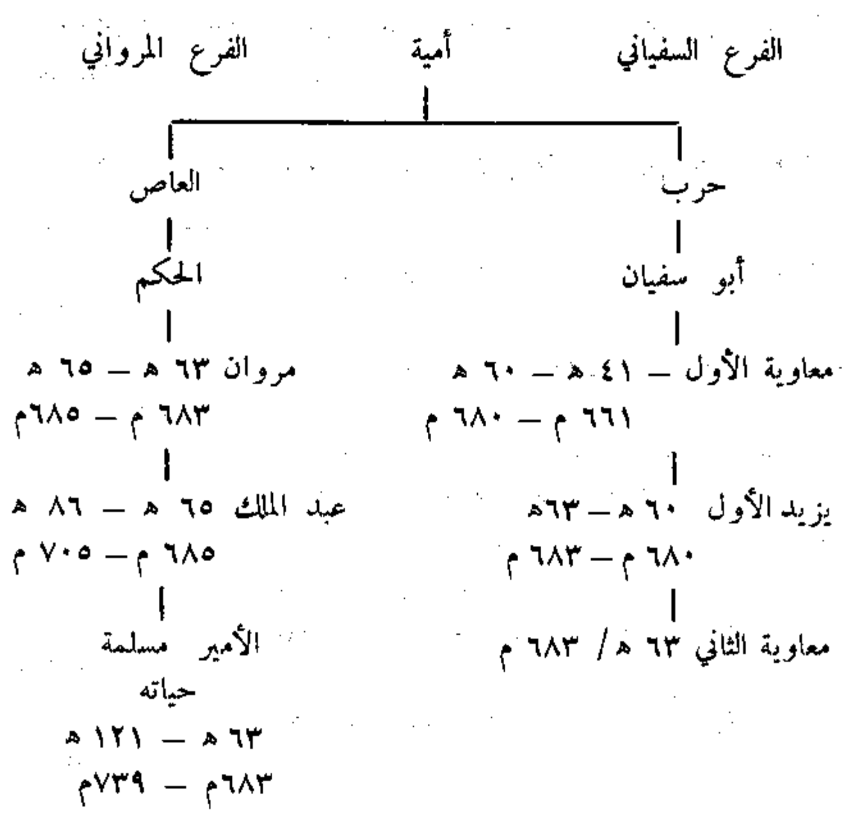
(٣) انظر المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ ٣ ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٦٩ .

(٤) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، الطبعة الحسينية ص ٥ .

٢ ـ اسمه ونسبه :

هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية ابن عبد شمشر بن عبد مناف بن قصي القرشي ... وبأمية الذي ينتسب إليه الأمويون ، يلتقي نسب مسلمة بنسب معاوية بن أبي سفيان بن حرب ابن أمية ، المؤسس الأول للخلافة الأموية في الشام ...

وقد اصطلح أن يطاق على الفرع المؤسس للخلافة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان باسم الفرع السفياني ... كما اصطلح أن يطلق على الفرع الذي وصل إلى كرسي الخلافة على يد مروان بن الحكم باسم الفرع المرواني .. وإلى هذا الفرع الأخير ينتسب مسلمة ...



٣ ـ كنيته ولقبه :

كان مسلمة بن عبد الملك يكنى أبا سعيد [٥] ، وجاء في تهذيب التهذيب[٦] ، وجمهرة أنساب العرب [٧] ، أن مسلمة كـــان يكنى أبا سعيد ، وأبا الأصبغ ، كما كان يكنى أبا يزيد .

وقد ذكره ابن سميع في الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام [٨] وقال الزبير بن بكار : وكان من رجالهم [٩]

وسمي مسلمة : « بالقاهر بعون الله » ، جاء ذلك في المسعودي حيث ذكره أن مسلمة بن عبد الملك ، لما بنى مدينته التي على خليج القسطنطينية ، سماها « مدينة القهر » وتسمى « بالقاهر بعون الله» [١٠] كما نعت « بالجرادة الصفراء » .

وقد أطلق على مسلمة بن عبد الملك يومئذ « بفتى العرب » [١١]

---

(٥) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، كتاب المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٧ .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ، حيدر آباد ١٣٢٧ هـ ، ص ١٤٤ .

(٧) انظر : ابن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١١١٩ هـ ، ص ١٠٣ .

(٨) انظر : ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤.

(٩) انظر نفسه ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤ .

(١٠) انظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٩٠ .

(١١) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٨٧ ...

كما نعت « بالجرادة الصفراء » وهذا اللقب الأخير سنناقشه بشيء من الدقة والتفصيل في النقطة التالية :

٤ ـ لقب « الجرادة الصفراء » :

لقب مسلمة بن عبد الملك « بالجرادة الصفراء » ، وعند تفحصنا لهذا اللقب ، وتدقيق المصادر الأولية التي ورد فيها ، نستطيع ملاحظة الأمور الآتية :

١ – تشير بعض المصادر الأولية المتقدمة في تاريخ تأليفها وعلى رأس مؤلفيها : الجاحظ [١٢] ، والبلاذري [١٣] ، والطبري [١٤] إلى

---

(١٢) الجاحظ : ت ٢٥٥ هـ /٨٦٨ م في كتابه ، البيان والتبيين ، جـ ١، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ . يذكر عن خالد بن صفوان : « خطبنا يزيد بن المهلب بواسطة فقال : اني قد اسمع قول الرعاع ، قد جاء مسلمة ، وقد جاء العباس ، وقد جاء اهل الشام ، وما أهل الشام الا تسعة اسياف ، سبعة منها معي ، واثنان منها علي . واما مسلمة فجرادة صفراء ، واما العباس فنسطوس بن نسطوس ، أتاكم في برابرة وصقالبة ، وجرامقة ، واقباط ، وانباط واخلاط من الناس » ...

ونسطوس : اشارة الى ان ام العباس كانت رومية نصرانية ..

(١٣) البلاذري : ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ، في كتابه ، انساب الاشراف ، جـ ٧ ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم ١٦٤٠ ، ص ٢٢٢ ، يذكر نص رواية الجاحظ ..

(١٤) الطبري : ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، في كتابه ، تاريخ الرسل والملوك، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٥٩٠ ، يذكر عن ابي مخنف قال : قال يزيد بن المهلب يرغب قومه على القتال : ان هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم الا الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرفية على هامهم ، ثم قال : انه قد ذكر لي ان هذه الجرادة الصفراء ـ يعني مسلمة بن عبد الملك ـ وعاقر ناقة ثمود ـ يعني العباس بن الوليد ـ وكان العباس ازرق احمر ، كانت امه رومية .. » ...

أن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، هو الذي نعت مسلمة بن عبد الملك بهذا اللقب ، وذلك أثناء حربه معه — في خلافة يزيد بن عبد الملك — في العراق ، وأن مسلمة تغلب عليه وقتله عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م .

٢ — إبن قتيبه الدينوري [١٥] ، وهو مصدر متقدم أيضاً في تاريخ تأليفه ، يذكر : « أن مسلمة بن عبد الملك كان يلقب بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه » ، وذلك دون الإشارة إلى ذكر يزيد بن المهلب.

٣ — اليعقوبي : [١٦] ، وهو مصدر متقدم أيضاً في تاريخ تأليفه ، يذكر رواية تكاد تكون مختلفة وفريدة في بابها ، وهي تنفي عن مسلمة لقب « الجرادة الصفراء » ، وتلصق هذا اللقب بيزيد بن المهلب نفسه ، وأن مسلمة هو الذي كان يسمي يزيد وينعته بهذا اللقب . هذا هو نص رواية اليعقوبي .

« فالتقيا — يعني مسلمة ويزيد — بمسكن ، فحاربه محاربة شديدة ويزيد مبطون شديد العلة . وكان مسلمة يسميه : الجرادة الصفراء ، فلم يبرح حتى قتل ، وكان ذلك في سنة ١٠٢ هـ [١٧]» ...

---

(١٥) ابن قتيبة الدينوري : ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م في كتابه ، المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٧ ..

(١٦) اليعقوبي : ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، في كتابه ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، طبعة النجف ، ١٩٦٤ ، ص ٥٤ ، وطبعة ليدن ، جـ ٢ ، ١٨٨٣ ، ص ٣٧٢ ...

(١٧) الواقع ان هذه الرواية قد أثارت بي نزعة من عدم الاطمئنان ، لكونها جاءت فريدة ومخالفة لما ذكر في المصادر الواردة اعلاه . وقد وجدت هذه الرواية — اولا — في كتاب تاريخ اليعقوبي،طبعة النجف ، جـ ٣ ، ١٩٦٤، ص ٥٤ ، فقلت : لعل هناك خطأ في التحقيق او الطبع ، فرجعت الى طبعة ليدن ، جـ ٢ ، ١٨٨٣ ، ص ٣٧٢ ، فوجدت نفس الرواية مطابقة بنصها لما =

وعليه فنحن رغم هذه الأمور الثلاثة التي أبرزناها من خلال مصادرنا التاريخية ، والإلتباسات الواضحة فيها ، ورغم كونها تشكل نوعاً من المطاعن الشخصية أريد بها إضعاف شخصية المقابل ، وتقليل أهميته بنظر أتباعه ، ولكننا رأينا ، أن هذا اللقب – يجب أن لا يمر دون نقد وتحليل ، خاصة وأن المصادر التاريخية قد تناولته والتبست في أمره بإضافة إلى أن هذا اللقب – كما يبدو – ينطوي على معان ومضامين وأبعاد تتعلق بسلوكية كل من مسلمة بن عبد الملك ويزيد ابن المهلب قد تكون جديرة ومهمة ، وتكشف عن أمور ذات صلة بالحياة العامة خلال العصر الأموي ، قد انعكست عليها سلوكية هاتين الشخصيتين على مختلف المجالات والأصعدة الإجتماعية والإقتصادية في التاريخ الأموي ..

وقد رأينا أنه لا بد – أولا وقبل كل شيء – من تقديم تفسير وتوضيح مجرد لعبارة « الجرادة الصفراء » .. ولعل خير ما وجدناه من تفسير لمعنى كلمة « الجرادة » ، ومعنى كلمة « الصفراء » الموصوفة بها ، هو ما ورد في كتاب الحيوان للجاحظ ...

يقول الجاحظ : ويقال : قد بشر الجراد الأرض ، فهو يبشرها بشراً ، إذا حلقها ، فأكل ما عليها ، ويقال : جرد الجراد ، إذا وقع على شيء فجرده [١٨] ...

= جاء فيطبعةالنجف،وعليه،فالرواية وصلتنا محققةومنشورة في الطبعتين المذكورتين ، وكأنه لالبس فيها ولا شك ، ولا غموض ، وعليه فنحن والحالة هذه نرى ، ان رواية اليعقوبي جديرة بأن تأخذ بنظر الاعتبار ...

(١٨) انظر : الجاحظ،كتاب الحيوان،تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ ٥ القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م ، ص ٥٥٣ .

أما بخصوص « الصفرة » بالجرادة : قال الشاعر في تشبيه الفرس بالجرادة :

مهارشة العنان كأن فيها جرادة هبوة فيها اصفرار

فوصفها بالصفرة ، لأن الصفرة هي للذكورة ، وهي أخف أبداناً ، وتكون لخفة الأبدان أشد طيرانا [١٩] ...

وعليه فالجرادة الصفراء ، قد تميزت بصفة الخفة ، والسرعة في الطيران ، وتميزت بكونها تلتهم ما أمكنها التهامه من على وجه الأرض من زرع وثمر وشجر ، حتى تصيرها جرداء قاحلة ..

لذا استعملت عبارة « الجرادة الصفراء » فصيرت لقباً ينعت بها شخص ما ليدل على مدى جشعه المادي ، وشغفه الشديد في جمع الأموال واقتنائها والتهامها ...

وسوف نحاول هنا إلقاء نظرة فاحصة في تبيان سلوكية كل من يزيد بن المهلب ، ومسلمة بن عبد الملك من وجهة نظر هذا التفسير المالي الجشع للقب « الجرادة الصفراء » ، لعلنا نستطيع أن نخلص بأمر قد ينجلي به أمامنا مدى انطباق هذا اللقب على أي منهما ، مع مراعاة ما ورد في المصادر التاريخية السابقة الذكر .

تشير المصادر التاريخية ، أن كلا من يزيد بن المهلب ومسلمة ابن عبد الملك ، كانا يميلان ميلا شديداً نحو جمع الأموال واقتنائها وقد أثريا ثراء كبيراً ، حيث استغل كل منهما منصبه ومركزه

---

(١٩) انظر : نفسه ، جـ ٥ ، ص ٥٥٩ .

كأمير وقائد للجيوش العربية الإسلامية في الساحتين الشمالية، والشمالية الشرقية للدولة الأموية ....

وبخصوص يزيد بن المهلب ، وما كان يجمعه ويقتنيه من أموال طائلة أثناء تسلمه منصب قيادة الجيوش الإسلامية كخالف لوالده المهلب ابن أبي صفرة ، تشير لنا المصادر التاريخية ، أنه لما حضرت المهلب بن أبي صفرة الوفاة [٢٠] استخلف الحجاج بن يوسف الثقفي ابنه يزيد على كره منه لصلفه وتيهه [٢١] ... ثم أنكر الحجاج على يزيد أشياء بلغته عنه ، فكتب إليه أن يقدم عليه فقدم .. وكتب الحجاج إلى المفضل بولاية خراسان مكان يزيد أخيه [٢٢] ، ثم عزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلي [٢٣] .. وقد ذكر أن الحجاج اتهم يزيد بن المهلب باختلاسه مبلغاً كبيراً من خراج خراسان قدر بمائة ألف درهم [٢٤]

---

(٢٠) توفي المهلب بن ابي صفرة في ذي الحجة سنة ٨٢ هـ ، وهو في طريقه الى مرو فمرو الروذ من بلاد خراسان ٠

(٢١) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، طبعة النجف ، ص ٢٢ ٠

(٢٢) انظر : نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٢ ٠

(٢٣) انظر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣١ ٠

(٢٤) انظر : محمد بن احمد الابشيهي،المستطرف من كل فن مستطرف، جـ ١ ، القاهرة ، ١٣١٤ ، ص ١٤٢ ٠ وفي رواية ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ٢١٣،ان الحجاج الثقفي طالب يزيد بن المهلب بسبعة آلاف ألف درهم فانكرها ٠٠٠

يبدو ان هناك خلافات شديدة وقعت بين الحجاج بن يوسف الثقفي ويزيد بن المهلب بن ابي صفرة تبادل كل منهما الاتهامات لا مجال هنا لسردها ٠٠

انظر : بهذا الخصوص : الدراسة القيمة التي قدمها الدكتور نافع توفيق العبود حول : آل المهلب بن ابي صفرة ، وهي رسالة دكتوراه ، على الالة الكاتبة ، اذار ، ١٩٧٦ ٠٠٠

وفي عام ٩٧ هـ / ٧١٦ م أعاد الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيد ابن المهلب على ولاية العراق ، ومن ثم على ولاية خراسان[٢٥] ....

وقد كان يزيد بن المهلب يتطلع إلى ولاية خراسان ، لما عساها أن تدره عليه من الثروات الضخمة والأموال الكثيرة [٢٦] .. ، وهذا ما قد حدث فعلا . ففي خراسان وما جاورها من المدن والمقاطعات بدأ يزيد بن المهلب يثري ثراء فاحشاً،ويجمع أموالا لا تعد ولا تحصى..

يشير الطبري : « أن يزيد بن المهلب صالح دهقان دهستان ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال ، والكنوز ومن السبي شيئاً لا يحصى » [٢٧]. وجاء فيه أيضاً : أن يزيد صالح أهل جرجان على سبعمائة ألف درهم ، وأربعمائة ألف نقداً ، أو مائتي ألف درهم ، وأربعمائة جماز موقره زعفران ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس ، وعلى البرانس طيلسان ، وخام من فضة ونمرقة من حرير وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم ... [٢٨]

ويشير البلاذري : إلى كميات الأموال التي كان يجمعها يزيد بن المهلب فيذكر : أن يزيد سار إلى طبرستان ، فاستجاش الأصبهبذ الديلم ، ثم أنه صالحه على نقد أربعة آلاف درهم ، وعلى سبعة آلاف

---

(٢٥) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية، ص ١١٣ ـ ١١٦ .

(٢٦) انظر : فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة د . حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي رستم ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

(٢٧) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩ .

(٢٨) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٢٠ .

درهم مثاقيل في كل سنة ، ووقر أربعمائة جماز زعفرانسا ، وأن يخرجوا أربعمائة رجل على رأس كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام فضة ، ونمرقة حرير [29] ويذكر البلاذري أيضاً : وفتح يزيد الرويان ، ودنباوند على مال وثياب وآنية ، ثم مضى إلى جرجان فقتل خلقاً من أهلها ، وسبى ذراريهم ، ووضع الجزية والخراج على أهلها وثقلت وطأته عليهم » [30]

وقد تجلى مدى ميل يزيد وجشعه في جمع الأموال ، إلى درجة أنه كان يحاسب على الفرق في وزن الدرهم فيأخذه .. « فقد صالح اصبهذ الديلم على سبعمائة ألف درهم ، وأربعمائة وقر زعفرانـاً ، فقال له الأصبهذ : العشرة وزن سنة ، فقال : لا ، ولكن وزن سبعة فأبى .. فقال حيان : أنا أتحمل فضل ما بين الوزنين فتحمله .. وكان حيان من أنبل الموالي وسرواتهم ، و كان يكنى أبا معمر » [31] ..

إضافة إلى هذه الأموال الطائلة ، والكنوز الهائلة التي اقتناها يزيد ابن المهلب ، فقد كانت له إقطاعات واسعة في بطائح العراق كان قد أقطعها له الخليفة سليمان بن عبد الملك . فقد أقطع سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ / ٧١٥ — ٧١٨ م) يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة ، وما اعتمل الشرقي ، والجبان ، والخسف ، والريحية ومغيرتان وغيرها ، فصارت حوزاً فقبضها يزيد بن عبد الملك بعد مقتله [32] .

---

(٢٩) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٣٣ .
(٣٠) انظر : نفسه ، ص ٣٣٣ .
(٣١) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٢ .
(٣٢) انظر : نفسه ، فتوح البلدان ، ص ٣٦٢ .

فلا غروة والحالة هذه ، أن أصبح يزيد بن المهلب بحاجة إلى تعيين عامل خاص يشرف على خزائنه وأمواله الطائلة ، ويتولى إدارتها وتدبيرها ، وإلى هذا يشير الطبري ، حيث جاء فيه : وكان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب [٣٣] ..

فلا غروة والحالة هذه أن أصبح يزيد بن المهلب موطن شك وحساب وعقاب من قبل الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ...

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة (٩٩ – ١٠١هـ / ٧١٧ – ٧٢٠م) دعا يزيد بن المهلب وحاسبه ، فعاقبه وأودعه السجن ..

يذكر اليعقوبي : لما بلغ يزيد بن المهلب ولاية عمر بن عبد العزيز وورد عليه كتابه ، شخص من خرسان ، واستخلف بها مخلداً ابنه ، وحمل كل ما كان مخافة من أهل خرسان[٣٤] ... كما يشير اليعقوبي أيضاً أن عمر بن عبد العزيز قال ليزيد بن المهلب : « أني وجدت لك كتاباً إلى سليمان تذكر فيه أنك اجتمع قبلك عشرون ألف ألف (عشرون مليون) فأين هي ؟ فأنكرها .. ثم قال : دعني أجمعها ، قال : أين قال : أسعى إلى الناس . قال تأخذها منهم مرة أخرى ، لا ولا نعمي عين[٣٥] ..

أما البلاذري ، فيذكر هذه الرواية ، ولكنه يزيد في المبلغ إلى خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، وإن الكتاب وقع في يدي عمر بن عبد العزيز ، فأخذ يزيد به وحبسه ..[٣٦] ..

---

(٣٣) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ١٢٢ .

(٣٤) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، النجف ، ص ٢٦ .

(٣٥) انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٤٦ .

(٣٦) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٢ .

وعليه ــ وبعد هذا العرض المركز لما قد جمعه يزيد بن المهلب واقتناه من أموال طائلة وإقطاعات واسعة ، بقي علينا أن نعرف في أي المجالات كان يزيد ينفق هذه الأموال ويصرفها ..؟؟..

رغم ما ورد من نصوص تاريخية تشير إلى كون يزيد بن المهلب قد اشتهر بالجود والكرم [٣٧] ، غير أن مجالات جوده وكرمه ، وصرفه للأموال الطائلة كانت مقتصرة ــ بصورة عامة ــ في حدود الأهواء والمنافع الشخصية والدعائية وعلى المنتفعين من ولايته ــ خاصة بعض الشعراء الذين كانوا يكيلون له المدح والثناء والإطراء امثال : نهار بن توسعه والفرزدق [٣٨] ..

فقد ذكر بهذا الخصوص : « أن يزيد بن المهلب كان جواداً يغدق الأموال بغير حساب على قاصديه ، حتى ولو تكرر قدومهم إليه أكثر من مرة [٣٩] .. وكما ذكر أيضاً : أن عزل يزيد بن المهلب عن خرسان ترك فراغاً كبيراً في نفوس الكثير من أهلها وخاصة أولئك المنتفعين من ولايته [٤٠] ... كما ورد أيضاً عن مدى صرفه للأموال الهائلة في اغراض ومقاصد دعائية : « أن عمر بن عبد العزيز عندما طالبه بالأموال ، حاول يزيد أن يقدم

---

(٣٧) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، وابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، جـ ٣ ، ص ١٢٤ ٠

(٣٨) كان الفرزدق يمدح مسلمة بن عبد الملك ايضا ــ وسوف نشير الى ذلك في الفصل القادم ٠

(٣٩) انظر : الدكتور نافع توفيق العبود : « آل المهلب بن ابي صفره » رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة ، آذار ، ١٩٧٦ ، ص ٥٧ ٠

(٤٠) انظر : نفسه ، ص ٦٤ ٠

الإعتذار للخليفة ، فتذرع أنه كان يبالغ في الصرف من أجل أغراض دعائية لتفخيم أمر الخلافة الأموية ، وأنه إلى ذلك قد أنفق أكثرها على عساكره [٤١] .

إضافة إلى ذلك كله ، فإن يزيد بن المهلب كان قد اتهم بكونه : « كان رجلا همه الطعام والشراب والنساء وكان بديناً فاسد الصورة » [٤٢] ...

أما بخصوص مسلمة بن عبد الملك ، فسوف نلقي عليه نفس النظرة التي ألقيناها على يزيد بن المهلب ، وسوف نبرز النصوص التاريخية التي توضح لنا ميل مسلمة وحبه في جمع الأموال وإقتنائها في الفترة ما قبل حربه وقتاله مع يزيد بن المهلب ، كي تصبح المقارنة بينهما مجردة ونزيهة بخصوص لقب « الجرادة الصفراء » . أي في الفترة التي علا فيها نجم كل منهما في قيادة الجيوش الإسلامية

---

(٤١) انظر : نفسه ، ص ٧٨ ·

(٤٢) فلها وزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة ابو ريدة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥٥ · حاول الدكتور نافع نفي هذه التهمة عن يزيد ـ انظر رسالته الدكتوراه ـ السابقة الذكر ، ص ٥٨ ·

ويشير الدكتور نافع في رسالته الى بعض اصلاحات يزيد بن المهلب العمرانية في منطقة جرجان ، معتمدا بذلك على كتاب«تاريخ جرجان للسهمي المتوفى عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م بقوله : ان يزيد عمر المدينة المعروفة باسمها ، واحاطها بسور ، واختط بها اربعين مسجدا داخل قصبتها وبعضها في الربض ومن بينهما مسجد لنفسه » ·

انظر : د · نافع توافيق ـ رسالته ، ص ٧٧ ·· ومن الواضح ان هذا المصدر متأخر يعود الى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، وان المصادر الاولية المتقدمة تخلو من الاشارة الى وجود مثل هذه الاصلاحات او غيرها قام بها يزيد بن المهلب ·

حيث شغل مسلمة قيادة هذه الجيوش في خلافة أخويه الوليد وسليمان ، وبلغت ذروتها في خلافة أخيه سليمان في حصار القسطنطينية الكبير (٩٨- ٩٩هـ ٧١٦- ٧١٧م) بينما شغل يزيد قيادة الجيوش الإسلامية ، وبلغت ذروتها أيضاً في خلافة سليمان عندما عينه والياً على العراق وخرسان في نفس الفترة ..[٤٣] ...

بدأ مسلمة بن عبد الملك يستغل منصبه كأمير وقائد للجيوش الإسلامية بامتلاك الكثير من القرى والمقاطعات في الثغور الجزرية، وإلى ذلك يشير البلاذري : «وإن أرض بغراس كانت لمسلمة ، فوقفها في سبيل البر ، كما كانت عين السلور ، وبحيرتها له أيضاً ، كما كانت الإسكندرية له »[٤٤] ...

وقد أخذ مسلمة ينمي ثروته ويستثمرها في مختلف أنحاء المقاطعات الجزرية التي دخلت ضمن سيادته ، وذلك عن طريق إقامة مشاريع زراعية فيها . فلما عسكر مسلمة ببالس – من الثغور الجزرية – أتاه أهلها ، وأهل بولس وقاصرين ، وعابدين ، وصفين ، وهي

---

(٤٣) لا شك والحالة هذه ـ ان كلا من مسلمة ويزيد ، كان ينظر الواحد منهما الى الاخر ، نظرة الحسد ، والتنافس ، والغيرة ، وان كلا منهما كان يكن للاخر روح العداوة والبغضاء ويظهر ذلك من اشارة وردت في انساب الاشراف للبلاذري تذكر : « ان مسلمة اوفد مروان بن عبد الملك الى يزيد بن عبد الملك يشير عليه بقتل يزيد بن المهلب » ٠

انظر : البلاذري : انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١ ، ص ٢٥٦ ٠ ومن هذا يبدو ان الخليفة يزيد بن عبد الملك قد ادرك عمق الكراهية بينهما ، فوقع اختياره على مسلمة في قيادة الجيوش الاموية لقتال يزيد بن المهلب في عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م وانتصر عليه وقتله ٠

(٤٤) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ ٠

قرية منسوبة إليها ، فأتاه أهل الحد الأعلى ، وسألوه جميعاً أن يحضر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم — بعد عشر السلطان فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط ، ورمم سور المدينة وأحكمه [٤٥] ...

وكانت هذه المقاطعات وقراها تتحول إلى أملاك خالصة لمسلمة ولورثته من بعده : « فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته ، فلم تزل في أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركة (الدولة العباسية) ، وقبض عبدالله بن علي على أموال بني أمية [٤٦] ..

لم يكتف مسلمة بإمتلاك ما أمكنه إمتلاكه من ضياع ومقاطعات في الثغور الجزرية ، بل كانت تنتقل فيه روح التملك وإستثمار ثروته الهائلة وتنميتها إلى مناطق أخرى كما تجلى ذلك في إستصلاح بطائح العراق ...

ففي خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق : « إنبثقت البشوق ، فكتب الحجاج إلى الوليد ابن عبد الملك يعلمه ،أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم (ثلاثة ملايين) ، فاستكثرها الوليد . فقال له مسلمة : أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج ، فأجابه إلى ذلك ، فحصلت له أرضون من طساسيج متصلة ، فحفر

---

(٤٥) انظر : نفسه ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٤٦) انظر : نفسه ، ص ١٥٦ .

السيبين ، وتألف الأكرة والمزارعين ، وعمر تلك لأراضين ، وألجأ الناس إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به [٤٧] ...

وبهذا أصبح مسلمة يعد من أكابر ملاكي عصره ، وقد أثر هذا تأثيراً كبيراً على أحوال الملاكين والمزارعين الصغار ، فأخذ بعضهم يلجأ أرضه إليه لحمايته من تعدي الجباة وللتعزز به[٤٨]

وإذا ما حللنا النصوص التاريخية الآنفة الذكر – بخصوص أملاك مسلمة وضياعه الواسعة ، وثروته الهائلة ومجالات صرفها، نستطيع أن نستخلص منها الأمور الآتية :

١– إن مسلمة قد أوقف ما كان يمتلكه من أرض « بغراس » في سبيل البر ..

٢– إهتمام مسلمة بإنشاء مشاريع ري، ومنها حفر نهر على الفرات ، فأحيا به أراضي قرى ومدن عديدة في الثغور الجزرية ، وكان ذلك برضا وقبول أهل مدن وقرى هذه الثغور الجزرية .. وإنه لم يكتف بذلك بل عمل على ترميم أحد أسوار مدنها وأحكمه..

---

(٤٧) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٢ ٠

(٤٨) نظام الالجاء : وقد ظهر بهذا نظام الجاء الاراضي ، وذلك بان يسجل المزارع ارضه باسم احد الكبار ليحتمي به من تعدى الجباة ، ولكن تسجيل الارض بالديوان باسم الحامي ، وبمرور الزمن ، اديا الى نقل ملكية بعض الاراضي الملجأة الى الحماة ٠

انظر : د ٠ عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص ١٤٨ ٠

٣ — إن مسلمة أنقذ العراق من خطر الفيضانات، خاصة من تلك البثوق التي انبثقت ، والتي عجز الخليفة الوليد وواليه الحجاج من سدها، فحول مسلمة بطائح العراق إلى أراض زراعية خصبة، وشغل أيدياً زراعية عاملة ، من المحتمل أنها كانت في حالة فقر .

٤— إن إلجاء المزارعين أراضيهم إليه، كان بدافع حمايتهم من تعدي الجباة ، وإنهم ألجأوا أراضيهم إليه بمحض أرادتهم، و ذلك بهدف التعزر به على حد تعبير البلاذري ...

٥— إضافة إلى كل ذلك، فإن مسلمة بن عبد الملك كان رجلا كريماً وسخياً وجواداً ، فقد كان يكرم الشعراء والأدباء ، والفقهاء ورجال الدين ، وحتى رجال السياسة ، وإن كرمه وجوده كان بعيداً كل البعد عن مجالس الأنس والطرب والخمرة والنساء ... وسوف نكشف عن كل ذلك من خلال بحثنا ودراستنا عنه في الفصل القادم ...

وعليه ، فإن مسلمة كان ينفق أمواله ويصرفها في ميادين نافعة ومفيدة بحق الدولة والمجتمع ، وإنه لم يتهم بالإختلاس ، والتبذير ، وإنكار الأموال ، أو صرفها في أمور دعائية أو في أهواء ومنافع شخصية ، كما تجلى ذلك عند يزيد بن المهلب ..

وإن مسلمة كان ينمي ثروته ويستثمرها بطرق مشروعة وذلك عن طريق تشغيل رؤوس أمواله في مشاريع زراعية نافعة ، كانت تدر عليه وعلى الدولة والمجتمع بمنافع متبادلة ..

وأخيراً وليس آخراً ، وبعد هذه المقارنة الواضحة المسندة

بالنصوص التاريخية بين شخصيتي مسلمة ويزيد ، وسلوكية كل منهما بخصوص جمع الأموال وإقتنائها ومجالات إنفاقها وصرفها والذي جرنا إليه وقادنا هو « لقب الجرادة الصفراء » ، والتباس المؤرخين القدامى حوله ، وفي سبيل التوصل والكشف عن الحقيقة المجردة عن كل ميل أو هوى فقد استطعنا أن نخرج وأن نتوصل إلى بعض الحصائل والنتائج ندرجها في ما يلي : —

١ــ أن يزيد بن المهلب كان قدنعت مسلمةبن عبد الملك « بالجرادة الصفراء » ، وذلك في محاولة منه إضعاف شأن مسلمة بنظر جنوده أثناء المعركة بينهما ..

٢ــ أن مسلمة كان يسمي يزيد بن المهلب بهذا اللقب ، وذلك قبل لقائه العسكري معه ، وليس أثناء ذلك ، وهذا ما توحي به روح اليعقوبي ومضمونها السالفة الذكر ..

٣ــ إن هذا اللقب قد نعت به مسلمة ، ولكن كان بسبب «صفرة كانت تعلوه »، كما تشير إلى ذلك رواية ابن قتيبة الدينوري. السالفة الذكر وهذا يعني أن مسلمة كان بعيداً عن كونه «جرادة صفراء» بالمفهوم المالي الجشع الذي فسر به هذا اللقب .

٤ــ وإذا ما أردنا الأخذ بوجهة النظر الحيادية ، أو التوفيقية والمستخلصة من روح النصوص التاريخية ومضمونها السالفةالذكر ، فإنه من الممكن الإستنتاج والتصور أو تقديم الصورة الآتية :—

أن مسلمة بن عبد الملك كان يسمي يزيد بن المهلب بهذا اللقب وذلك قبل لقائه العسكري المسلح معه ، ولكن كان ذلك في نطاق

المجالس والأحاديث الفردية الضيقة ، خاصة وانهما كانا قائدين متعاصرين متنافسين ، لذلك فإن هذا اللقب لم يأخذ طريقه إلى الذيوع والإنتشار على ألسنة الرواة والمحدثين ، وبالتالي لم تتناوله أقلام الكتاب والمؤرخين ، وإن تسمية مسلمة ليزيد بهذا اللقب وبطريقة ما – وصلت روايته إلى اليعقوبي فدونها ، لذا جاءت فريدة في بابها ، ومخالفة لبقية الروايات الأخرى هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى أن يزيد بن المهلب قد استغل هذا اللقب الذي كان مسلمة يسميه به ، فأطلقه عليه على ضوء المثل السائر : « رمتني بدائها وانسلت » ، ولكن كان ذلك في أثناء خضم معركة حربية بينهما ، وعلى مرأى ومسمع من جيشين عظيمين متقاتلين ، وأن يزيد بن المهلب أطلقه على مسلمة بدافع الكراهية كي يقلل من شأن مسلمة ويحط من قدره ، ويضعف من شأنه بنظرجنوده .. فلا غرو والحالة هذه أن يأخذ هذا اللقب – وسط هذا الخضم العارم من الجنود – طريقه إلى الذيوع والإنتشار فتناولته ألسنة الرواة والمحدثين ، وبالتالي تناولته أقلام الكتاب والمؤرخين ، فذهب لقباً ملازماً لمسلمة بن عبد الملك .

٥– وإذا ما أخذنا أيضاً بوجهة النظر الحيادية أو التوفيقية بأن كلا من مسلمة ويزيد كان ينعت أحدهما الآخر بهذا اللقب ، وذلك لأن كليهما كانا يلتقيان على صعيد واحد من حيث جمع الأموال واقتنائها ولكن :

٦– كان مسلمةقد تميزعن يزيد بكونه كان ينفق أمواله في أغراض ومقاصد نافعة ومفيدة، كانت تعود بالخير والنفع على الدولة والمجتمع وهذا ما قد يخفف عن كونه « جرادة صفراء » بحق وحقيقة ...

أما يزيد بن المهلب ، فقد كان يصرف أمواله وثرواتـه في مجالات التبذير والأهواء والمنافع الشخصية ، وأنه قد اتهم من قبل رؤسائه بالإختلاس وإنكار الأموال وحبسها ، وإنه قد عزل من منصبه وأودع السجن من أجل ذلك ..

وعليه فليس ببعيد أن يكون يزيد بن المهلب أحق بهذا اللقب من مسلمة بن عبد الملك حقاً وحقيقة ..

الفصل الثالث

مسلمة بن عبدالملك

مواهبه ، صفاته ، خصائصه

١ — بعض من صفات مسلمة ومواهبه وأقواله المأثورة .

٢ — خصائص مسلمة ومواقفه في مجال الشعر والأدب .

٣ — خصائص مسلمة ومواقفه في المجالين الديني والخلقي .

٤ — بعض من خصائص مسلمة ومواقفه المأثورة مع الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ...

٥ — بعض من مواقف مسلمة في الإستجارة والإجارة .



الفصل الثالث

مسلمة بن عبد الملك

مواهبه ، خصائصه ، مواقفه

١ ـ بعض من صفات مسلمة ومواهبه واقواله المأثورة :

اتصف مسلمة في حياة والده ـ وهو بعد في العقد الثاني من عمره وفي ريعان فتوته وشبابه ـ بجمال الصورة ، ورجاحة العقل ، وقوة الذكاء ، وقدرة فائقة في اللغة والشعر والمنطق والكلام ، كما تميز بحضور الجواب ، واتسم بالشجاعة والخلق القويم ...

فقد جاء وصفه بهذه الصورة متكاملا في كتب التاريخ والأدب والتراجم ..

ولا بأس أن أركز هنا على بعض ما سبق أن أشرت إليه ، فقد قيل عنه أنه : « كان من أجمل الناس ومن أحضرهم جواباً » [1] .. كما ذكر عنه أنه : « لم يكن لعبد الملك ابن أسد رأياً ، ولا أذكى

---

(١) انظر : ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ط ٣ ، ج ٤ ، ص ٤١ .

عقلا ،ولا أشجع قلباً،ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مسلمة[2].

فلا غروة والحالة هذه إن سماه والده . « ناب بني أمية » [3] ..

وقال لأولاده حينما حضرته الوفاة : « أكرموا مسلمة ، فإنه سنكم الذي به تتزينون ، ونابكم الذي عنه تفترون ، وسيفكم الذي به تصولون ، فاقبلوا قوله ، وأصدروا عن رأيه ،واسندوا جسيم أمركم إليه .. » [4]

وقد ذكر الجاحظ عنه : « وكان مسلمة شجاعاً خطيباً ، بارع اللسان جواداً . ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده[5]

لم يأت وصف مسلمة بهذه الخصائص والسمات وصفاً نظرياً مثالياً ، وإنما جاء ذلك من خلال سلوكه وسيرته وتعامله والتحامه الكبير بالمجتمع الذي عاشه وعاصره طوال فترة حياته ...

ولعل ما قد سجل عن مسلمة من أقوال مأثورة رويت عنه ، كانت جلها تنم عما كان يساوره من خلجات ومشاعر ذاتية قد أبرزت صورته الحقيقية ، وأعطته الصورة الناطقة لشخصيته المرموقة في المجتمع ...

فمن أقواله المأثورة في الشجاعة والبسالة ، يروى : أن هشاماً قال يوماً لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك ذعر لحرب (أو لعدو) ، قال : ما سلمت في ذلك من ذعر ينبه علي حيلة ، ولم يغشني فيها

---

(٢) انظر : نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٣) انظر : فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ٨٠ .

(٤) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١، ص ١٨١ .

(٥) انظر : الجاحظ ،البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ..

ذعر سلبني رأي . قال هشام : صدقت ، هذه والله البسالة »[٦] ..

وفي مجال الصبر والجلد في الحرب والقتال ، قال مسلمة شعراً :

إني إذا الأصوات في القوم علت
في موطن يخشى به القوم العنت
موطن نفسي على ما خيلت
بالصبر حتى تنجلي عما انجلت[٧]

ومن أقواله المأثورة في العجز والحزم قوله : ما فرحت بظفر ابتدأته بعجز ، ولا ندمت على مكروه ابتدأته بحزم[٨] وله في ذلك أيضاً قوله : ما أخذت أمراً قط بحزم فلمت نفسي فيه وإن كانت العاقبة علي ، ولا أخذت أمراً قط وضيعت الحزم فيه إلا لمت نفسي عليه وإن كانت العاقبة لي ..[٩] ..

وفي باب المروءة يروى عن مسلمة قوله: مروءتان ظاهرتان الرياسة والفصاحة ..[١٠] ..

---

(٦) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٧٤ .. وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ص ١٠٤ .

(٧) انظر : الجاحظ ، كتاب الحيوان ، جـ ٥ ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ٦٠٢ .

(٨) انظر : الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٩ .

(٩) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .

(١٠) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

وقد وصف مسلمة بالفصاحة وحسن المنطق ، وكان يعيب اللحن في الكلام . يروى عنه قوله : اللحن في الكلام أقبح من الجدري في في الوجه [١١] ...

وقد عرف عن مسلمة أنه كان من « أحضر الناس جواباً » فيروى عنه قوله بهذا الخصوص ، عن المدائني قال : قال مسلمة بن عبد الملك : « ما من شيء يؤتاه العبد بعد الإيمان بالله أحب إلي من جواب حاضر ، فإن الجواب إذا تعقب لم يكن له وقع » [١٢] ..

وقد تميز مسلمة بقوة ذكائه ، ورجاحة عقله ، فيروى عنه قوله: « ما قرأت كتاباً قط لأحد إلا عرفت عقله منه » [١٣]

وله في الرجال وأخلاقهم وخلقهم ، وما يختار منهم وما يكره قوله: « عجبنا من رجل أخفى شعره ثم أعفاه ، أو قصر شاربه ثم أطاله أو كان صاحب سراري فاتخذ المهيرات » [١٤] ..

ومما يدل على دقة مسلمة في الوصف وقوة المنطق في تركيب اللفظ

---

(١١) انظر : ابن قتيبة الدينوري عيون الاخبار ، في باب الاعراب واللحن ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .. ويروى عن والده قوله في نفس المعنى « اللحن في الكلام اقبح من التفتيق في الثوب النفيس » .

انظر : نفسه ، جـ ٢ ص ١٥٨ .

(١٢) انظر : ابو حيان التوحيدي ، كتاب الامتاع والمؤانسة ، تصحيح احمد امين ، واحمد الزين ، بيروت ، بلا جـ ٣ ، ص ١٦٣ .

(١٣) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ .

(١٤) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، جـ ٤ ، ص ٩ .

المهيرات : الحرائر الغاليات المهر .

والمعنى قوله في وصف البغلة الجيدة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان ، سفواء العرف خضباء الذنب ، سوطها عنانها ، وهمها أمامها .. [١٥]

وإن كل ما يمكن أن نبرزه من الخصائص والصفات والمواهب التي كان يتحلى بها مسلمة ، إنما هي مستقاة من خلال سلوكه في حياته الواقعية ، أو من علاقاته المباشرة مع الناس وعلى مختلف مستوياتهم ومراتبهم الادبية والدينية ، والإجتماعية ، والسياسية ، فقد كان له في كل وقفة من هؤلاء الناس مؤشر ينم عن طبع رفيع ، ، وسلوك ذاتي متين ...

٢ ـ خصائص مسلمة في مجال الشعر والادب :

أولى مسلمة عناية فائقة ، واهتماماً كبيراً للشعر والشعراء ..... سواء كان ذلك في قوله الشعر ، أو في حفظه وروايته له ، أو في مواقفه المشرفة نحو الشعراء واحتضانه لهم ، أو فيما كان ينفقه أو يخصصه من أموال في سبيل الأدب ورعايته ، كل هذا قد جعل من رجال الشعر والأدب أن تكون لهم مواقف مبجلة منه ..

يظهر لي أن مسلمة كان يقول الشعر وينظمه ، وإن لم نعثر على شواهد عديدة بهذا الخصوص ، ولكن علمه الواسع ، واطلاعه العميق وعنايته البالغة بالأدب والشعر بالذات ... تشكل جميعها

---

(١٥) انظر : نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ، وابن عبد ربه ، العقد الفريد جـ ٢ ، ص ٢٥١ .
سفواء العرف : خفيفة شعر العنق .

دلالات واضحة على ذلك .. وقد سبق أن أشرنا إلى بيتين من الشعر قالهما مسلمة في مجال الصبر والجلد [16] .

ومما يذكر عن مسلمة أنه كان يقول شعراً بكلام منثور ، يروى عن الهيثم بن عدي قال : أنشد مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قطنة [17] .

---

(١٦) انظر ما ذكر في اعلى هامش رقم (٧) من هذا الفصل ·

جاء في كتاب البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي بعض ابيات من الشعر نسبت الى مسلمة بن عبد الملك وهي :

لا شيء احسن في الدنيا وساكنها ... من وامق قد خلا فردا بموموق
كذاك ليس بها اشجى لذي نظر ... من عاشق خاضع قدام معشوق
نفسي الفدا لضبي بات يسعدني ... ليلا على قبض ارواح الاباريق

انظر ابو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، بلا ، ص ٥٤٨ ·

الواقع ان هذه الابيات من الشعر في لفظها ومضمونها تنم عن كونها شعرا عباسيا لا امويا ، ولا يمكن نسبتها الى مسلمة بن عبد الملك بن مروان، اضافة الى ذلك ، فلم نعثر على نص تاريخي او ادبي يشير من بعيد او من قريب الى ان مسلمة كان غلمانيا يعاقر اباريق الراح والخمر··· ويؤكد قولنا هذا ان محقق الكتاب في شرحه تحت هامش صفحة ٥٤٨ من الكتاب يعلق على هذه الابيات بقوله : « نسبت الابيات في معجم الشعراء للمرزباني ٢٧٩ الى ابن القاسم مسلمة بن مهزم بن خالد بن مهزم بن الفرز العبدي ، وقد عرفه بقوله : هو خالد ابي هفان المهزمي ، ومسلمة شاعر اديب ، مدح طاهر بن الحسين ، واورد شعرا منها الابيات الثلاثة المذكورة » ···

(١٧) ثابت قطنة : كان شاعرا معاصرا ليزيد بن المهلب ومن مادحيه

انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٤ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١ ·

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة : وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذ فسقيتهم بكأسه . قال : « فكان مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثور فغلبه » ...[18] ...

وكان مسلمة يحفظ الشعر ويرويه جاهلياً كان أم إسلامياً ، وكان يستشهد به في اللحظة أو الموقف الذي هو فيه ، وبهذا اتصف مسلمة بكونه من « أحضر الناس جواباً » ...

فقد روي أن مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك – حين خلعه يزيد بن المهلب – فرآه في ثوب مصبوغ فقال له : أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بإطهار[19]

ويروي الجاحظ أن عبد الملك بن مروان استبطأ إبنه مسلمة في مسيرة إلى الروم ، فكتب إليه :

لمن الضغائن سيرهن تزحف سير السفين إذا تقاعس يجذف

فلما قرأ مسلمة الكتاب ، كتب إليه :

---

(١٨) انظر : نفسه ، ج ١٤ ، ص ٢٦١ .

(١٩) وهذا البيت للاخطل التغلبي النصراني المشهور

انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق ، احسان عباس ، بيروت، ج ٦ ، ص ٣٠٩ .

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زينته الحرب لم يترمرم [٢٠]

وفي لقاء جرى بين مسلمة وأبو نخيلة [٢١] ، الشاعر المعروف بالرجز . طلب مسلمة منه أن ينشده أرجوزة من أراجيزه ، فأنشده وظن أنها لم تبلغ مسلمة ، وقد تردد بها ، فقال له مسلمة : لا تتعب نفسك ، فأنا أروي لها منك [٢٢] ..

وكان مسلمة يستمع لأفصح الناس وأبينهم ، ويحتضن الشعراء ويجالسهم ويسامرهم .. فقد كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول عنه : إني لأنحي كور العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى[٢٣].

---

(٢٠) البيت لاوس بن حجر في ديوانه ٠

انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ١٨٨ ٠

(٢١) ابو نخيلة : اسمه لا كنيته ، ويكنى ابا الجنيد ، وابو العرماس٠ وكان عاقا بابيه ، فنفاه ابوه وخرج الى الشام ، واتصل بمسلمة بن عبد الملك واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدا بعد واحد واستمالهم له فاغنوه ٠ وكان بعد نلك قليل الوفاء لهم ، انقطع الى بني هاشم ، ولقب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس ، وهجا بني امية ٠

انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٩٠ ٠

(٢٢) انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٩٠ ٠

(٢٣) عبد الاعلى : وهو ابو عبد الرحمن البصري ، وكان مشهورا بالجود ٠

انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ ٠

ومن مجالسة مسلمة للشعراء ومداعبته لهم ، يروى من ذلك أن مسلمة قال لنصيب الشاعر [٢٤] : ويحك يا أبا الحجناء أما تحسن الهجاء ؟ قال : أما تراني أحسن مكاني عافاك الله ... لا عافاك الله [٢٥] ....

ويظهر أن دار مسلمة كانت أشبه بناد أدبي وعلى مستوى رفيع يلتقي فيه فحول الشعراء وفصحاء الناس وخطباءهم . وكان مسلمة يشاركهم الحديث ، ويعقب على خطبهم وأقوالهم وأشعارهم بكلام فصيح ومنطق بليغ . يروي الجاحظ : « تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فأسهبوا في القول ، ثم اقترح المنطق [٢٦] منهم رجل من أخريات الناس ، فجعل لا يخرج من حسن إلا أحسن منه .. فقال مسلمة : ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء إلا سحابة لبدت عجاجة » .. [٢٧]

ومن مجالس مسلمة التي كان يحضرها الشعراء والأدباء ، والتي كانت تنم عن ولعه وحبه الشديد بالشعر وحفظه وروايته ما يرويه لنا

---

(٢٤) وهو نصيب بن رباح الاكبر ، مولى عبد العزيز بن مروان المعروف « ابو الحجناء » ، وكان شاعرا فحلا فصيحا ، وله شعر كثير في الاحتجاج للسواد ، وكنيته ابو محجن ، وانه كان يكنى ابا الحجناء ، وهي كنية مشتركة بينه وبين نصيب الاصغر والاخير هو مولى الخليفة المهدي العباسي ، وكانت له بنت تسمى « حجناء » وهو القائل :

ما لقينا من جود فضل بـن يحيى تـرك النـاس كلهـم شعـراء

انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ١ ، هامش ص ١٢٥ ، و ص ٢١٩

(٢٥) انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ ٠

(٢٦) اقترح المنطق : اقترح الكلام ، ارتجله ٠٠

(٢٧) العجاجة ، واحدة العجاج ، وهو التيار ٠
انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ٠

صاحب الأغاني حيث يذكر « اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من سمارة فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر . فقال مسلمة : أي بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟؟ فقال عبد الله قوله :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

فقال مسلمة : إنه والله ما وعظني شعر قط كما وعظني شعر ابن حطان حيث يقول :

فيوشك يوم أن يقارن ليلة يسوقان حتفاً راح نحوك أوغدا

فقال بعض من حضر : والله لقد سمعته أجل الموت ثم أفناه ، وما صنع هذا غيره .

فقال مسلمة : وكيف ذاك ؟ قال :

لا يعجز الموت شيء دون خالقه والموت فان إذا ما ناله الأجل
وكل كرب أمام الموت متضع للموت والموت فيما بعده جلل

فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته، ثم قال : «رددها علي فرددها عليه حتى حفظهما » [٢٨] .

كان مسلمة يحتضن الشعراء ويكرمهم ويحمي من يلتجأ إليـه . وليس أدل على ذلك إلا ما نلمسه من وقفته المشرفة تجاه « الكميت بن

---

(٢٨) انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ١٨ ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ .

زيد » [٢٩] .. الشاعر العلوي المشهور ، حين التجأ إلى مسلمة واستجار به لخوفه من نقمة الخليفة هشام بن عبد الملك وهربه منه ، فأجاره مسلمة وتوسط له عند الخليفة حتى رضي عنه وأمر له بجائزة [٣٠]

---

(٢٩) وهو الكميت بن زيد الاسدي ، وكنيته ابو السهل ، وهو من الخطباء والشعراء · ومن يقال له الكميت من الشعراء ثلاثة ، كلهم اسدي من بني اسد بن خزيمة ، ولكن اعرفهم واشهرهم الكميت بن زيد ، وله في اهل البيت الاشعار المشهورة ، وهي اجود شعره ·

انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ هامش ص ٤٥ ·

(٣٠) وكان الكميت بن زيد يمدح بني هاشم ، ويعرض ببني امية ، فطلبه هشام بن عبد الملك ، فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القرار من خوف هشام · وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له ولا يرده فيها ··· فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوما الى بعض صيوده ، اتى الناس يسلمون عليه ، واتاه الكميت بن زيد فيمن اتى · فقال: السلام عليك ايها الامير ورحمة الله ·

اما بعد :

قف بالديار وقوف زائر	وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله :

يا مسلم بن ابي الوليد	لميت ان شئت ناشر
علقت حبالي من حبا	لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرت الى امية	والامور الى المصاير
والآن كنت به المصيب	كمهتد بالامس حائر

قال مسلمة : سجان من هذا الهندكي الجلحاب ·

فاعجب مسلمة لفصاحته وبلاغته · وذكر الكميت لمسلمة سخط امير المؤمنين عليه · فضمن له مسلمة امانة ، وتوجه به حتى ادخله على هشام ، فرضي عنه هشام وامر له بجائزة ·

انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٥ ·

كان لموقف مسلمة المشرف هذا اتجاه الكميت أثره العميق في نفس هذا الشاعر العلوي المشهور ، فلا غرو أن ينبري إلى مدح مسلمة مدحاً صادقاً صادراً عن حب وتقدير لا تشوبه شائبة من رياء أو نفاق أنظر إليه وهو يقول عندما خرج ولحق بمسلمة واستجار به :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل
إليك على تلك الهزاهز والأزل
عليّ ثياب الغانيات وتحتها
عزيمة رأي اشبهت سلة النصل [٣١]

وانظر إليه يقول أيضاً عندما قام مرة بزيارة مسلمة [٣٢]

ونزور مسلمة المهذ ... ب بالمؤبذة السوائر [٣٣]
بالمذهبـات المعجبـا ... ت لمفحم منا وشاعر [٣٤]
أهل التجاوب في المحا ... فل والمقاول بالمحاصر [٣٥]
فهم كذلك في المجا ... لس والمحافل والمشاعر [٣٦]

ترى أي مديح هذا يقدمه الكميت الشاعر المشهور ومادح أهل البيت لمسلمة بن عبد الملك ، لو لم تكن في مسلمة من الخصائل السامية ، والسمات العالية الذي أراد الكميت أن يخلده « بالمؤبـذة السوائر »

---

(٣١) انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٦٢ ٠
(٣٢) انظر بهذا الخصوص ، الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج١،ص٣٧١٠
(٣٣) المؤبذة : التي يبقى ذكرها على الابد ، عني بها القصائد بالمدح٠
(٣٤) المفحم : الذي لا يقول الشعر ٠
(٣٥) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف اللسان ٠
(٣٦) المشاعر : مواضع المناسك ٠

و « بالمذهبات المعجبات » ، ولأن يبقى ذكر مسلمة خالداً إلى الأبد بالمديح من القصائد الغرر .

وقد سبق لشاعر هاشمي آخر كان لمسلمة معه موقف مشرف أيضاً حيث انبرى – أيضاً – إلى مدح مسلمة والثناء عليه ، ذلكم هـــو شاعر الأرجوزة المعروف « ابو نخيلة » الذي سبق الإشارة إليه ، هذا الشاعر الذي نفاه أبوه ، وخرج إلى الشام شريداً يبحث عن رزق فوفد إلى مسلمة بن عبد الملك ، فرفع منه وأعطاه وشفع له وأوصله إلى الوليد ابن عبد الملك فمدحه ، ولم يزل حتى أغناه . وقال في مدح مسلمة :

أمسلم إني يا بن كل خليفة
ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض [٣٧]
شكرتك إن الشكر حبل من التقى
وما كل من أوليته نعمة يقضي
وألقيت لما ان اتيتك زائراً
علي لحافاً سابغ الطول والعرض
وأحييت لي ذكراً وما كان خاملاً
ولكن بعض الذكر انبه من بعض [٣٨]

ومن مدحه لمسلمة أيضاً ، وكان ذلك بعدما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب ، فلقيه « أبو نخيلة » وقال : لما عاينته صحت به :

---

(٣٧) وفي رواية اخرى :
امسلمة اني يا بن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا ملك الارض
(٣٨) انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٢٠ ، ص ٣٩٢ .

مسلم يا مسلمة الحروب أنت المصفى من أذى العيوب
مصاصة من كرم وطيب لولا ثقاف[39] ليس بالتدبيب [40]
تغرى به عن حجب القلوب لامست الأمة شاء الذيب [41]

لم يقف مسلمة عند هذا الحد من احتضان الشعراء والذود عنهم واستجارتهم ، بل كان يكرمهم ويجود عليهم .. فقد وهب نصيب الشاعر الذي سبق ذكره — ألف دينار [42] ...

وكان لاستقبال مسلمة للشاعرين المشهورين « كثير » و «الأحوص» ومدى إكرامه لهما خير دليل على حبه واعتزازه وتكريمه للشعر والشعراء ... وعند استقبال مسلمة لهما وحفاوته بهما قالا : لقينا مسلمة ابن عبد الملك وهو يومئذ « فتى العرب » [43] وليس لدينا ما يشير

---

(٣٩) الثقاف : ما تسوى به الرماح ٠

(٤٠) التدبيب : التذنيب ٠

(٤١) انظر بهذا الخصوص ، الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٢٠ ، ص٢٩٣٠

(٤٢) كان مسلمة يجالس نصيب الشاعر ، ويحاوره ويداعيه ، فقال له مسلمة يوما اسألني : قال : لا افعل ٠٠ قال : ولم ؟ قال : لان كفك بالعطية اجود من لساني بالمسألة ، فوهب له ألف دينار ٠٠

انظر : المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، جـ ٢ ، دار النهضة ، بلا ص ١٥٩ ٠

(٤٣) يذكر صاحب العقد الفريد : كان عمر بن عبد العزيز لا يقبل الشعر ولا يكرم الشعراء ٠ فقد وفد كثير والاحوص ، وفي خناصر (وهي بليدة من اعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية) وقالا : لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ « فتى العرب » ، فسلمنا ، فرد السلام ثم قال : امـا بلغكم ان امامكم (يعني عمر بن عبد العزيز) لا يقبل الشعر ؟ ٠ قلنا : ما توضح الينا خبر حتى انتهينا اليك،ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا ٠فقال:ان يك ذو دين =

بأن فتى — غير مسلمة — كان قد نعت بحق بمثل هذا النعت خلال التاريخ الأموي كله ...

إن كرم مسلمة ورعايته للأدب وطلابه قد بلغت حداً لا يقدر ، حيث أنه لم يغب ذلك عن باله حتى ساعة وفاته ، فقد قيل : إن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان ، أوصى بشيء : الثلث من ثلثه ... يصرف إلى طلاب الأدب عند وفاته [٤٤].

فلا عجب — والحالة هذه — أن ينبري أعظم شاعرين أمويين — هما جرير والفرزدق — إلى مدح مسلمة والإشادة به ...

وكان الشعراء يتناولون أعمال قادة الأمويين ضد البيزنطيين ، وكانوا يخلدون أعمالهم في أشعارهم .. وكان مسلمة بن عبد الملك على رأس من مدحهم جرير ، وسجل أعماله الرائعة ضد البيزنطيين وقد أشاد جرير بما عرف عن مسلمة من حب قيادة الجيوش الإسلامية وما ناله من نصر فقال :

مسلمة جرار الجيوش إلى العدا
كما قاد أصحاب السفينة نوح

= بني مروان قد ولى وخشيتم حرمانه،فان ذا دنياها قد بقي،ولكم عندي ما تحبون ، وما البث حتى ارجع اليكم وامنحكم ما انتم اهله . فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل ، وأكرم منزول عليه ... فاقمنا عنده اربعة اشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا .. » .

انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

(٤٤) انظر : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، لمؤلف مجهول ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، الجزء الرابع ، القسم الاول ، النجف ، ١٩٧٢ ، ص ٣٠٩ .

بذاك تسقى السمام عدونا
وأخرى بربات السحاب تفوح [٤٥]

ولما عزل مسلمة بن عبد الملك عن ولاية العراق من قبل أخيه الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وتعيين عمر بن هبيرة مكانه ، عز ذلك على الفرزدق ، فقال بحق مسلمة :

راحت بمسلمة الركاب مودعا
فأرعى فزارة لا هناك المرتع
عزل ابن بشر وإبن عمر وقبله
وأخو هراة لمثلها يتوقع
ولقد علمت لئن فزارة أمرت
أن سوف تطمع في الإمارة أشجع
من خلق ربك ما هم ولمثلهم
في مثل ما نالت فزارة يطمع [٤٦]

وهكذا خلد الشعراء مسلمة في حياته ، وقد خلده بعضهم بعد وفاته ، وأشاد بجوده وكرمه .. وقد جاء ذلك على لسان شاعر في عهد بني العباس ، والذي انبرى إلى تكريم مسلمة والإعلاء من شأنه على شأن البرامكة ، وهم المعروفون بإغداقهم الأموال الطائلة على الشعر والشعراء ... لم يرد إسم هذا الشاعر ، ولكن ذكر أنه رجل من أهل الشام ، كما يشير إلى ذلك الجاحظ ... ورغم أن شعره خاص بذم

---

(٤٥) انظر : د . ابراهيم احمد العدوي ، الامويون والبيزنطيون ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩ .

(٤٦) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٦١٦ .

البرامكة ، إلا أنه يبرز في مضمونه ، ما كان يتحلى به مسلمة من كرم وجود ... يقول هذا الشاعر [٤٧] :

أبعد مروان وبعد مسلمة
وبعد إسحاق[٤٨] الذي كان لمة[٤٩]
صار على الثغر فريخ[٥٠] الرخمة [٥١]
إن لنا بفعل يحي نقمة [٥٢]
مهلكة مبيرة [٥٣] منتقمة
اكل بني برمك أكل الحطمة[٥٤]

وفي مجال ذكر مسلمة في عهد بني العباس ، وذكر جوده وكرمه نرى مناسباً أن نشير هنا إلى أن ذكره لم يرد فقط على لسان بعض الشعراء في عهدهم ، وإنما ورد ذكره وتكريمه على لسان بعض

---

(٤٧) انظر : الجاحظ البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ٠

(٤٨) اسحاق : اسحاق هذا هو اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، كان من اولى الاقدار العالية ، ولي لهارون المدينة والبصرة، ومصر والسند ، وولي لمحمد الامين حمص وارمينية ، ومات ببغداد ٠

(٤٩) اللمة : بضم اللام وفتح الميم ، المثل ، والند والشبيه ، ويقال ايضا بتشديد الميم ٠

(٥٠) فريخ : مصغر فرخ ٠

(٥١) الرخمة : طائر يعده العرب مثلا في اللؤم والحمق ٠

(٥٢) النقمة : بفتح فكسر ، لغة في النقمة بالكسر ، وهما المكافأة بالعقوبة ٠

(٥٣) مبيرة : مهلكة ٠٠

(٥٤) الحطمة : النار الشديدة ، تحطم ما تلقى ٠٠

انظر : نفسه ، جـ ٣ ، شرح هوامش ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ٠

خلفائهم – وعلى لسان الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور بالذات .. (١٥٨ هـ – ١٦٨ هـ / ٧٧٥ م – ٧٨٥ م) ... فقد أجاد هذا الخليفة وأكرم من كان موجوداً من أولاد مسلمة ومواليه ، والذي سبق لمسلمة أن أكرم وأنعم على مؤسس الدعوة العباسية ومنظمها الأول محمد بن علي العباسي [٥٥] ..

٣ ـ خصائص مسلمة ومواقفه في المجالين الديني والخلقي :

أما في المجالين الديني والخلقي ، فتشير الأحداث والوقائع التي عاشها مسلمة أنه كان يتحلى ويلتزم بالمبادىء الدينية السامية وبالسمات الخلقية القويمة . وقد تجلى ذلك من خلال سلوكه الفردي ، ومن خلال علاقاته واتصالاته بالآخرين ، ومن خلال مواقفه وتقريبه للعلماء من رجال الدين ، خاصة عندما كان يصل إلى مستوى المسؤولية في الإدارة والقيادة ...

فقد نشأ مسلمة نشأة دينية سامية ، وتربى تربية خلقية رفيعة منذ

---

(٥٥) يشير الى ذلك الطبري ، حيث يذكر لنا هذه الرواية عن العباس ابن محمد قال : « ان المهدي لما وجه الرشيد الى الصائفة سنة ثلاث وستين ومائة ، خرج يشيعه وانا معه ، فلما حاذى قصر مسلمة قلت : يا أمير المؤمنين ، ان لمسلمة في اعناقنا منة ، كان محمد بن علي مر به فاعطاه اربعة آلاف دينار ، وقال له : يا بن عم هذان الفان لدينك ، والفان لعونك ··· فاذا نفذت فلا تحتشمنا · فقال ـ لما حدثته الحديث ـ أحضروا من هاهنا من ولد مسلمة ومواليه، فأمر لهم بعشرين الف دينار،وأمر ان تجري عليهم الارزاق· ثم قال : يا أبا الفضل كافأنا مسلمة ، وقضينا حقه · قلت : نعم ، وزدت يا أمير المؤمنين ··· »

انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٤٤ ·

نعومة أظفاره ، ومنذ أن كان في حظوة أبيه عبد الملك .. وقد بقي ملتزماً بهذا المبدأ وهذا الإتجاه ، ولم ينله في ذلك أي انحراف أو زلل طيلة حياته ...

فقد تولى مسلمة إمارة الحج في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك فحج بالناس سنة أربع وتسعين للهجرة [٥٦] ...

---

(٥٦) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٩١ .

ترد رواية في كتاب : « العقد الثمين في تاريخ البلد الامين » للامام تقي الدين محمد بن احمد الحسني الفاسي المكي ٧٧٧ هـ ـ ٨٣٢ هـ ، القاهرة ١٩٦٧ ، جـ ٧ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ . مفادها : « ان مسلمة بن عبد الملك كان واليا على اهل مكة ـ في خلافة عبد الملك بن مروان ـ فبينا هو يخطب على المنبر ، اذ اقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام واليا عليها فدخل المسجد . فلما قضى مسلمة خطبته ، صعد خالد المنبر ، فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طومارا مختوما ففضه ثم قرأه على الناس، وفيه توليته على مكة من قبل عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، ويهدد فيه أهل مكة كل رجل آوى سعيد بن جبير .. ثم نزل . » .. ودعا مسلمة براحله ولحق بالشام ...

نقد هذه الرواية :

١ ـ ان هذه الرواية جاءت في مصدر متأخر يعود مؤلفه الى القرن التاسع الهجري ، وليس هناك ما يسندها في المصادر الاولية المتقدمة .

٢ ـ ليس لدينا في المصادر الاولية المتقدمة ما يشير الى ولاية مسلمة ابن عبد الملك على مكة لا في خلافة عبد الملك بن مروان ولا بعده .

٣ ـ ان هذه الرواية تذكر خطاب خالد القسري دون الاشارة الى خطاب مسلمة .

٤ ـ وعليه فالرواية لا يمكن الاخذ بها ، خاصة ما يتعلق منها بولاية مسلمة على مكة . وقد ذكرناها لغرض الاطلاع .

وكان مسلمة يستعمل رجالا – في مناصب إدارية وقضائية – عرفوا بالعلم والفقه والنزاهة .. فقد استعمل رجاء بن حيوه بن جود الكندي [٥٧] على ديوان الخاتم [٥٨] .. ، كان ذلك عندما صار مسلمة والياً على العراق عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في خلافة أخيه يزيد ابن عبد الملك ، وقد عين أيضاً موسى بن أنس بن مالك على قضاء البصرة [٥٩] .. كما قرب الحسن البصري [٦٠] وأكرمه . قال هشام بن حسن : رأيت على الحسن البصري خميصة [٦١] لها

---

(٥٧) رجاء بن حيوه : وكان من العلماء الاعلام ، ومن جلساء عمر بن عبد العزيز ، والذي اوكل اليه عبد الملك بن مروان ، الاشراف والانفاق على بناء قبة الصخرة في بيت المقدس ·

انظر : مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ١ ، النجف ١٩٦٨ ، ص ٢٧٣ ·

وانظر : الدكتور عواد مجيد الاعظمي ، تاريخ مدينة القدس ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ١٠٠ ·

وانظر : للمؤلف نفسه ، معالم التراث العربي والاسلامي في فلسطين، بغداد ١٩٧٥ ص ٩٩ ــ ١٠٠ ·

(٥٨) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٨١ ·

(٥٩) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، اكرم ضياء العمري ، النجف ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٧ م ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ·

(٦٠) الحسن البصري : واسمه ابـــن الحسن يسار ، وكان الحسن جامعا عالما عاليا رفيعا ، فقيها ، ثقة مأمونا ، عابدا ناسكا ، كبير العلم ، فصيحا ، جميلا وسيما ·

انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٧·

(٦١) الخميصة : كساء اسود ، مربع له علمان ·

أعلام يصلى فيها ، أهداها إليه مسلمة بن عبد الملك [٦٢] ...

ويذكر إبن سعد: «أن مسلمة بن عبد الملك ، بعث إلى الحسن جبة وخميصة فقبلهما ، فربما رأيته في المسجد ، وقد سدن الخميصة على الجبة » [٦٣] ...

وفي الوقت الذي كان مسلمة بن عبد الملك ينفق أموالا في سبيل الشعر والأدب وطلابه، كان أيضاً ينفق أموالا أخرى في سبيل البر والتقوى وبناء المساجد .. فقد « اوقف مسلمة ارض بغراس في سبيل البر [٦٤] وبنى مسجداً في القسطنطينية حينما كان محاصراً لها في خلافة أخيه سليمان [٦٥] . كما بنى مسجداً في مدينة أندس في بعض غزواته مع الروم . وأندس مدينة تقع غرب خليج القسطنطينية أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٧٤ ..

ومن الصفات والخصائص الخلقية القويمة التي كان مسلمة يتصف بها والتي كانت تنسجم مع ما كان يتحلى به من القيم الدينية الإسلامية السامية ، أنه كان بعيداً عن مجالس اللهو والشرب والغناء ، وقد تجلى ذلك بصورة خاصة وواضحة من خلال علاقاته واتصالاته المباشرة مع أخيه الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وما كان يبديه له من نصح

---

(٦٢) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ ٠

(٦٣) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ١٧٧ ٠

(٦٤) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ ٠

(٦٥) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا (كلية الاداب) تحت رقم ت ٠ ٢٢٤ موسكو ، ١٩٦٧ ، قام بنشر النسخة « غريازينويج » ، ص ٢٤٧ ٠

وتوجيه وإرشاد ، نذكر من ذلك : لما كلف يزيد بحبابة ، وانشغل بها وأضاع الرعية ، دخل عليه مسلمة أخوه فقال : يا أمير المؤمنين تركت الظهور للعامة ، والشهود للجمعة ، وأضعت أمر المسلمين واحتجبت مع هذه الأمة (يعني حبابة) فارعُ قليلا واظهر للناس . فقالت حبابة للأحوص : قل شعراً أغني به أمير المؤمنين فقال الأحوص :

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي .... الخ الأبيات . فضرب يزيد بخيزرانته الأرض ، وقال : صدقت .. صدقت ... على مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به [٦٦] ... وعاد لحالته الأولى إلى أن ماتت حبابة ثم مات بعدها بأيام حزناً عليها ووجدا [٦٧] ..

ويشير الطبري ، « أن يزيد بن عبد الملك ، مكث بعد موت حبابة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس ، أشار عليه بذلك مسلمة ، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس » [٦٨] ...

وكان مسلمة يريد من أخيه الخليفة يزيد أن يقتدي بالخليفة الورع

---

(٦٦) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، باب الشعر والشعراء ، تحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ ، ص ٥٠٣ .

وانظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٦١ .

وكان مسلمة يصلي بالناس ، في الوقت الذي كان يزيد يلهو ويشرب مع جاريته حبابة .. وحتى في ساعة وفاة حبابة، اراد يزيد ان يصلي عليها، فكلمه مسلمة وقال : انا اكفيك الصلاة عليها ..

انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ١٥ ، ص ١٠٠ ، ١١٢ .

(٦٧) انظر : ابن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، ص ٥٠٣ .

(٦٨) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٤ .

عمر بن عبد العزيز ، وكان : يعاتبه على استعماله اللهو ، وتضييعه أمر المسلمين فيقول له : إن عهد الناس بعمر بن عبد العزيز قريب ، وهو يريد بذلك أن يسلك طريق عمر بن عبد العزيز [٦٩] وفي لقاء جرى بينهما ، قال مسلمة له : إنما مات عمر أمس ، وقد كان من عدله ما قد علمت ، فينبغي أن تظهر للناس العدل ، وترفض هذا اللهو ، فقد اقتدى بك عمالك في سائر أفعالك وسيرتك [٧٠] .

٤ ـ بعض من خصائص مسلمة ومواقفه المأثورة مع الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز :

والذي كان يقوي ، ويشد من عزيمة مسلمة وتمسكه بالمبادىء الدينية السامية ، والصفات الخلقية العالية هو قد ما تجلى من روابطه الوشيجة وعلاقاته الوثيقة بالخليفة التقي الورع عمر بن عبد العزيز ...

ومما كان يسهل الإتصال المباشر ، وتبادل الزيارات والأحاديث بينهما ـ رابطة «المصاهرة» ، حيث كان عمر زوج فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وهي أخت مسلمة [٧١] ..

---

(٦٩) انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٣٨٢ .

جاء يزيد بن عبد الملك الى الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز مباشرة . كانت خلافة عمر من ٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ م ـ ٧٢٠ م وكانت خلافة يزيد بن عبد الملك من ١٠١ هـ ـ ١٠٥ هـ / ٧٢٠ ـ ٧٢٤ م .

(٧٠) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٧١) وهي فاطمة بنت عبد الملك بن مروان : وامها ام المغيرة بن خالد ابن العاص بن هشام بن المغيرة ...

انظر : الطبري،تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الحسينية،جـ ٨ ، ص٥٧

ويبدو أن عمق الصلات بينهما قد توطدت ، بعد فلك مسلمة الحصار عن القسطنطينية عام ٩٩ هـ / ٧١٧ م ، ورجوعه إلى دمشق ، وكان ذلك بأمر من الخليفة عمر ، عندما تولى كرسي الخلافة في هذا العام .

وقد كان من مظاهر تلك العلاقات والإتصالات ، ما قد تجلى — بصورة خاصة — بما كان يدور بينهما من أحاديث جلها مليئة بالود والتقدير والإعجاب ، والنصح والتوجيه والإرشاد ، وما كان ينجم عن ذلك كله من تأثرات نفسية ، أو مما كانت تتركه من انطباعات ومشاعر عميقة في نفس مسلمة ...

كان مسلمة يتمتع بثروة طائلة ، وأموال هائلة ، فكان يبدو جميل الطلعة ، حسن المظهر ، أنيق الملبس ، فلا غرو أن يحدث هذا رد فعل معاكس في نظر الخليفة الزاهد ، الصوفي الملبس . فيندفع إلى توجيه اللوم والعتاب إلى مسلمة أثناء لقاء جرى بينهما ، فيدخل كليهما في تبادل كلمات ، تنطلق من فميهما ، جلها مليئة بالحكمة والعبرة في معاني الإقتصاد في الصرف ، والعفو عند المقدرة ، واللين بعد الولاية ... يروي صاحب العقد الفريد : أن مسلمة دخل على عمر بن عبد العزيز ، وعليه ريطة [٧٢] من رياط مصر ، فقال له عمر : بكم أخذت هذه يا أبا سعيد ؟ ؟ . فقال : بكذا وكذا . ، قال : فلو نقصت من ثمنها ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسلمة : إن أفضل الإقتصاد ما كان بعد الجدة ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة ،

(٧٢) الريطة : كل ثوب لين رقيق ، يتكون من نسيج واحد ، وقطعة واحدة .

وأفضل اللين ما كان بعد الولاية » (٧٣) .

وفي مجال الأناقة في اللباس ، وما كان يتوق مسلمة إليه ، بأن يظهر الخليفة الورع بالمظهر الجميل ، يروي ابن سعد : أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال لاخته فاطمة بنت عبد الملك ، وهي امرأة عمر بن عبد العزيز : إني أرى أمير المؤمنين قد أصبح اليوم مفيقاً ، وأرى قميصه درناً ، فالبسيه غير هذا القميص حتى نأذن للناس عليه ، فسكتت . فقال : ألبسي أمير المؤمنين غير هذا القميص . فقالت : والله ما له غيره .. (٧٤) ...

---

(٧٣) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ..
اما صاحب العيون والحدائق فيروى هذا اللقاء بينهما ، ولكنه ينسب العبارات الاخيرة الى الخليفة عمر ، حيث يذكر : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة بن عبد الملك عندما رأى عليه حلتي يمنه : « يا ابا سعيد ، ان افضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة ، وافضل اللين ما كان في الولاية ، وافضل العفو ما كان بعد القدرة » .

انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ليدن ، ١٨٦٩ ، ص ٦١ .

(٧٤) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٢ .

وقد انبانا مترجم حياة عمر : ان هذا الخليفة كان يلبس الخلق من الثياب ، ويختلط برعيته دون تكلف أو ترفع ، حتى ان الغريب اذا جاء يقصده لم يميزه عن عامة الشعب » .

انظر : ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ ، ص ١٧٣ . وفيليب حتى ، تاريخ العرب المطول ، ط ٣ ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٨٩ .

وقد بلغ عمر بن عبد العزيز درجة من التقشف والتنسك في حياته ، وملبسه ، ان اصبح القصر الذي كان ينزله اشبه بكوخ راهب متنسك ، وكان يلبس ،كما كانت تلبس حاشيته ،ثياب النسك المصنوعة من رخيص القماش» . =

وفي رواية أخرى لإبن العبري : إن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر فإذا هو على فراش من ليف ، وتحته وسادة من أديم مسجى بشملة ، ذابل الشفة ، كاسف اللون ، وعليه قميص وسخ ، فقلت لأختي فاطمة وهي امرأته : إغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت : نفعل . ثم عدت فإذا القميص على حاله . فقلت : ألم آمركم أن تغسلوا قميصه ، فقالت : والله ما له غيره ... » (٧٥)

كان لهذا المنظر أثر أليم ، ألهب مشاعر مسلمة وعواطفه ، فاندفع قائلاً : فسبحت لله وبكيت وقلت : يرحمك الله لقد خوفتنا بالله عز وجل ، وأبقيت لنا ذكراً في الصالحين (٧٦) .

= انظر : ي ٠ أ ٠ بليابيف ، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة الدكتور انيس فريحة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٦ ٠٠

غير ان عمر الخليفة الناسك ، الصوفي الملبس ، كان غير عمر الوالي الشاب ، المتأنق اللباس ، المتعطر بالروائح الزكية ٠٠ فقد كان « يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار ، فلما أتته الخلافة ، كان يشتري له قميص بعشرة دراهم » ٠٠٠

انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ٠٠

ويذكر ابن عبد الحكم مؤرخ سيرة عمر بن عبد العزيز : « ان عمر عاش شبابه مترفا ناعما يتخير ملابسه من اجود الملابس وانعمها ، وكان اذا سافر حمل ملابسه على ثلاثين وقرا ، وكان مع ذلك يعصف ريحه ويرخى شعره ، ويسبل ازاره ، وكان يتبختر في مشيته ، وكانت لـه مشيةخاصة تسمى العمرية ٠٠ وقد ترك كل ذلك بعد توليه الخلافة ، الا مشيته هذه ٠٠ كما زهد في الدنيا ، ورفض ما كان فيها ، وترك ان يخدم ، كما ترك الوان الطعام »٠

انظر : ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٢ ٠٠

(٧٥) انظر : ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ١١٥ ٠

(٧٦) انظر نفسه ، ص ١١٥ ٠

لا شك أن مسلمة — وهو الرجل الغني ، الكريم المعطاء — كان يريد للخليفة الناسك المتقشف الظاهور بالمظهر اللائق به ، فإن لم يكن له فلأولاده من بعده على الأقل ، ولكن كان سرعان ما يجابه بالرد الحاسم من قبل الخليفة عمر ، وبكلمات ملؤها الزهد ، والتقوى وتفضيل حياة الآخرة على حياة الدنيا ... وهذا ما قد حدث فعلا ، وما قد جرى بينهما من حديث،وذلك عندما دخل مسلمة على عمر في مرضه الأخير الذي مات فيه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك قطمت (أفقرت) أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إلي ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك ، لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله .. فقال عمر : أجلسوني فأجلسوه . فقال : الحمد لله ، أبالفقر تخوفني يا مسلمة .. ثم قال : فإن وصيّي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ... [٧٧]

يبدو أن مسلمة كان يولي عناية فائقة ، واهتماماً بالغاً بالخليفة عمر أثناء مرضه ، وكان يكثر من زيارته ، والتحدث إليه ... ليس هذا فحسب ، وإنما كان يعرض عليه من المال واللباس ما يشاء ولكن كان يجابه بالرفض دائماً ... فقد عرض على عمر مرة مائة ألف (درهماً أو ديناراً) ، ولكن عمر رفض [٧٨] كما عرض عليه ساعة احتضاره أن يزيد حتى في كفنه البالغ دينارين ، ولكن عمر رفضها أيضاً [٧٩] ...

---

(٧٧) انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٤٣٩ .
وانظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، المخطوطة السابقة ، ص ٣٧٤.
(٧٨) انظر : المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج ١ ، مصر ، ص٢٣٧
(٧٩) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٧٤ .

فلا غرو أن تترك كل هذه المواقف ، أثرها العميق في نفس مسلمة ، فتجعله يحس بالمرارة والألم العميق على فقدان هذا الرجل الورع الزاهد فنراه يقف عند رأسه ساعة احتضاره ـ والحزن والأسى يملأن قلبه فينطلق قائلا : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ، فلقد ألنت لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكرا[80].

ولعل هذه كانت الكلمات الأخيرة التي نطق بها مسلمة أمام الخليفة الورع عمر وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .. فعندما مات .. كان مسلمة على رأس المصلين عليه [81] .

٥ ـ بعض من مواقف مسلمة في الاستجارة والاجازة :

إضافة إلى ذلك كله ، فقد كان لمسلمة بن عبد الملك بعض المواقف الفردية المشرفة تجاه بعض الأشخاص الذين وصلوا إلى مناصب إدارية عالية في الحكم الأموي ، والذين جابهوا نقمة وسخطاً من قبل بعض الخلفاء الأمويين ...

نذكر من هؤلاء عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري الذي كان يشغل منصب ولاية المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان وقد غضب الخليفة يزيد عليه غضباً شديداً وعزله عن المدينة وولاها عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وأمره أن يغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ويعذبه ، فلما بلغ ابن الضحاك الخبر هرب إلى الشام فلجأ

---

(٨٠) انظر : المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ ·

(٨١) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٢ ·
مات عمر بن عبد العزيز في دير سمعان ، ويروى انه مات مسموما ·

إلى مسلمة بن عبد الملك ، وقال له : أنا في جوارك ، فأجاره مسلمة واستوهبه من يزيد ، غير أن يزيد أصر على عزله وتعذيبه ، ورده إلى المدينة ، حيث قام عبد الواحد بتعذيبه وتغريمه (٨٢) ..

ونخص بالذكر أيضاً عمر بن هبيرة الفزاري ، الذي كان يشغل منصب ولاية الجزيرة الفراتية في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم شغل منصب ولاية العراق وخراسان بعد عزل مسلمة عنها عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٣) .

وعندما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة عزل عمر بن هبيرة وولي العراق وما يليه من عمل المشرق خالد بن عبد الله القسري (٨٤).

---

(٨٢) وكان سبب غضب الخليفة يزيد بن عبد الملك يعود الى ان عبد الرحمن بن الضحاك خطب فاطمة ابنة الحسين ، فقالت له : والله ما اريد النكاح ، ولقد قعدت على بني هؤلاء ، وقد الح عليها وهددها ، وقال لها : والله لئن لم تفعلي لاجلدن اكبر ولدك في الخمر ، يعني عبد الله بن الحسن، فشكت الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بواسطة « هرمز » ، وكان على ديوان المدينة ...

انظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، طبعة دار المعارف ، ص ١٣ ـ ١٤ .

وانظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ٤٧٤ ..

(٨٣) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٦١٥ .

وانظر : خليفة ابن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٨٤) هناك عوامل عديدة دفعت هشام بن عبد الملك الى عزل ابن هبيرة، منها حب ابن هبيرة للاموال ، واقتنائها لنفسه ، وتعصبه الشديد للقيسية ، كما يروي ان هشام اعطى وعدا لخالد القسري بولاية العراق ، اذا ما ولي الخلافة،وذلك لما كان لخالد القسري،من موقف مؤيد لهشام،حيث استطاع =

لم يكتف هشام بن عبد الملك بعزل عمر بن هبيرة ، وإنما كتب إلى خالد القسري بتعذيبه ، ومصادرة أمواله وحبسه [٨٥] ، وقد استطاع ابن هبيرة الإفلات والهرب من السجن [٨٦] ...

وعندما نجى ابن هبيرة من سجن خالد القسري ، فكر في اللجوء إلى مسلمة بن عبد الملك والإستجارة به . وقال قوم له : أتستجير به وقد وليت ما كان يليه ولم تبق عليه . فقال ابن هبيرة: هو كريـــم فسيجيرني ، ولا يسلمني أبداً [٨٧] ... فتوجه إليه ومعه وجوه القيسية فاستجار بمسلمة فأجاره ، ثم انطلق إلى هشام ، فكلمه في ابن هبيرة فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فأداه [٨٨] ...

= ان يقنع يزيد بن عبد الملك بعدم خلع هشام من ولاية العهد ، كما يشير الى ذلك اليعقوبي :

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٧ ٠

وانظر : عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠

(٨٥) لما اتى بابي هبيرة الى خالد بن عبد الله القسرى ، وهو والي العراق ، اتى به مغلولا مقيدا في مدرعه (ثوب من صوف) فلما صار بين يدي خالد ، القته الرجال الى الارض ، فأمر به الى الحبس ٠

انظر : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ٠

وانظر : العيون والحدائق ، ص ٨٣ ٠

(٨٦) أمر ابن هبيرة غلمانه ، فحفروا له تحت الارض سردابا حتى خرج الحفر تحت سريره ، ثم خرج منه ليلا ، وقد اعدت له افراس يداولها ٠

انظر : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ٠

(٨٧) كان عمر بن هبيرة مع مسلمة بن عبد الملك في حصار القسطنطينية في خلافة سيلمان بن عبد الملك عام ٩٨ ـ ٩٩ هـ / ٧١٦ ـ ٧١٧ م ، وكـان يشغل منصب امير البحر ٠

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٥ ٠

(٨٨) انظر : العقد الفـــريد ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، وانظـــر : العيون والحدائق ، ص ٨٥ ٠

وأخيراً ، إذا كان مسلمة بن عبد الملك لم يفلح بالحصول على عفو الخليفة يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، أو أنه قد أفلح بالحصول على عفو الخليفة هشام بن عبد الملك لعمر بن هبيرة ، فإن هذا كله ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على ما كان يتحلى به مسلمة من خلق سامي رفيع ، وما كان يتمثل به من خصائص عربية أصيلة في حسن الإستجارة والإجارة .



الفَصْل الرّابع

مسلمة بن عبد الملك

ودوره في المجـــال السياسي

١ – مسلمة ومسألة الخلافة .

٢ – مسلمة ومسألة ولاية العهد .

٣ – مسلمة ومواقفه تجاه بعض الميول والحركات السياسية .

الفصل الرابع

١ ـ مسلمة ومسألة الخلافة :

ليس لدينا ـ من النصوص التاريخية ـ ما يشير إلى أن مسلمة بن عبد الملك كان يظهر طموحاً أو ميلا في سبيل الوصول إلى كرسي الخلافة ... وذلك رغم ما تجلت في شخصيته من خصائص وصفات تؤهله لنيل مثل هذا المنصب ......

فقد قيل عنه « لم يكن لعبد الملك بن مروان إبن أسد رأياً ، ولا أذكى عقلا ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مسلمة » [١] ...

وقد قيل فيه أيضاً : « وكان مسلمة شجاعاً ، وخطيباً ، وبارع اللسان . ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده » [٢] ....

وأخيراً ، قال عنه الذهبي : « وكان مسلمة أولى بالخلافة من سائر

---

(١) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ١٣١ .

(٢) انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .

إخوته .....» [٣] ويبدو أن مسلمة ـ سواء كان يشعر ، أو لا يشعر بمثل هذه السمات والخصائص في نفسه ـ ولكنه لم يستغلها للإعراب عن طموحه في سبيل الوصول إلى كرسي الخلافة ، أو حتى إلى منافسة إخوته الأربعة الذين وصلوا إلى هذا المنصب [٤] ....

وليس لدينا أيضاً ـ من النصوص التاريخية ـ ما يشير إلى ظهور ميل لدى عبد الملك بن مروان ، أو أي واحد من أخوة مسلمة الأربعة السابقي الذكر إلى تعيين مسلمة أو ترشيحه لمنصب الخلافة ...

لم كان ذلك كله ؟ ؟ .. وكيف يمكن تفسيره وتعليله ؟ ؟ ...

لقد حاول بعض المؤرخين القدامى تقديم تعليل بهذا الخصوص ، وقد ركزوا في ذلك على كون مسلمة بن عبد الملك « ابن أمة » ، وقد جاراهم في هذا التعليل بعض المؤرخين المحدثين ...

ويظهر أن الطابع العام الذي صورته لنا بعض هذه المصادر التاريخية بأن النظرة العامة التي كانت سائدة في ظل الحكم الأموي نحو المولى[٥]

---

(٣) انظر : خير الدين الزركلي ، كتاب الاعلام ، ط ٢ ، جـ ٧ ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٢ ٠

(٤) وهـم :

الوليد بن عبد الملك : خلافته من ٨٦ هـ ـ ٩٦ هـ / ٧٠٥ م ـ ٧١٥ م ٠
سليمان بن عبد الملك : خلافته من : ٩٦ هـ ـ ٩٩ هـ / ٧١٥ م ـ ٧١٧م٠
يزيد بن عبد الملك : خلافته من : ١٠١ هـ ـ ١٠٥ هـ/٧٢٠م ـ ٧٢٤ م ٠
هشام بن عبد الملك : خلافته من : ١٠٥ هـ ـ ١٢٥ هـ/٧٢٤م ـ ٧٤٣م ٠

(٥) المولى : وهو مسلم غير عربي أبا وأما ٠

أو « ابن الأمة » [٦] ، كانت نظرة ازدراء واحتقار بحيث لا تؤهل أياً منهما من الوصول إلى منصب الخلافة ، أو إلى مناصب سياسية أو إدارية عليا في الدولة ... ولا شك أن مثل هذه النظرة لم تكن واقعية أو منسجمة مع ما كان يحدث فعلا من وصول بعض من هؤلاء إلى مثل هذه المناصب

والتاريخ الأموي يحدثنا عن بروز بعض من هؤلاء إلى مناصب الولاية ، والقيادة والقضاء كما وصل بعض منهم إلى كرسي الخلافة ، مثل يزيد الثالث الملقب بالناقص وأمه فارسية ، وكذلك مروان بن محمد الملقب بالحمار — وهو آخر خلفاء بني أمية ، وأمه كردية ...

وعليه ، فالتعليل القائل بأن « إبن الأمة » غير مؤهل للوصول إلى منصب الخلافة بصورة خاصة — وهو ما ينطبق على مسلمة بن عبد الملك — هو تعليل غير واقعي ولا منطقي، لذا آلينا تركيز كلامنا هنا على هذا التعليل وذكر المصادر والمراجع التي قالت به مع مناقشته وتحليله ونقده .

فقد جاء من ذلك في بعض المصادر : « إن بني أمية كانت لا تستخلف بني الإماء . وقالوا : لا تصلح لهم العرب .. » [٧] ...

وينقل صاحب العقد الفريد رواية عن الأصمعي قوله : « أن بني أمية كانت لا تبايع لبني أمهات الأولاد ، فكان الناس يرون ذلك

---

(٦) ابن الامة : وهو من أب عربي وأم اعجمية : فارسية كانت أم رومية أو كردية .... الخ ..

(٧) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

لإستهانة بهم .. [٨] ... ويستمر صاحب العقد الفريد برواية الأصمعي في قوله : « ولم يكن لذلك ، ولكن لما كانوا – أي بنو أمية – يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد .. فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه، وكانت أمه بنت فيروز بن يزدجرد ابن كسرى يذكر الطبري أن أمه وإسمها شاه افريد بنت فيروز ابن يزدجرد وكان يزيد يقول :

أنا ابن كسرى وأبي مروان   وقيصر جدي وجدي خاقان

أنظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الحسينية ، ج٩ ، ص ٤٦ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ، فلم يلبث إلا تسعة أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروان بن محمد وأمه كردية ، فكانت الرواية عليه .. » [٩]

وعلى هذا تأثر بعض المؤرخين المحدثين بهذه الروايات والأقاويل وعللوا على ضوئها عدم أهلية مسلمة بن عبد الملك من الوصول إلى كرسي الخلافة ... فقد جاء في ذلك مثلا : « وكانت بنو أمية لا تزال تعلق قيمة كبيرة على ميلاد الرجل من أم كريمه . وكانت أم مسلمة بن عبد الملك جارية غير عربية ، ولذلك لم ينظر إليه الترشيح للخلافة ، رغم أنه كان رجلا كفؤاً وحاذقاً ، ورغم أنه كانت له في أسرة الأمويين أرفع مكانة » [١٠]

---

(٨) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٩) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ صـ ١٣١ .

(١٠) انظر : فلها وزن ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ ، هامش رقم (١) .

ونحن في تحليلنا لفحوى هذه الروايات ومحتواها ، ولكي يسهل علينا مناقشتها والتعايق عليها ، ارتأينا حصرها وصياغتها بالأمـــور الآتية :

١ ـ إن العرب ـ كانت ترى عدم صلاحية أبناء الإماء للخلافة.

٢ ـ إن الناس ـ وهي كلمة عامة ـ كانت تستهين بأبناء الإماء لذا كانت بنو أمية لا تبايع لهم ...

٣ ـ وإن الأمويين كانوا يتشاءمون من « ظن الناس » بأن زوال ملكهم يكون إذا ما استخلف عليهم ابن أمة ...

الواقع ، أن هذه الأمور الثلاثة ـ منفصلة أو مجتمعة ـ تثير في ذهننا ـ أو في ذهن غيرنا ـ كثيراً من الشكوك والتساؤلات عـــلى الصعيدين النظري والواقعي ، نستطيع طرحها بالأمور الآتية : ـ

١ ـ وفيما يخص الأمر الأول فما علينا إلا أن نسأل : من قال أن العرب ، كانت ترى عدم صلاحية أبناء الإماء للخلافة ؟ ؟؟ وما هو القصد من وراء إلصاق هذا الزعم بالعرب ؟؟ والعرب منه براء... خاصة وبعد أن انصهر العرب انصهاراً تاماً في بودقة المبادي الإسلامية الإنسانية السامية ، والتي لا تفرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ...

وأي خليفة يا ترى من خلفاء العرب كان يرى مثل هذا ؟ ؟ .. وحتى لو جعلنا هذا على صعيد الخلافة الأموية ، فأي خليفة مـــن خلفائهم كان ينظر إلى ابن له من جارية ـ نظرة ازدراء واحتقار .. ؟ وأما بخصوص مسلمة بن عبد الملك بالذات ، فهل كان أبوه ينظـــر إليه بمثل هذه النظرة ، وهو الذي نعته « بناب بني أمية » وغيرها من النعوت والصفات السامية العالية .....

٢ - وفيما يخص بالأمرين الثاني والثالث ، فما علينا إلا أن نطرح الأسئلة الآتية :

أ - من هم هؤلاء « الناس » الذين كانوا يستهينون بأبناء الإماء ؟ وعلى أي مستوى فكري ، أو اجتماعي أو سياسي كان هؤلاء ؟ ؟ ..

ب - وهل أن الأمويين « وكل الأمويين » - سواء كانوا على الصعيد الرسمي أو على الصعيد الشعبي - كانوا يتشاءمون من « ظن الناس » بزوال ملكهم ، إذا ما استخلف عليهم ابن أمة ؟ ؟ ...

جـ - وأي خليفة من خلفاء بني أمية ، كان قد أظهر تشاؤمه من « ظن الناس » هذا ؟ ؟ ..

٣ - إن مثل هذه الروايات وغيرها ، رغم عدم انسجامها مع الأسس والمبادىء الشرعية التي جاء بها الإسلام والتي أقرت من قبل الفقهاء في شروط ولاية العهد أو الخلافة ... [١١] فإنها تفتقر في الوقت نفسه إلى النصوص التاريخية .. خاصة وأن لدينا من النصوص التاريخية ما يشير إلى أن بعض خلفاء بني أمية قد عقد البيعة لأبناء إماء لمنصب ولاية العهد ، كما تجلى ذلك عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك [١٢] .. كما أن يزيد الثالث (الناقص) الذي ولي الخلافة بعده كان ابن أمة وأمه فارسية ، وأن مروان بن محمد (الحمار) آخر خلفاء بني أمية كان ابن أمة أيضاً وأمه كردية ... كما أشرنا إلى ذلك ..

---

(١١) انظر بهذا الخصوص - الماوردي - الاحكام السلطانية ..

(١٢) فالوليد بن يزيد بن عبد الملك : (١٢٥ هـ - ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م - ٧٤٤) ، وقد عقد البيعة لاثنين من ابنائه ، وكانا ابنين لام ولد كانت أمهم جارية عنده ، ولم يكونا قد بلغا سن الرشد ...

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٤٦ .

٤ – والواقع كما يبدو لي ، أن مثل هذه الروايات وغيرها ، لم تكن من طبيعة الفكر العربي الإسلامي إذا كان ذلك على الصعيد النظري ولا من طبيعة الحكم الأموي – وعبر تاريخه – إذا كان ذلك على الصعيد الواقعي ... وإنها لا تعدو عن كونها روايات موضوعة ، أريد بها إشاعة الفوضى ضد الحكم الأموي ، والإسراع به نحو الزوال والسقوط ، وهي لا تقل عن بقية الشعارات والأفكار الأخرى التي كانت تطرح آنذاك بين الناس الساخطين على هذا الحكم ... مثل إشاعة فكرة الرجل المنقذ ، أو صاحب الرايات السود الذي يظهر من المشرق فيزيل حكم بني أمية أو ظهور المهدي المنتظر وغيرها ....

وعليه – فالمسألة تبدو – في أن عدم ترشيح مسلمة بن عبد الملك بالذات إلى منصب الخلافة ، أو منصب ولاية العهد – أبعد بكثير عن مسألة كونه « ابن أمة » بقدر ما هي مسألة كانت تتعلق بالموقف الذي يكون عليه الخليفة [١٣] ، وميله أو رغبته في ترشيح ابنه أولا وتفضيله على غيره من إخوته أو غيرهم من أفراد الأسرة الأموية أو إلى ظروف أخرى خاصة كانت تحيط بالخليفة ، عندما كان يقدم على ترشيح أحد

---

(١٣) لم يكن هناك دستور او نظام معين له اسسه وقواعده – على الصعيد العملي او الواقعي – يقرر على ضوئه تقرير مصير الخلافة او ولاية العهد ، وذلك منذ ان اوجد معاوية بن ابي سفيان – ولاول مرة في التاريخ الاسلامي – مبدأ ولاية العهد ، او مبدأ الوراثة في الحكم .. لذا كان هذا المبدأ يسير وفقا لما كانت تمليه الظروف المحيطة بكل خليفة ، فهو الذي كان يقرر في جعل هذا المبدأ مباشرا – اي لاحد ابنائه من بعده – او غير مباشر – اي لاحد من افراد الاسرة او العائلة الحاكمة للاخ او لابن العم وهلمجرا ..

من أفراد الأسرة للخلافة أو وكيل عهد لها .. [١٤] ...

---

(١٤) لو تتبعنا عملية سير تطبيق ولاية العهد ، وضربنا على ذلك أمثلة من الواقع الذي مرت به عبر التاريخ الاموي لاصبح الامر امامنا واضحا وجليا ، ولنبدأ بعرض الامثلة بصورة مركزة ودقيقة ـ بدءا بخلافة عبد الملك ابن مروان :

١ ـ لقد جهد عبد الملك بن مـــروان ان يحمل اخاه عبد العزيز على التنازل عن الخلافة ، لكي يصرفها الى ابنه الوليد ، ولكن لم يثمر ، وامتنع عبد العزيز امتناعا شديدا ، ولم يفد معه الترهيب ولا الترغيب ، ولكن القدر اسعد عبد الملك ، بان مات عبد العزيز قبله ، وعند ذلك جعل عبد الملك ولاية العهد في الوليد اكبر ابنائه .

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٦ .

٢ ـ وجاء بعد الوليد الاول أخاه سليمان ، وكان عبد الملك قد اخذ له البيعة وليا للعهد بعد الوليد ، ومما يذكر ايضا . ان عبد الملك قد عقد لابنه يزيد على ان يتولى الخلافة بعد الوليد وسليمان ابنيه ، واخذ عبد الملك من الوليد وسليمان العهد على ذلك ..

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ .

ومن الجدير بالذكر ، ان الوليد حاول خلع اخيه سليمان مـــن ولاية العهد ، وتعيين ابنه عبد العزيز في عام ٩٦ هـ / ٧١٤ م ، ولكن وفـــاة الوليد حالت دون ذلك .

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٩٩ .

٣ ـ ولكن سليمان لم يلتزم بالعهد ، فعهد الى ابنه أيوب بالخلافة ،ولكن ايوب مات في حياة سليمان . وقبل ان يجعل سليمان الخلافة في ابنه الثاني داود ـ وكان هذا مع الجيش الاموي امام القسطنطينية ـ وكان سليمان على فراش الموت .. فوقع سليمان تحت تأثير الرجل الفقيه العالم ـ رجاء بن حيوة الكندي،الذياستطاع ان يقنع سليمان بأن يرضى الله بوصية يستخلف فيها على المسلمين الرجل الصالح .. فتخطى سليمان الورثة المباشرين،وعهد بالخلافة الى ابن عمه الورع التقي عمر بن عبد العزيز ، على ان يكون بعده يزيد بن عبد الملك ... =

وبخصوص مسلمة بن عبد الملك بالذات ، فإنه ــ كما أوضحت سابقاً ــ قد صوف نفسه منذ البداية عن الظهور بمظهر الرجل الطموح للخلافة ، أو لولاية العهد وأنه قد وجه جديع طاقاته وقدراته الشخصية والفكرية نحو الأدب ورعايته ــ كما أشرت ، وإلى تولي قيادات عسكرية وإدارية وإلى استغلال ثرواته الكبيرة في مشاريع اقتصادية نافعة ، كما سنشير إلى ذلك من خلال هذا الفصل والفصول الأخرى القادمة ...

والواقع ، أن مسلمة بن عبد الملك لم يقف موقف المتفرج ، أو أنه كان يقف مكتوف اليدين إزاء ما كان يحدث حوله من أمـــور تتعلق بتقرير مصير الخلافة ، أو لمن كان يرشح لولاية العهد ، وإنما كانت له مواقفه الجريئة في النقد ، والتوجيه ، والنصح والإرشاد وحتى في ترشيح من ستؤول إليه ولاية العهد ...

= انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧ ٠

٤ ــ وان عمر بن عبد العزيز قال عند وفاته : لو كان الامر الي لوليت ميمون بن مهران والقاسم بن محمد ، وكانا من فقهاء عصره ٠

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٢ ــ ٥٣ ٠٠

٥ ــ وقد حاول يزيد بن عبد الملك جعل ولاية العهد لابنه الوليد ، غير ان صغر سنه حال دون ذلك ٠٠ وقد لعب مسلمة بن عبد الملك دوره الرئيسي والفعال في اقناع يزيد ، وجعل ولاية العهد لهشام اخيه ، ومن بعده لابنه الوليد ، فنجح بذلك ٠٠ كما سنوضح ذلك من خلال هذا الفصل ٠

٦ ــ واخيرا ، فان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عقد البيعة لولدين له ــ وكانا ابنين لام ولد ــ كما اشرنا ٠٠٠

وعليه ، فمن هذا العرض الدقيق المركز ، نستطيع ان نخرج : بانه لم تكن هناك قاعدة معينة للترشيح للخلافة او لولاية العهد ٠ كما انه لم نلمس من خلال هذا العرض المركز ايضا ، اي تجاه يشم منه رائحة التمييز في كون المرشح هو ابن امه او ابن حرة ٠٠٠

فمن مواقفه الجريئة ، يروى أنه قال لأخيه هشام : كيف تطمح في الخلافة ، وأنت بخيل وأنت جبان . [١٥] ...

كما كان لمسلمة مواقف مشهودة مع بعض الخلفاء الذين عاصرهم ولازمهم ، فمن ذلك ، ما سبق أن أشرنا إليه من علاقاته الوطيدة مع الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز [١٦] واتصالاته الوثيقة مع أخيه الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وملازمته إياه حتى ساعة وفاته [١٧] ....

وقد لعب مسلمة دوراً فعالا في مجيء أخيه هشام إلى كرسي الخلافة كما سنشير إلى ذلك . ويروى ، أن هشاماً ما كان يسير في موكب إلا ومسلمة أخوه معه [١٨] ... وعندما كانت العلاقة تسيء بين هشام وولي عهده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كان « مسلمة يعيب هشاماً ويكفه عنه » [١٩] ...

أليس في هذا كله ما ينم على أن مسلمة بن عبد الملك كان خليفة ... ولكن بلا إسم أو بلا مسمى ، إن صح لنا هذا التعبير ...

---

(١٥) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ .
ويروى ان الوليد كان يقول لاخيه هشام أيضا : يا احول يا مشئوم .
انظر : نفسه ، جـ ٣ ، هامش (٥) ص ١٨٨ .

(١٦) راجع ما ورد في ذلك في الفصل الثالث .

(١٧) راجع ما ورد في ذلك في الفصل الثالث .

(١٨) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٤٥٣ .

(١٩) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٨٢ ..

٢ ـ مسلمة ومسألة ولاية العهد :

ذكرت أن مسلمة لم يرشح لمنصب ولاية العهد ، لا من قبل أبيه عبد الملك ، ولا من قبل أحد من إخوته الأربعة الذين تربعوا على كرسي الخلافة [٢٠]... ولم يكن ذلك بدافع من كون مسلمة « ابن أمة» ، وإنما كان تبعاً للظروف التي كانت تحيط بكل خليفة ، كما أسلفنا ، وإلى ما كان أيضاً من أمور تتعلق بمسلمة نفسه الذي لم يظهر طموحاً أو ميلا لنيل مثل هذا المنصب ، رغم ما كان يتحلى به من كفاءة عالية ، ومكانة سامية بين أعضاء الأسرة الأموية ...

ومع ذلك فقد كان مسلمة يرقب الأحداث عن كثب ويرصد ما كان يجري من أمور ، خاصة تلك التي كانت تتعلق بتقرير مصير ولاية العهد ، والتي برزت مشكلتها بصورة جلية في خلافة يزيد بن عبد الملك ...

ويبدو أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لم تكن تتبلور في ذهنه بعد فكرة مسبقة في تعيين أو ترشيح ولي عهد له يخلفه لتولي منصب الخلافة ، خاصة وأن ابنه الوليد كان لا يزال فتى يافعاً رغم أنه كان يرغب في قرارة نفسه أن تكون ولاية العهد له ..

وقد برز ثلاثة مرشحين لولاية العهد وهم :

١ ــ الوليد بن الخليفة يزيد ، وهو فتى ، وكان يومئذ ابن إحدى عشرة سنة [٢١] .

---

(٢٠) انظر : ما ورد في هامش رقم (٤) من هذا الفصل .
(٢١) انظر : تاريخ الخلفاء ، مؤلف مجهول ، ص ٣٨٢ .

٢ ـ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، الذي كان العباس بن الوليد يميل إلى ترشيحه [٢٢] ، ولكن مسلمة استطاع أن يقنع الخليفة يزيد ويمنعه ، ويجعل ولاية العهد لهشام ومن بعده للوليد بن يزيد بن عبد الملك [٢٣] .

٣ ـ هشام بن عبد الملك ،، والذي كان مسلمة يميل إلى ترشيحه لولاية العهد ، فنجح ...

ولعل في المقابلة التي جرت بين يزيد بن عبد الملك ومسلمة ، ما يكشف لنا النقاب عن دور مسلمة ونجاحه في جعل ولاية العهد لهشام ابن عبد الملك أولا ومن بعده للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وهـذه نصها : ـ

« قال العباس بن الوليد للخليفة يزيد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً إلى عبد العزيز بن الوليد لكان سكناً لأهل الشام .. فقال يزيد : أنظر في الأمر ، وامضيه غداً إن شاء الله . فبلغ الخبر مسلمة ، فدخل على يزيد وقال : يا أمير المؤمنين ، أولد عبد الملك أحب إليك أم ولد الوليد ؟ قال : بل ولد عبد الملك . قال : وأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ فقال : إذا لم يكن في ولدي ، فأخي أحق بها من ابن أخي . قال : فبايع إذاً لأخيك هشام ، ومن بعده لإبنك الوليد .. والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة .. فعقد الأمر لهشام ، ولإبنه الوليد من بعده ، فبايع الناس لهما على ذلك في سنة اثنتين ومائة » [٢٤] ...

---

(٢٢) انظر : تاريخ الخلفاء ، مؤلف مجهول ، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٢٣) انظر : العيون والحدائق لمؤلف مجهول ، ص ٨٢ .

(٢٤) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ ، والاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٧ ، ص ٢ ـ ٣ .

وقد ساور يزيد بن عبد الملك الندم على بيعته لهشام ، وتقديمه على ابنه الوليد ، وقد جاء في ذلك : « إن يزيد كان إذا رأى الوليد ابنه توجع بسبب تأخيره من بعد هشام ، لأن الوليد كان عند مبايعة أبيه لهشام صغيراً لم يبلغ ، فلما بلغ الحلم ، ندم على تولية هشام ، وقال : لو انتظرت بلوغ ابني ... ولكن مسلمة لم يدعني ، وكان إذا رأى الوليد يقول : ألله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك[٢٥] .

ولعل في مشكلة ولاية العهد هذه والتي برزت في خلافة يزيد بن عبد الملك لخير دليل أيضاً على ما سبق أن أشرنا إليه ، وذلك بأن تقرير مصير ولاية العهد ، كانت تتوقف على الظروف التي كانت تحيط بالخليفة نفسه ، ورغبته ، وهي أبعد من أن تكون مسألة كون هذا الشخص هو « ابن أمة » أم لا ....

٣ ـ مسلمة ومواقفه تجاه بعض الميول والحركات السياسية والعسكرية :

مسلمة بن عبد الملك رجل أموي ومن الفرع المرواني . وقد كرس جميع جهوده وطاقاته الإدارية والعسكرية ، والمالية والفكرية في صيانة الخلافة الأموية المروانية والدفاع عنها وتثبيت أركانها . وقد تعاون تعاوناً وثيقاً وإيجابياً مع جميع الخلفاء الأمويين الذين عاصرهم وعاش معهم ، بدأً بخلافة أبيه عبد الملك بن مروان وانتهاءاً بخلافة أخيه هشام ابن عبد الملك . ويعني هذا أنه واكب مسيرة ستة خلفاء مروانيين ...

وتعتبر الفترة التي عاصرها مسلمة وواكب مسيرتها أوج ما

---

(٢٥) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٨٢ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٩١ .

بلغته الخلافة الأموية من التقدم والرقي والقوة في مختلف شؤون الحياة الفكرية ، والحضارية والإدارية والعسكرية ، كما شهدت – الفترة نفسها – أعنف الحركات والثورات السياسية والعسكرية ..

إن الذي يهمنا هنا هو تبيان مواقف مسلمة تجاه بعض الميول السياسية التي تمثل بعضها على صعيد فردي ، وبعضها الآخر على صعيد ثورات سياسية وعسكرية أسهم في بعضها ولم يسهم في بعضها الآخر ، ويمكن أن نبرزها بخمس تجاهات نركزها بما يأتي : –

أ – ثورات سياسية وعسكرية قامت ضد نظام الحكم الأموي ، ولم يسهم مسلمة في مقاومتها ، لكونه كان صغير السن يافعاً . كالثورة المختارية [٢٦] والثورة الزبيرية [٢٧] ... وثورة أخرى عسكرية قامت ضد الحكم الأموي لم يسهم أيضاً في مقاومتها – لكونه كان بعيداً عنها منشغلا بحرب الروم – وهي الثورة الأشعثية [٢٨].

ب – ثورة سياسية وعسكرية عارمة ، زعزعت مركز الخلافة الأموية وهزتها في الصميم في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وهي ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفره في العراق في عام ١٠٢ هـ

---

(٢٦) كانت ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة سنة ٦٦هـ / ٦٨٥ م . وكان عمر مسلمة حوالي ثلاث سنوات .

(٢٧) كانت ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز ، وثورة اخيه مصعب بن الزبير في العراق (البصرة) في الفترة ما بين ٦٧ هـ – ٧٣ هـ / ٦٨٦ م – ٦٩٢ م . وكان عمر مسلمة خلالها من اربع الى عشر سنوات .

(٢٨) كانت ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي والقضاء عليها بين سنتي ٨١هـ – ٨٣هـ / ٧٠٠م – ٧٠٣م في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق ..

٧٢٠ م . وقد أسهم مسلمة في القضاء عليها قضاء تاماً ، حيث كان قائداً للجيش ... كما سنوضح ذلك ..

ج – ثورات الخوارج وحروبهم . ولم يسهم مسلمة في مقاومتها جميعاً إلا في واحدة منها ، وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك كما سنوضح ذلك .

د – بعض من مواقف مسلمة الطيبة والمشرفة مع بعض الشخصيات ذات الميول العلوية والعباسية ..

وبخصوص هذه النقطة الرابعة ، فقد سبق أن أوضحنا ، وأشرنا إلى مواقف مسلمة المشرفة تجاه الشاعرين العاويين المشهورين الكميت ابن زيد (٢٩) ، وأبو نخيلة (٣٠) .

وأما بخصوص مواقفه المشرفة أيضاً تجاه بعض الشخصيات السياسية العباسية ، فقد سبق أن أوضحنا ذلك أيضاً وبصورة خاصة في موقفه المشرف تجاه محمد بن علي العباسي المنظم الأول للدعوة العباسية (٣١) .

هـ – وقد كان لمسلمة أيضاً بعض المواقف الفردية المشرفة مع بعض الأشخاص الذين وصلوا إلى مناصب سياسية وإدارية عالية في

---

(٢٩) راجع تفاصيل ما ذكر بهذا الخصوص في اعلا هامشين ٢٩ و ٣٠ من الفصل الثالث .

(٣٠) راجع تفاصيل ما ذكر بهذا الخصوص في اعلا هامش ٣٧ من الفصل الثالث .

(٣١) راجع تفاصيل ما ذكر بهذا الخصوص في هامش ٥٥ من الفصل الثالث .

الحكم الأموي ، والذين جابهوا سخطاً ونقمة من قبل بعض الخلفاء الأمويين ، نذكر منهم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، الذي كان يشغل منصب ولاية المدينة المنورة في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان .. وقد غضب عليه الخليفة يزيد غضباً شديداً وعزله عن ولاية المدينة .. وقد هرب إلى الشام ، فلجأ إلى مسلمة ، فأجاره مسلمة واستوهبه من الخليفة يزيد ، غير أن الخليفة أصر على عزلـه وتعذيبه [٣٢] .

ونخص بالذكر أيضاً عمر بن هبيرة الفزاري ، الذي كان يشغل منصب ولاية الجزيرة الفراتية من خلافة عمر بن عبد العزيز ثم شغل منصب ولاية العراق — بعد عزل مسلمة عنه عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في خلافة يزيد بن عبد الملك . ولما ولي هشام بن عبد الملك الخلافـة عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق ، وولاها خالد بن عبد الله القسري . ولم يكتف هشام بن عبد الملك بعزل عمر بن هبيرة ، وإنما كتب إلى خالد القسري بتعذيبه ومصادرة أمواله وسجنه .

وقد استطاع ابن هبيرة الهرب من السجن واللجوء إلى مسلمة ، فاستجار بمسلمة فأجاره ، ثم انطلق به إلى هشام بن عبد الملك ، فكلمه فيه ، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فاداه .. [٣٣] ...

هكذا لعب مسلمة بن عبد الملك دوراً سياسياً بارزاً في ظل الحكم الأموي ، سواء كان ذلك على صعيد الدولة كمسألتي الخلافة وولاية

---

(٣٢) راجع تفاصيل ما ورد بهذا الخصوص في موضوع الاستجارة والاجارة من خلال الفصل الثالث .

(٣٣) راجع تفاصيل ما ورد بهذا الخصوص في موضوع الاستجارة والاجارة من خلال الفصل الثالث ..

العهد ، أو على صعيد بعض الحركات والثورات السياسية والعسكرية والتي كان له في بعضها مواقف حازمة وقوية أسهم في القضاء على بعضها فساعد على تثبيت أركان الدولة الأموية ... إضافة إلى مواقفه المشرفة تجاه بعض الشخصيات ذات الميول السياسية العلويةمنهاوالعباسية ... وكذلك تجاه بعض الأشخاص الذين جابهوا سخطاً ونقمة من بعض خلفاء بني أمية فاستجارهم وأجارهم . ولعل في كل هذه المواقف ما يدلل على قوة شخصية هذا الرجل ، وعلى ما كانت تتمثل فيه من خصائص وصفات متميزة تنم عن مواهب وقدرات عالية سجلت له في بطون التاريخ .



الفَصْل الخَامِسْ

مسلمة بن عبد الملك

ودوره

في المجـالين المـــالي والإقتصادي

الجانب المالي : ـ

١ ــ الجزية .
٢ ــ الخراج .
٣ ــ الغنيمة .
٤ ــ ضريبة التجارة .
٥ ــ الرزق والعطاء .

الجانب الاقتصادي : ـ

١ ــ مسلمة بن عبد الملك : ضياعه وأملاكه .
٢ ــ سياسته الإقطاعية .
٣ ــ أعماله ونشاطاته في الزراعة ومشاريع الري .
أ ــ في المجال الإجتماعي .
ب ــ في المجال الفردي ..

الفصل الخامس

مسلمة بن عبد الملك

ودوره

في المجالين المالي والإقتصادي

كان مسلمة بن عبد الملك أكبر رجل مال واقتصاد شهده العصر الأموي : وقد ضارع بذلك أكبر القادة والولاة ، وحتى الخلفاء الأمويين الذين عاصرهم ...

وسنحاول هنا أن نقدم صورة واضحة – مركزة ودقيقة – لما قام به هذا الرجل من أعمال ونشاطات في المجالين المالي والإقتصادي خلال الفترة التي عاشها ، سواء ما كان منها على صعيد المسؤولية في الولاية والقيادة ، أو عندما كان خارج نطاقهما ...

الجانب المالي :

وسنتناول فيه سياسة مسلمة تجاه الضرائب الشرعية التي كان مقرراً فرضها في عهدي الرسول (ص) والخلافة الراشدة في ضريبتي الجزية والخراج ، وضرائب التجارة ، وفي مجال العطاء والرزق ...

١ ـ الجزية :

تعني الجزية في مفهومها الشرعي ، ضريبة رأسية أو فردية ، تفرض على أهل الذمة ، على من بلغ سن الرشد ، والقادر على العمل وبعض منها الأطفال ، والنساء والشيوخ ... ولدينا ما يشير بأن مسلمة قد سار وفق هذه الأسس والقواعد « فحينما افتتح مسلمة مدينة الجراجمة في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك ، لم يأخذ من نسائهم وأولادهم جزية [1] ...

٢ ـ الخراج :

والخراج يعني في مفهومه الشرعي ، ضريبة تفرض على الأرض . وقد حاول مسلمة تنظيم هذه الضريبة وضبطها ، وخاصة أثناء ولايته القصيرة الأمد على العراق عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في خلافة أخيه يزيد ابن عبد الملك ... فقد كان له عاملا خاصاً على ديوان الخراج ، كما يشير إلى ذلك الطبري حيث يقول : وكان على ديوان الخراج ، سليمان ابن سعد الخشي » [2] .

ورغم أنه لم تصل إلينا الأسس والقواعد التي كان يسير عليها مسلمة بخصوص هذه الضريبة ، ولكن يبدو أنه كان يطبق « نظام المقاسمة »[3] ، كما يتضح ذلك في إقليم الجزيرة الفراتية ، فعندما كان

---

(١) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف، ص ١٨١ .

(٣) نظام المقاسمة : وهو عبارة عن اخذ نسبة معينة من الغلات الزراعية من الاراضي المزروعة .. وكان الى جانب هذا النظام ، نظام آخر دعي «بنظام المساحة » : وكان الخراج بموجبه يؤخذ نقدا وعلى المساحة زرعت الارض ام لم تزرع .
=

مسلمة قائداً على الجيوش الإسلامية في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك جاء إليه أهالي مدن بولس ، وقاصرين ، وعابدين ، وصفين (وهي من الثغور الجزرية) ، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أراضيهم ، على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ففعل . فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط »[٤]

ويبدو من هذا النص التاريخي ، أن مسلمة كان يأخذ لنفسه ثلث غلاتهم الزراعية وفقاً للإتفاق الذي تم بينه وبين أهالي هذه المدن إضافة إلى « العشر » الذي كان يذهب إلى بيت مال الدولة ...

٣ ـ الغنيمة :

كان مسلمة بن عبد الملك يطبق المبادىء الشرعية الخاصة بالغنيمة أو الغنائم التي كان يحصل عليها من المدن التي كانت تفتح عنوة . فكان يخرج منها الخمس ويبعث به إلى الخليفة في دمشق حيث فيها بيت المال المركزي ، ثم يقسم الباقي من الأربعة أخماس بين المقاتلة من المسلمين ، وفقاً للآية القرآنية : « واعلموا إن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

ومن ذلك أن مسلمة فتح مدناً عديدة عنوة في غزواته في أرض

= انظر : الدكتور عواد مجيد الاعظمي ، الزراعة والاصلاح الزراعي في عصر صدر الاسلام والخلافة الاموية ، بغداد ، ١٩٧٨ هامش صفحة ، ١٢٩ .

(٤) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

الروم منها عمورية ، ونقفورية وغيرها ، وحصل على غنائم كثيرة منها. «فبلغت مثلا غنائم عمورية يومئذ أكثر من مائتي ألف مثقال من الذهب والفضة سوى الأمتعة والبغال والحمير ، فأخرج مسلمة من ذلك الخمس ووجه به إلى أبيه عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه يخبره بفتح عمورية ، وقسم باقي الغنائم في أصحابه ..

أنظر : إبن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، ج٧ ، ص ١٨٦ .

وكذلك بلغت غنائم نقفورية مائة وثمانين ألف مثقال من الذهب والفضة ، سوى الدواب والأمتعة والرقيق ، فأخرج مسلمة الخمس من تلك الغنائم ، فوجه بها إلى أبيه عبد الملك بن مروان ، وقسم باقي ذلك على المسلمين » ..

أنظر : نفسه ، ج ٧ ، ص ١٨٨

وأخيراً ، فقد كان كلما اجتمع عند مسلمة شيء من الغنائم ، يخرج منها الخمس ، فيوجه به إلى أبيه عبد الملك ، ويقسم باقي ذلك في المسلمين ، كما يشير إلى ذلك ابن أعثم الكوفي .

أنظر نفسه ج ٧ ، ص ١٩٦

وكان مسلمة لا يفضل نفسه أو يميزها عن بقية المسلمين في توزيع الأموال وقسمتها ، وإلى ذلك يشير ابن أعثم الكوفي بقوله : أن اليون ملك الروم بعث إلى مسلمة بالهدايا النفيسة ، فوزعها في المسلمين ، ولم يفضل نفسه عليهم بقليل ولا كثير .. »

أنظر : نفسه ج ٧ ، ص ٣٠٥

٤ ـ ضريبة التجارة :

وفيما يتعلق بضرائب التجارة ، فقد سار مسلمة على نفس الأسس والقواعد التي كانت تطبق في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب [٥] فحينما أرسل الوليد ابن عبد الملك أخاه مسلمة لقتال الجراجمة والروم كان مسلمة في الوقت نفسه يلاحظ معاملة تجارهم للمسلمين ، فأمر بأن يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين [٦].

ويبدو أن مسلمة بن عبد الملك كان يصحب معه أثناء حملاته العسكرية في بلاد الروم – تجار المسلمين ، وخاصة تجار « الجملة » وهم أولئك الذين كانوا يرافقون الجيوش الإسلامية في حملاتها ، فيزودونها بما تحتاج ، أو يشترون غنائم الحرب ، مكونين أسواقاً متنقلة [٧] ... كما أن هؤلاء التجار أعاروا الجيوش الإسلامية التي كانت تحارب الروم بقيادة مسلمة بن عبد الملك عشرين ألف دينار [٨].

---

(٥) يروي ان ابا موسى الاشعري ـ عامل العراق ـ اخبر الخليفة عمر بن الخطاب ـ ان تجار المسلمين اذا دخلوا دار الحرب اخذوا منهم العشر ، فأمر الخليفة عامله ااخذ مثل ذلك من تجار دار الحرب ٠٠

انظر : يحيى بن ادم ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ٠

(٦) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٦

(٧) انظر : الدكتور صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ٢٦٤ ٠

(٨) انظر : نفسه ، صـ ٢٦٥ ، عن البلاذري ، انساب الاشراف ، جـ ٥، ص ١١٢ ٠

٥ ـ الرزق والعطاء :

أولى مسلمة بن عبد الملك اهتمامــاً كبيراً بنظامي العطاء [٩] ، والرزق [١٠] وطبق الأسس والقواعد المعاشية المتبعة بهما ...

ورغم أن نظامي العطاء والرزق كانا مخصصين للمقاتلة من العرب والمسلمين وعوائلهم ، إلا أن مسلمة شمل هذين النظامين أقواماً أخرى بدوافع أمنية واستراتيجية تخص سلامة الدولة الأموية وأمنها ...

وبخصوص المقاتلة من العرب والمسلمين ، يروي البلاذري : أن مسلمة بن عبد الملك أسكن في أرض الخزر قوماً من ربيعة وعشريـن ألفاً من أهل الشام على العطاء [١١]... وفي باب اللان ، أسكن مسلمة في قلعتها المنيعة أناساً من العرب ، يحرسون هذا الموضع وكانت تحمل إليهم الأرزاق والأقوات من البر من تفليس » [١٢] ..

---

(٩) العطاء : كان العطاء يدفع سنويا ، وكان يعطى فـي المحرم عند بداية السنة الهجرية في عهد عمر بن الخطاب ، وغالبا ما كان يدفع نقدا ٠٠

انظر : الدكتور صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ١٢٧ ٠

(١٠) الرزق : اضافة الى العطاء ، فقد كان يدفع للمقاتلة ارزاقا شهرية، وكان يقدم في الغالب عينا ٠ فقد قرر عمر بن الخطاب لكل من المقاتلة جريبين من الحنطة شهريا رزقا لهم ، وقد قدر ذلـك على اساس حاجــة الفرد للاستهلاك الشهري ٠

انظر : نفسه ، ص ١٤٥ ٠

(١١) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ ٠

(١٢) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، وياقوت ، معجم البلدان جـ ١ ، ص ٣٥١ ٠

أما بالنسبة للأقوام الأخرى ، وخاصة الجراجمة ، فقد شمل مسلمة أيضاً بهذين النظامين ، وذلك بدوافع أمنية وعسكرية ، خاصة وأن الجراجمة كانوا – وبتعاونهم مع الروم – يشكلون خطراً كبيراً على أمن الدولة الأموية ، وسلامة حدودها .. فحينما فتح مسلمة بلاد الجراجمة : « عرض عليهم أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ، ويجري على كل امرىء منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيالاتهم القوت من القمح ، والزيت ، وهو مدان من قمح ، وقسطان من زيت » (١٣) .

ولما كان الرزق يقدم عيناً وشهرياً ، من حنطة وشعير أو زيت ، ولما كانت هذه المواد معرضة للتلف والفساد ، لذا كان مسلمة يعمل على إنشاء مخازن خاصة لحفظها وصيانتها .. « فقد بنى في بلاد الخزر هرياً للطعام وهرياً للشعير ، .. وخزانة للسلاح » (١٤) ..

الجانب الاقتصادي :

١ ــ مسلمة بن عبد الملك ــ ضياعه ــ املاكه ...

لا شك أن مسلمة بن عبد الملك كان أكبر رجل إقطاع شهده العصر الأموي ، وهو لا يقل بذلك عن بقية الولاة والقواد وحتى الخلفاء الأمويين ، وقد ضارعهم أو فاقهم في المجال الإقطاعي (١٥) ..

---

(١٣) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .

(١٤) انظر : نفسه ، ص ٢٠٩ .

(١٥) انظر تفاصيل اقطاعات الخلفاء والولاة والقواد الامويين في الفصل الخاص « الاقطاع والقطائع في العصر الاموي » في كتابنا : الزراعة والاصلاح الزراعي في عصر صدر الاسلام والخلافة الاموية ، بغداد ، ١٩٧٨ ص ٨٥ ــ ١٠٢ .

ولا شك أن مسلمة بن عبد الملك قد استغل منصبه كقائد للجيوش الأموية ، وكوال شغل مناصب الإدارة والولاية على أقاليم متعـــددة شملت الجزيرة ، وأرمينيا ، واذربيجان ، إضافة إلى ولايته عـــلى العراق وخراسان ... فاستطاع من خلال ذلك كله امتلاك الكثير من المقاطعات والأملاك الواسعة ، وخاصة في الثغور الجزرية ، وفي بلاد أرض الترك والخزر ، إضافةإلى ما دخل في حوزته من أراض واسعة من بطائح العراق بعد استصلاحه لها في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك.

ففي الثغور الجزرية يشير البلاذري : « إن أرض بغرملس كانت لمسلمة ، فوقفها في سبيل البر ، كما كانت عين السلّور [١٦] وبحيرتها له أيضاً ، كما كانت الإسكندرية له [١٧] ...

وفي أثناء غزوات مسلمة في أرض الخزر صالح أهل حيزان [١٨] واتخذ لنفسه بحصن حيزان ضياعاً [١٩] ....

وكان مسلمة ينمى ثروته ويستثمرها في مختلف أنحاء الأقاليم الجزرية التي كان يتولاها عسكرياً أو إدارياً ، وذلك عن طريق إقامة مشاريع ري فيها : فلما عسكر مسلمة ببالس — من الثغور الجزرية ،

---

(١٦) عين السلور : بفتح السين المهملة ، وتشدد اللام وفتحها ، وهو السمك الجري بلغة اهل الشام ، وهي قـــرب انطاكية ، وانها سميت عين السلور لكثرة هذا النوع من السمك ..
انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٦٢ ..

(١٧) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ .

(١٨) حيزان : بلد فيه بساتين ومياه غزيرة في ديار بكر .
انظر : ياقوت ، معجم البلدان .

(١٩) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ ..

أتاه أهلها وأهل بولس ، وقاصرين ، وعابدين ، وصفين ، وهي قرى منسوبة إليها ، فأتاه أهل الحد الأعلى وسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم — بعد عشر السلطان — فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط ، ورمم سور المدينة وأحكمه »[٢٠] ..

وكانت بعض هذه المدن وقراها تتحول إلى أملاك خالصة لمسلمة ابن عبد الملك ولورثته من بعده : « فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته ، فلم تزل في أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركة (الدولة العباسية) ، وقبض عبد الله بن علي على أموال بني أمية[٢١].

لم يكتف مسلمة بامتلاك ما أمكنه امتلاكه من ضياع ومقاطعات في بلاد أرض الخزر وفي الثغور الجزرية ، بل كانت تنتقل فيه روح التملك ، واستثمار ثروته الهائلة وتنميتها إلى مناطق أخرى ، كما تجلى ذلك في استصلاحه بطائح العراق ...

ففي خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك ، وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق : « انبثقت البثوق ، فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه : أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم(ثلاث ملايين درهم) ، فاستكثرها الوليد ، فقال له مسلمة : أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم ، يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج ،فأجابه إلى ذلك ،

---

(٢٠) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ..

(٢١) انظر : نفسه ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ ..

فحصلت له ارضون من طساسيج متصلة ، فخفر السبين ، وتألــف الاكره والمزارعين ، وعمر تلك الأرضين ، وألجأ الناس إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به » [٢٢] ...

وبهذا أصبح مسلمة يعد من أكابر ملاكي عصره ، وقد أثر هذا تأثيراً كبيراً على أحوال الملاكين والمزارعين الصغار في العراق خاصة فأخذ بعضهم يلجيء أرضه إليه لحمايته من تعدي الجباة ، فظهر بذلك « نظام الجاء الأراضي» ، وذلك بأن يسجل المزارع أرضه بإسم أحد الكبار ليحتمي به من تعدي الجباة ، ولكن تسجيل الأرض بالديوان باسم الحامي ، وبمرور الزمن ، أديا إلى نقل ملكية بعض الأراضي الملجأة إلى الحماة [٢٣] .

ومهما يكن من سعة أملاك مسلمة وضياعه الواسعة ، وثروته الهائلة ، فإن النصوص التاريخية المشار إليها أعلاه ، توضح لنا أن مسلمة كان ينفق أمواله في ميادين نافعة ومفيدة بحق الدولة والمجتمع ، وأنه كان ينمي ثروته بطرق مشروعة ، وذلك عن طريق تشغيل رؤوس أمواله في مشاريع زراعية نافعة ، كانت تدر عليه وعلى الدولة والمجتمع بمنافع متبادلة ..

وإذا ما حللنا النصوص التاريخية الآنفة الذكر ، نستطيــع أن نستخلص منها الأمور الآتية :

---

(٢٢) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٢ . وسوف نقدم تحليلا لهذه الرواية في نهاية هذا الفصل ...

(٢٣) انظر : د . عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص ١٤٨ .

١ – إن مسلمة بن عبد الملك كان يوقف بعض ضياعه في سبيل البر والتقوى ، فقد أوقف أرض بغرلس في سبيل البر ...

٢ – إن إلجاء المزارعين الصغار أراضيهم إليه كان بدافع حمايتهم من تعدي الجباة

– هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإنهم ألجأوا أراضيهم إليه بمحض إرادتهم وبهدف « التعزز به » كما يشير إلى ذلك البلاذري ...

٣ – اهتمام مسلمة بإحياء الأراضي وزرعها ، وقيامه بإنشاء مشاريع ري فيها ، منها حفر نهر من الفرات والذي عرف « بنهر مسلمة » ، فأحيا به : أراضي ، قرى ومدن الثغور الجزرية ، وقد تم ذلك بدافع الرضا والإتفاق الذي تم بينه وبين أهالي هذه المدن والقرى على أن يأخذ ثلث غلاتهم بعد « عشر السلطان » ... ولم يكتف بذلك بل عمل على ترميم أحد أسوار مدنهم وأحكمه ...

٤ – إن مسلمة أنقذ العراق من خطر الفيضانات ، خاصة من تلك البثوق التي انبثقت ، والتي عجز الخليفة الوليد بن عبد الملك وواليه الحجاج الثقفي عن سدها ، فحول مسلمة بطائح العراق إلى أراض زراعية خصبة ، وشغل بذلك أيدياً زراعية عاملة ، من المحتمل أنها كانت في حالة فقر وبطالة ...

٢ – سياسة مسلمة الاقطاعية :

كان مسلمة بن عبد الملك يهدف من وراء سياسته الإقطاعية في الأقاليم التي كان يشغل منصب الولاية والقيادة فيها ، تحقيق أهداف

إجتماعية واقتصادية وأمنية ستراتيجية تخص المحافظة على سلامة الدولة الأموية وأمنها ....

وكان مسلمة يقطع العامة والخاصة من الناس ، فقد سبق أن أشرت أن مسلمة أسكن في أرض الخزر قوماً من ربيعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء [٢٤] وذلك لكي يكون منهم قوة أمنية في هذه المنطقة التي كانت تهدد سلامة الدولة الأموية ، وكان في الوقت نفسه يشجعهم على الإستقرار والعمل في الحقل الزراعي ، إضافة إلى ما كان يقدمه لهم ولعوائلهم من العطاء والرزق ...

« وفي أنطاكية ، أقطع مسلمة بن عبد الملك قطائع فيها » [٢٥] ..

وفي باب اللان [٢٦] ، أسكن مسلمة في قلعتها المنيعة أناساً من العرب ، يحرسون هذا الموضع ، وكانت تحمل إليهم الأرزاق والأقوات من البر من تفليس » [٢٧] ...

لم تقتصر سياسة مسلمة الإقطاعية على القبائل والأقوام العربية ، والعمل على إسكانها واستقرارها فحسب ، وإنما شملت أيضاً أفراداً

---

(٢٤) انظر : ما ذكر في اعلا هامش (١١) من هذا الفصل .

(٢٥) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ .

(٢٦) اللان : بالفتح ، وآخره نون ، قلعة ، ولهذه القلعة عين من الماء عذبة ..

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٥١ .

ويقول المسعودي عنها : « وهي احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة ، وقد ذكرها الفرس في اشعارهم ..

(٢٧) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، وياقوت معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٥١ ..

من أصحابه ... » ففي باجدا [28] ، أقطع موضعهـا رجلا من أصحابه يقال له أسيد السلمي ، فبناها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها ، يشرب بها الناس وما فضل يسقى زرعها [29].

وبهذا نستطيع أن ندرك أن مسلمة بن عبد الملك ما كان ليقطع الأراضي للعامة والخاصة من الناس ، إلا بهدف إعمارها وإحيائها ، والعمل على زرعها لما فيه الخير والنفع للجميع ... ولا عجب أن تكون هذه الصورة انعكاساً لشخصية مسلمة ونفسيته التواقة لخير النـاس ومنفعتهم ، ولا تجد أدل على ذلك في هذا المجال إلا مما كان يقوم به هو نفسه من وقف بعض إقطاعاته الخاصة في سبيل البر والتقوى يروى لنا البلاذري : « أن أرض بغرلس كانت لمسلمة فوقفها في سبيـل البر » [30] .. كما أشرنا إلى ذلك ...

٣ ـ نشاطات مسلمة واعماله في الزراعة ومشاريع الري :

أولى مسلمة بن عبد الملك اهتماماً كبيراً بالزراعة ومشاريع الري وقد شملت أعماله ونشاطاته في هذين الحقلين العديد من قرى ومدن الجزيرة الفراتية والعراق ... ويمكن تركيز سياسة مسلمة في هذين الحقلين باتجاهين رئيسين :

---

(٢٨) باجدا : بفتح الميم وتشديد الدال ، قرية كبيرة بين رأس عين والرقـة ...

(٢٩) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٥٣ .

(٣٠) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ .

الاتجاه الاول ، ويتمثل في الملل الاجتماعي :

ونعني بالمجال الإجتماعي هنا ، هو ما كان يقوم به مسلمة من إقطاع الأراضي للعرب عامة ، والعمل على استقرارهم فيها أو أنه رأى في الزراعة خير وسيلة لإستقرار العرب وتوطينهم في الأماكن التي كانوا ينزلون بها ...

ولكن مسلمة قد أدرك في الوقت نفسه ، أن ذلك لا يمكن أن يكون على حساب السكان المحليين واستغلالهم ، لذا كان يقوم في الوقت نفسه على تقديم كل عون ومساعدة لهؤلاء السكان المحليين ، وتشجيعهم أيضاً على العمل في زراعة أراضيهم ، وإنشاء العديد من مشاريع الري لهم . وعليه كان مسلمة يعمل على إقامة نوع من التضامن الإجتماعي القائم على أساس التعايش السلمي بين العرب والسكان المحليين ، وقد تجلى ذلك بكل وضوح في قرى ومدن الجزيرة الفراتية ..

ويمكن توضيح سياسة مسلمة الزراعية في هذا المجال الإجتماعي بالنقاط الآتية : —

١ — سبق أن أشرت أن مسلمة أسكن في أرض الخزر قوماً من ربيعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، وكان يشجعهم على الإستقرار والعمل في الحقل الزراعي .

٢ — وأنه أقطع قوماً من ربيعة قطائع بأنطاكية ، وأنه كان يشجعهم أيضاً على العمل في الحقل الزراعي ، وعندما بنى مسلمة مدينة القهر على جزيرة في خليج القسطنطينية ، أقام بها وأمر أصحابه بالغرس فغرسوا الأشجار من الكروم ، وأنواع الفواكه .

٣ – وأنه أسكن في باب اللان** أناساً من العرب ، وكان يشجعهم على الإستقرار فيها ، وكان ذلك إما بنقل الأرزاق والأقوات لهم أو العمل في الزراعة ، خاصة وأن باب اللان كانت تتمتع بوجود عين ماء عذبة فيها ، إضافة إلى أهميتها الإستراتيجية للعرب كقلعة منيعة في هذه المنطقة .

٤ – وإنه أقطع في « باجدا » أسيد السلمي – أحد أصحابه أراضي زراعية خصبة فيها ، وأن اسيد هذا كان يعمل على إعمار هذه المنطقة وسقي مزروعاتها ...

أما بخصوص السكان المحليين : –

فقد سبق أن أشرت أن مسلمة كان قد أتم اتفاقاً تقدم به أهالي قرى ومدن الثغور الجزرية من بالس ، وبولس ، وقاصرين ، وعبدين وصفين ، من حفر نهر لهم من الفرات يسقي أراضيهم ، وقد عرف هذا النهر – بنهر مسلمة – .

الاتجاه الثاني – ويتمثل في المجال الفردي :

ونعني بالمجال الفردي هنا ، هو ما كان يقوم به مسلمة ، وبدافع ذاتي منه ، من تشغيل رؤوس أمواله الخاصة – وهو ما ندعوه في الوقت الحاضر بالقطاع الخاص – في ميادين زراعية نافعة ، يعود عليه وعلى الدولة والمجتمع بمنافع إقتصادية متبادلة ... وقد تجلى ذلك بصورة خاصة بإنشاء العديد من مشاريع الري ، وفي استصلاح مساحات واسعة من الأراضي والعمل على إحيائها وزرعها ...

** انظر : ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .

إن أعظم إنجاز قام به مسلمة في مجال الري ، هو إنشاؤه لأكبر مشروع إروائي عرفه التاريخ الأموي في الجزيرة الفراتية ، ورغم أنه لم تصل إلينا كمية المبالغ التي صرفت عليه ، إلا أن أوصافه التي وصلت إلينا لتشير إلى عظمها .....

وقد تجلى هذا المشروع الأروائي الكبير ـ بالخزان المائي الضخم ، أو ما يمكن أن نطلق عليه : « بسد حصن مسلمة الذي أقامه على نهر البليخ[٣١] .... وقد وصفه ياقوت بقوله : وحصن مسلمة بالجزيرة بين رأس عين والرقة ، بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم ،، بينه وبين البليخ ميل ونصف ، وشرب أهله من مصنع فيه طوله مايتا ذراع في عرض مثله ، وعمقه عشرين ذراعاً معقودة بالحجارة . وكان مسلمة قد أصلحه ، والماء يجري فيه من البليخ في نهر مفرد في كل سنة مرة حتى يملأه ، فيكفي أهله بقية عامهم ، ويسقي هذا النهر ، بساتين حصن مسلمة[٣٢] وفوهته من البليخ على خمسة أميال ، وبين

---

(٣١) البليخ : بالفتح ثم الكسر ، وباء مهملة ، اسم نهر بالرقه ، تنصب فيه الماء من عيون ، واعظم تلك العيون ، عين يقال لها «الدهبانية» في ارض حران • فيجري نحو خمسة اميال ، ثم يسير الى موضع ، قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصنا يكون اسفله قدر جريب ، وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعا ، واجرى ماء تلك العيون تحته ،فاذا خرج من تحت الحصن يسمى بليخا ، ويتشعب من ذلك الموضع انهارا تسقى بساتين وقرى، ثم تصب في الفرات تحت الرقة بميل •

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٢٤ ـ ٧٢٥ •

وانظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ١٣٦ ••

(٣٢) وهذا يدخل ايضا ضمن مـا كان يمتلكه مسلمة مـن ضياع ومقاطعات ••

حصن مسلمة وحران تسعة فراسخ ، وهو على طريق القاصد للرقة من حران [٣٣] ...

وفي العراق : قام مسلمة باستصلاح مساحات واسعة من بطائحه [٣٤] وحولها إلى أراضي زراعية خصبة ، وكان ذلك في خلافة أخيه الوليد ابن عبد الملك ، وولاية الحجاج ابن يوسف الثقفي ...

فقد سبق أن ذكرت : أن بثوقاً جديدة انبثقت في أيام الحجاج على اثر انشغاله بحرب عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ، ولـــم يقو الحجاج على سدها [٣٥] فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه :

---

(٣٣) انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ ·
وانظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٣٦ ·
(٣٤) البطائح : مفردها « بطيحة » ، استعملها المؤرخون في العصر العباسي ، واطلقوا تسميتها على مساحات واسعة مـــن الاراضي المغطاة بالمستنقعات والمياه الراكدة ، وتقع في المناطق الواطئة بين مجرى نهري دجلة والفرات ، بين الكوفة وواسط شمالا ، والبصرة جنوبا ···
See, E. I., Salih al-Ali, Art. al -Batiha .
ويحدد لسترنج حدود هذه البطائح بخمسين ميلا عرضا ، وثمانين ميلا طولا ···
See, G. Le strange, The Land of the eastren Caliphate, Cambridge 1930 p. 261 .
ويذكر البلاذري : ان تكوين هذه البطائح يعود الى العهد الساساني الفارسي منذ عهد الملك قباذ بن فيروز ··
انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١
(٣٥) وفي رواية البلاذري : « ان الحجاج لـــم يعان بسدها مضارة للدهاقين ، لانه كان اتهمهم بممالاة ابن الاشعث حين خرج عليه » ··
انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩١ ·

أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم (ثلاثـــة ملايين درهم) ، فاستكثرها الوليد فقال له مسلمة بن عبد الملك : أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة الذي يبقى فيها الماء ، بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحتك الحجاج ، فأجابه فحفر السيبين ، وتألف الاكره والمزارعين ، وعمر تلك الأرضين ، وألجأ الناس إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به [٣٦] .

وفي تحليلنا لهذه الرواية ، نستطيع أن نستخلص منها الأمور الآتية :

١ ـ عجز الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي عن القيام بالصرف والإنفاق على سد هذه البثوق واستصلاح تلك البطائح ... ولعل ذلك يعزى إلى صرف الأموال الطائلة من بيت مال الدولة على الأمور المدنية والعسكرية [٣٧] .

٢ ـ ظهور نظام إلجاء الأراضي ـ وقد انتشر هذا النوع مـــن النظام في العراق ، وذلك بأن يسجل المزارع أرضه بإسم أحد الملاكين الكبار ليحتمي به من تعدي الجباة ، ولكن تسجيل الأرض بالديوان بإسم الحامي ، وبمرور الزمن ، أديا إلى نقل ملكية بعض الأراضي الملجأة إلى الحامي [٣٨] ...

---

(٣٦) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٢ .

(٣٧) راجع ذلك في كتاب الزراعة والاصلاح الزراعي في صدر الاسلام والخلافة الاموية ، للدكتور عواد مجيد الاعظمي ، بغداد ، ١٩٧٨ ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٣٨) انظر : الدكتور عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية ، بغـداد ١٩٥٠ ، ص ١٤٨ .

أما الذين ألجأوا أراضيهم إلى مسلمة بن عبد الملك ، فقد كان ذلك بمحض إرادتهم ورغبتهم وبدافع « التعزز به » كما جاء في رواية البلاذري المذكورة أعلاه ..

٣ ــ الإعتماد على رؤوس الأموال الفردية في استصلاح الأراضي وإقامة مشاريع الري ، فقد شغل مسلمة رؤوس أمواله الخاصة ، فقام بحفر الأنهار ، وجلب الاكره والمزارعين ، وتوفير الآلات والأدوات الزراعية بذلك ..

٤ ــ إن الحجاج الثقفي أبدى اهتماماً في استصلاح البطائح ، ولم يكن ليتوانى عن إصلاحها ، لولا ما أحاط به من عجز مالي . وقد تجلى اهتمامه بعد أن أوكل إليه عملية الإشراف والإنفاق ، على ما قدمه مسلمة من الأموال في استصلاح تلك البطائح ..

وأخيراً ، وليس آخراً ، فإن لهذه النصوص والإشارات التاريخية المحدودة التي وصلت إلينا من بين ثنايا كتب التاريخ ، فإنها إن دلت على شيء فإنما تدل وتشكل بمجموعها دلالات واضحة على أنه كان لمسلمة إنجازات أعظم ومشاريع أوسع في المجالين المالي والإقتصادي ، كان يقوم بها في مختلف الأقاليم التي تولاها ، وقد أغفل المؤرخون الأوائل تدوينها ، أو إنها قد دونت ولكن أصابها الضياع والفقدان مع ما فقد وضاع من كتب التاريخ ...


القرن
الثالث
الهجري
القرن التاسع الميلادي

الفصل السادس

مسلمة بن عبد الملك

ودوره

في المجـــال الإداري

الأقاليم التي تولاها مسلمة بن عبد الملك

١ – المرحلة الأولى : الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان
٩١ هـ – ٩٨ هـ
٧١٠ م – ٧١٦ م

٢ – المرحلة الثانية : العراق : (الكوفة والبصرة) وخراسان
١٠٢ هـ / ٧٢٠ م

٣ – المرحلة الثالثة : أرمينيا واذربيجان
١٠٧ هـ – ١١١ هـ
٧٢٦م – ٧٣٠ م

٤ – المرحلة الرابعة : أرمينيا واذربيجان
١١٢ هـ – ١١٤ هـ
٧٣١ م – ٧٣٣ م



الفصل السادس

مسلمة بن عبد الملك

ودوره

في المجـــال الإداري

نستطيع أن نقسم المناصب الإدارية ، والأقاليم التي تولاها مسلمة ابن عبد الملك إلى أربع مراحل [1] ، ندرجها أدناه وفقاً للتسلســـل الزمني ..

المرحلة الأولى : الجزيرة ، وأرمينيا واذربيجان .

٩١ هـ — ٩٨ هـ / ٧١٠ م — ٧١٦

في خلافة أخويه الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك

المرحلة الثانية : العراق (الكوفة والبصرة) ، إضافة إلى خراسان .

١٠٢ هـ / ٧٢٠ م

في خلافة أخيه يزيد بن عبد الملك

---

(١) الواقع ان مسلمة بن عبد الملك لم يكن واليا واداريا على هـــذه الاقاليم وحسب انما كان في الوقت نفسه قائدا عسكريا ٠ فقد جمع في يديه بين السلطتين الادارية والعسكرية ٠

المرحلة الثالثة : أرمينيا واذربيجان

١٠٧ هـ — ١١١ هـ / ٧٢٦ م — ٧٣٠ م .

في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك

المرحلة الرابعة : أرمينيا واذربيجان

١١٢ — ١١٤ هـ / ٧٣١ — ٧٣٣ [٢]

الجزيرة ، وأرمينيا واذربيجان

المرحلة الاولى : ٩١ هـ ـ ٩٨ هـ / ٧١٠ م ـ ٧١٦ م

في عام ٩١ هـ / ٧١٠ م ، عزل الخليفة الوليد بن عبد الملك عمه محمد بن مروان ابن الحكم عن ولاية الجزيرة ، وأرمينيا واذربيجان ، وعين مكانه أخاه مسلمة [٣] ... وقد بقي مسلمة والياً على هذه الأقاليم حتى عام ٩٨ هـ / ٧١٦ م [٤] ، حيث عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك قائداً عاماً على الجيوش العربية — الإسلامية ، عندما بعثه إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتتحها أو يأتيه أمره، فشتا بها وصاف [٥] .

---

(٢) الملاحظ من هذه المراحل الادارية الاربع ، ان جميع الاقاليم التي تولاها مسلمة ـ باستثناء ولايته القصيرة على العراق ـ كانت على الجزيرة، وارمينيا واذربيجان ·

(٣) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ·

(٤) يبدو ان سليمان بن عبد الملك كان يهيئ ابنه داود لولاية هذه الاقاليم في هذه الفترة ··· ففي عام ٩٧ هـ استعمل سليمان بن عبد الملك ابنه داود على الصائفة ، في الوقت الذي كان يجهز الجيوش الى القسطنطينية بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك ··

انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ، ص ١١٧ ·

(٥) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ، ص ١١٧ ·

ورغم أن مسلمة قد كرس معظم جهوده وطاقاته في حرب وغزو مع الروم [٦] ، لكنه كان في الوقت نفسه رجل عمل وبناء وإصلاح ...

فخلال ولايته على هذه الأقاليم ، قام مسلمة بتنفيذ العديد من الإصلاحات فيها ، شملت مختلف مناحي الحياة الدينية ،والإجتماعية والإقتصادية .

ففي المجال الديني : لم يفت عن بال مسلمة القيام بتطبيق واجباته الدينية التي فطر عليها ونشأ منذ حياة والده ... فنراه سرعان ما سنحت له الفرصة ، يذهب أميراً على الحج عام ٩٤ هـ / ٧١٣ م[٧] .. وعاد بعدها مواصلاً العمل في إدارة هذه الأقاليم ، والجهاد ضد الأعداء..

ولم يكن مسلمة ليتوانى عن إقامة المساجد وبنائها في المناطق التي كان يتم إخضاعها وإدخالها ضمن حضيرة العالم الإسلامي في هذه الأقاليم ... « فقد كان في مدينة اندس [٨] مسجداً بناه مسلمة بن عبد الملك في بعض غزواته » [٩] ..كما كان مسلمة يوقف بعض مقاطعاته – مثل بغرلمس – في سبيل البر والتقوى [١٠] .

---

(٦) سنشير الى ذلك في الفصل الخاص « بدور مسلمة في المجال العسكري » .

(٧) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٤٩١ .

(٨) اندس : بضم الدال المهملة ، والسين المهملة ، مدينة على غربي خليج القسطنطينية بين جبلين ، بينها وبين القسطنطينية ميل في مستوى من الارض ...

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ ...

(٩) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ ..

(١٠) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ ، وياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ص ٣٩٤ ..

أما في المجال الإجتماعي ، فيمكن توضيح سياسة مسلمة في تجاهين أساسيين : —

الاتجاه الاول :

ويتمثل في موقفه من العرب بصورة عامة ، بغض النظر عن انتمائهم القبلي،من الذين قدموا للسكن والإستقرار في هذه الأقاليم التي دخلت ضمن حضيرة العالم الإسلامي ...

الاتجاه الثاني :

ويتمثل في موقفه من السكان الأصليين القاطنين في قرى ومدن هذه الأقاليم ...

إن أوضح صورة يمكن أن نعرضها في تحديد سياسة مسلمة وما قام به من خدمات في هذين الإتجاهين ، هو محاولته التوفيق بين مصالح العرب من جهة ، والسكان الأصليين من جهة أخرى على أساس مبدأ التضامن الإجتماعي ، وتبادل المنافع الإقتصادية ، وليس على أساس مبدأ الغالب والمغلوب أو السائد والمسود ...

فهو بالنسبة للعرب ، فقد وفر لهم الأرض والماء ، وشجعهم على الإستقرار والعمل في الحقل الزراعي .. فمن ذلك ، أنه أقطع قوماً من ربيعة قطائع في أنطاكية [11] ... ومن ذلك أيضاً ، أنه أقطع رجلا من أصحابه قرية « باجدا » [12] يقال له أسيد السلمي فبناها وسورها ،

---

(١١) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٤ .

(١٢) باجدا : قرية كبيرة بين رأس عين والرقة ، قرب حصن مسلمة ابن عبد الملك ..

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ، ص ٤٥٣ .

وفي هذه القرية بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها يشرب منها الناس وما فضل يسقى زرعها [١٣] ...

ومن مظاهر التضامن الإجتماعي الذي كان مسلمة يعمل على تحقيقه بين العرب والسكان الأصليين ، هو ما كان يقدمه من خدمات ومنافع إقتصادية لكل منهما ...

وهو من هذا المنطلق كان يعمل على خلق نوع من الشعور لدى السكان الأصليين ، بأن العرب ما قدموا إلى هذه البلاد بدافع الإستغلال والسيطرة ونهب الثروات ـ كما يروق للبعض أن يصورها ...

وقد كان مسلمة يعمل ـ في الوقت نفسه ـ على خلق نوع من الشعور لدى العرب أنفسهم بأنهم ما جاؤا ليسكنوا أو يقطنوا هذه البلاد من أجل استغلال ثروات الغير ومواردهم ، لذا كان يعمل على خلق الأجواء الصالحة للعرب للعمل في الحقل الزراعي ، وإلى تقديم العطاء والرزق لهم [١٤] يصرف لهم من بيت مال الدولة .. كما كان يبني لهم مخازن خاصة لحفظ الطعام والحبوب ، يروي البلاذري » أن مسلمة بن عبد الملك أسكن مدينة الباب والأبواب قوماً من ربيعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، وبنى هرياً للطعام وهريا

---

(١٣) انظر : ياقوت ، معجم البلدان جـ ١ ، ص ٤٥٣ ·

(١٤) العطاء : هو ما كان يصرف للمقاتلة وعوائلهم ـ بعد تسجيلهم في الديوان ـ عينا كان ام نقدا ، وكان يقدم لهم في الغالب سنويا ·

اما الرزق : فهو ايضا ما كان يصرف لهم من بيت مال الدولة ، وكان غالبا ما يقدم عينا ، وغالبا ما يكون شهريا ·

للشعير وخزانة للسلاح »[١٥] . كما أسكن قوماً من العرب في قلعة اللاّن[١٦] ــ بعد فتحها ــ وكانت أرزاقهم تحمل إليهم من تفليس [١٧] ....

أما بالنسبة للسكان الأصليين ، فليس لدينا ما يشير إلى أن مسلمة كان قد اتبع معهم بعضاً من وسائل القسوة والإكراه بهدف إجبارهم على ترك قراهم ومدنهم ، ...

فإن النصوص التاريخية المتوفرة لدينا ، تشير جميعها إلى أن مسلمة ــ كان يعمل على تشجيع هؤلاء السكان على الإستقرار في قراهم ومدنهم ، وكان يهيىء لهم الأجواء الصالحة للعمل المنتج في حقولهم الزراعية ، وأنه لم يكن ليتوانى عن تحقيق مطاليبهم ، عندما كانوا يتقدمون له بطلب ، وخاصة تلك التي كانت تتعلق بحياتهم الإقتصادية ــ والزراعية منها بصورة خاصة ، والتي كانت تشكل أساس موردهم ومعاشهم ... فقد ذكر بهذا الخصوص ، أن مسلمة بن عبد الملك توجه

---

(١٥) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ · يبدو أن هذا كان في ولاية مسلمة الاخيرة على أرمينيا وأذربيجان ·

(١٦) اللان : بالفتح ، واخره نون ، بلاد واسعة ، وامة كثيرة ، متاخمة للدربند ··

انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ص ٣٥ ··

(١٧) تفليس : ويكسر ، بلد بارمينية الاولى ، وهي قصبة ناحية جزران، قرب باب الابواب ، افتتحها المسلمون في ايام عثمان بن عفان بقيادة حبيب بن مسلمة ··

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٨٥٧ ــ ٨٥٨ ··

غازياً للروم ، فعسكر ببالس [١٨] ، فأتاه أهلها ، وأهل بولس ، وقاصرين [١٩] ، وعابدين ، وصفين وهي قرى منسوبة إليهـا ، فأتاه أهل الحد الأعلى ، فسألوه أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم ، ففعل ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة [٢٠] .

وقد يعلق البعض على ذلك بقوله . إن مسلمة لم يحقق مطاليب هؤلاء السكان إلا بعد أن ضمن منهم دفع ضريبة معينة على غلاتهم .. والحقيقة ، أن أهالي هذه المنطقة هم الذين عرضوا على مسلمة – وبمحض إرادتهم ورغبتهم – تحديد كمية هذه الضريبة – ولم يكن مسلمة هو البادىء بفرض الضريبة عليهم كما يشير إلى ذلك البلاذري حيث يقول : « على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان[٢١] .

والواقع ، أن مسلمة لم يكتف بحفر نهر لهم ، وإنما قام في الوقت

---

(١٨) بالس : كانت هي والقرى المنسوبة اليها فـي حدهـا الاعلى والاوسط ، والاسفل ، مركزا لقرى هذه المنطقة ، وتقع بالس بالقرب من الرقة، وعلى صفة الفرات الغربية ، عند سهل صفين ..

انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ ..

وياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٧٨ ..

(١٩) قاصرين : بلد كان بقرب بالس .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٦ .

(٢٠) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ ، وياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٧٨ .

(٢١) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ .

نفسه بإصلاح مدينتهم وإعمارها ، وذلك بأن : « رمّ سور المدينة وأحكمه » كما يشير إلى ذلك البلاذري أيضاً (٢٢) ...

ومما يؤكد أن مسلمة لم يكن ينشد استغلال ثروات سكان هذه الأقاليم لمنفعته الخاصة ، وذلك استناداً إلى ما كان يقوم به — وبدافع الخير لهم وبمحض إرادته — من إنشاء مشاريع أخرى .. فيروى: أن مسلمة أقام في هذه المنطقة خزاناً كبيراً للماء بلغت مساحته مائتي ذراع مربع ، وبعمق عشرين ذراعاً ، وأحاطه بسور من الحجارة ، وكان هذا الخزان يمتلىء بالماء كل عام ، ويكفي لسقي الأراضي المحيطة به » (٢٣) ، وقد تمكن مسلمة من تحقيق مشروعه الإروائي الكبير هذا ، ببناء حصنه المشهور ، والذي عرف في التاريخ « بحصن مسلمة » (٢٤) .

وقد نهج سعيد بن عبد الملك نهج أخيه مسلمة — والذي كان يساعده في إدارة ولاية هذه الأقاليم ، وذلك في تنفيذ مشاريع ري أخرى نافعة لسكان هذه الأقاليم ، وإعمار أراضيهم ، فقد ذكر أن سعيد هذا — وكان يقال له « سعيد الخير » — قام بحفر نهر في الجزيرة عرف بنهر سعيد ، وعمر ما هناك من الأراضي . (٢٥)

---

(٢٢) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ .

(٢٣) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .

وانظر :

See, Le Strange, The Lands of The Eastren Caliphate, p. 107 .

(٢٤) حصن مسلمة:يقع بالجزيرة ، بين رأس عين والرقة،بناه مسلمة. بينه وبين البليخ ميل ونصف ، وهو على طريق القاصد للرقة من حران ..
انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢٥) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٣ ــ ١٨٤ ...

وعليه ، نستطيع أن ندرك من هذا كله ، ما كان يتحلى به مسلمة من مواقف مشرفة ، ونزعة إنسانية مليئة بالحب والخير ، ليس لأبناء جلدته فحسب ، وإنما لغيرهم من أبناء هذه المناطق التي دخلت ضمن حضيرة العالم الإسلامي تحت قيادته ولوائه ...

المرحلة الثانية : العراق (الكوفة والبصرة) وخراسان

١ - في عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة والياً على العراق ... فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة ، والبصرة وخراسان في هذه السنة [٢٦] .

وليس لدينا تاريخ دقيق عن مدة بقاء مسلمة والياً على العراق ،

---

(٢٦) انظر ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، طبعة دار المعارف، ص ٦٠٤ .

وابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ .

يشير خليفة بن خياط : انه في سنة احدى ومائة ، جمع يزيد بن عبد الملك لسلمة بن عبد الملك العراق ، وامره بمحاربة يزيد بن المهلب » ...

انظر : خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٣٣٢ ...

ولكن يبدو ان يزيد بن عبد الملك عين اخاه مسلمة - في بادىء الامر - قائدا على الجيوش الاموية لقتال يزيد بن المهلب ، وبعد انتصاره عليه ، عينه واليا على العراق في عام ١٠٢ هـ .. والى هذا يشير ابن خلكان بقوله : ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب ، جمع له اخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ١٠٢ هـ » ...

فإبن قتيبة مثلا يشير : « أن مسلمة ولي على العراق اشهرا [٢٧] ... بينما يحاول صاحب العيون والحدائق ، أن يقدم تحديداً في عدد الأشهر التي بقي فيها مسلمة والياً فيقول : « وأقام مسلمة — بعد قتل يزيد بن المهلب — على العراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر [٢٨] .... أما صاحب كتاب تاريخ الخلفاء ، فيحدد فترة ولاية مسلمة على العراق بثمانية أشهر » [٢٩] ...

ومهما يكن ، فإن فترة ولاية مسلمة على العراق وخراسان كانت قصيرة ، ولم تتجاوز السنة ، ثم عزل من قبل أخيه — الخليفة — يزيد ابن عبد الملك ...

وكان تاريخ عزله — على حد رواية ابن خياط — في أواخر سنة اثنتين ومائة ، وأوائل سنة ثلاث ومائة [٣٠] ، وعين مكانه عمر بن هبيرة الفزاري سنة ثلاث ومائة [٣١] ...

٢ — لماذا عزل الخليفة يزيد اخاه مسلمة ؟ ·

من الواضح أن يزيد بن عبد الملك قد عين أخاه مسلمة أميراً على العراق ، وضم إليه خراسان ، مكافأة له على ما أحرزه من نصر ساحق على يزيد بن المهلب في موقعة عقر .. ولكن ودون سابق تلميح أو إنذار — يقدم الخليفة يزيد على عزله ..... لماذا .. ؟؟ .

---

(٢٧) انظر : ابن قتيبة ، المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٧ ..
(٢٨) انظر : كتاب العيون والحدائق ، ج ١ ، ص ٧٥ ..
(٢٩) انظر : كتاب تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٩٠ ..
(٣٠) انظر : خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ·
(٣١) انظر : نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤١ ·

إن النصوص والروايات التاريخية الواردة في هذا الخصوص ، لا تقدم لنا جواباً شافياً وحاسماً ... فهي رغم كونها وصلتنا مضطربة ، ملتبسة وغير منسجمة في ألفاظها وتعابيرها ، تثير فينا – في الوقت نفسه – كثيراً من الشكوك والظنون .. لذا ارتأينا عرضها بنصوصها وحرفيتها ، ومن ثم تحليلها ، واستخلاص ما أمكن استخلاصه منها ، وبالتالي نقدها والتعليق عليها ، آملين الكشف عن الحقيقة والواقع ...

يقول الطبري : أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وإن يزيد بن عاتكة ، أراد عزله ، فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عمالك واقبل » [٣٢] ...

ويقول الطبري – أيضاً – في مكان آخر : « وقد قيل أن مسلمة شاور عبد العزيز بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن شوق إليه ؟ إنك لطروب ، وإن عهدك به لقريب . قال : لا بد من ذلك . قال : إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه فشخص ، فلما بلغ دورين [٣٣] لقيه عمر بن هبيرة على خمس (في خمسين) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة فقال : إلى أين يا ابن هبيرة ؟ فقال : وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال المهلب . فلما خرج من عنده ، أرسل إلى عبد العزيز فجاءه . فقال : هذا ابن هبيرة لقد لقينا كما ترى . قال : قد أنبأتك . قال : فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بني المهلب . قال : هذا أعجب من الأول ، يصرف عن

(٣٢) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٦١٥ .

(٣٣) دورين : لم يرد ذكرها في معاجم البلدان ، ولعلها احدى قرى الجزيرة الفراتية الواقعة في الطريق الذي سلكه مسلمة الى دمشق ..

الجزيرة ، ويوجه في حيازة أموال بني المهلب . قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم » [٣٤] ...

ويقول صاحب كتاب العيون والحدائق : « أن مسلمة لم يرسل إلى يزيد شيئاً ، وأن يزيد استحيا منه أن يعزله ، فكتب إليه يتشوقه ، فخرج مسلمة إلى يزيد يزوره ، فلقيه عمر بن هبيرة على خيل البريد وكان يزيد بن عاتكة قد ولاه مكانه » [٣٥] ...

ويقول صاحب كتاب العيون والحدائق أيضاً في مكان آخر : « فقدح بمسلمة عند يزيد بن عبد الملك . وقالوا : إنه غير مأمون على الخراج . فعزله ، وولى عمر بن هبيرة » [٣٦] ...

ويقول المرصفي : « عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة إلى قربه» [٣٧] ...

ويقول صاحب كتاب تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول : « إن سبب ولاية عمر بن هبيرة كان عناية حبابة جارية يزيد بن عبد الملك » [٣٨] ...

وفي تحليلنا لهذه النصوص والروايات التاريخية ، نستطيع أن نستخلص ، ونبرز ما فيها من آراء ووجهات نظر متعددة بخصوص

---

(٣٤) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٦١٥ .
(٣٥) انظر : العيون والحدائق ، ص ٧٥ .
(٣٦) انظر : نفسه ، ص ٧٥ .
(٣٧) انظر : سيد علي المرصفي ، كتاب رغبة الامل من كتاب الكامل، جـ ٢ ، ط ١ ، مصر ١٩٢٨ ، ص ١٦ ـ ١٧ .
(٣٨) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٢٩٥ .

عزل مسلمة ، محاولين التعليق – في الهامش – على كل منها ، وذلك وفقاً للمضامين التي تحتويها ، وانسجاماً مع وحدة الموضوعات التاريخية المحيطة بكل منها : –

١ – إن يزيد بن عبد الملك « استحيا أن يفصح لمسلمة بأن يبعث له شيئاً من الخراج » فكتب إليه : « استخلف على عملك واقبل » كما « كتب إليه يتشوقه » [٣٩] ... كما ورد ذلك في روايتي الطبري وصاحب كتاب العيون والحدائق ...

---

(٣٩) الواقع ، ان عدم ارسال شيء اوكل الخراج الى دمشق ، لميكن بالامر الجديد ٠

« فسبق لعبد العزيز بن مروان عدم ارسال شيء من خراج مصر الى دمشق ٠٠ ولم يكن ثم ما يدعوه الى ذلك ٠ ويجوز ان يكون مسلمة قد عين اميرا على العراق على ان تكون له هذه المزية مكافأة له على ما احرزه من نصر على يزيد بن المهلب » ٠

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة د ٠ محمد عبد الهادي ابو ريده ، هامش رقم (٢) ، ص ٢١٠ ٠

وقبل ذلك ايضا : فان عمرو بن العاص ، لم يبعث بشيء من خراج مصر الى معاوية اثناء حربه مع علي ٠ كما يشير الى ذلك اليعقوبي ٠٠

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، النجف ، ١٩٦٤ ، ص ٢١١ ٠

واذا كان عزل مسلمة يعود الى عدم ارساله شيئا من خراج العراق الى يزيد ٠ فكيف يكون ذلك ،ومسلمة كان في حالة حرب مع يزيد بن المهلب ٠٠ وان هذا الاخير قد سيطر واخذ خراج العراق فقد ذكر ان يزيد بن المهلب استحوذ على بيت مال البصرة ، فوجد فيه عشرة آلاف درهم فرقها في اصحابه مما زاد في تقويتهم » ٠٠

انظر : د ٠ نافع توفيق العبود ، ال المهلب بن ابي صفرة ، رسالة دكتوراه على الالة الكاتبة ، آذار ، ١٩٧٦ ، ص ٨١ ٠

كما حمل معاوية بن يزيد بن المهلب – بعد قتل ابيه – الخزائن وبيت المال معه بالسفن بعد خروجه من البصرة » ٠ =

٢ — إنه قد قدح بمسلمة عند يزيد ، وقالوا : « إنه غير مأمون على الخراج» ، فعزله يزيد ... كما ورد في كتاب العيون والحدائق [٤٠] .

٣ — إن عزل مسلمة يعود إلى « حاجة الخليفة إلى قربه » [٤١] ، كما يشير إلى ذلك المرصفي ...

٤ — إن مسلمة — وبدافع ذاتي منه — كان هو البادىء بالرغبة « في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره » .. ولم يكن هذا بدعوة أو بكتاب وجه إليه من الخليفة يزيد ... وقد خرج مسلمة فعلا .. فكان لقاءه مع ابن هبيرة وهو في طريقه إلى الشام [٤٢] ؛ كما جاء ذلك في رواية الطبري الآنفة الذكر ...

٥ — إن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان — وهو صاحب مسلمة — كان على علم مسبق بعزل مسلمة ، ولكنه لم يخبر مسلمة بذلك، وإنما نوه له ساعة ظهور رغبة عند مسلمة «في الشخوص إلى يزيد ليزوره»، كما

انظر : الطبري — ج ٨ ، الحسينية ، ص ١٥٨ فمن اين — يا ترى — يأتي مسلمة بالمال ليبعثه الى يزيد ، ولم تمض على ولايته على العراق سوى اشهر قليلة ٠

(٤٠) اذن : فالمسالة كانت مسألة قدح ووشاية ، اكثر من كونها مسألة امتناع مسلمة عن ارسال « شيء من الخراج » الى الخليفة يزيد ٠٠

(٤١) وقد تكون هذه الحاجة ، لما كان يتمتع به مسلمة من مكانة عالية بين اعضاء الاسرة الاموية ، وما كان يتحلى به من صفات وخصائص طيبة ٠٠ خاصة وأن الخليفة يزيد كان يعيش في جو من اللهو والعزلة ٠٠

(٤٢) ويعني هذا ان مسلمة لم يستلم اي كتاب من اخيه يزيد يدعوه فيه في ان « يستخلف ويقبل » او انه كان متشوقا اليه ٠٠٠

يظهر ذلك في قوله لمسلمة « إذا لا تخرج من عملك حتّى تلقى الوالي عليه »[٤٣] .. كما ورد ذلك في رواية الطبري الآنفة الذكر ...

٦ – إن عمر بن هبيرة لم يفصح لمسلمة – عندما تقابلا عند دورين – بأنه قدم والياً على العراق من قبل الخليفة يزيد ... وأن كل ما قال له إنما جاء « لحيازة أموال بني المهلب »[٤٤] ، كما ورد ذلك في رواية الطبري ..

٧ – إن مسلمة قد عاد إلى دمشق ، والتقى بأخيه يزيد « فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله ، والغاظة عليهم »[٤٥] كما ورد ذلك في رواية الطبري أيضاً .

٨ – إن حبابة – جارية يزيد – كانت قد لعبت دوراً في تعيين ابن هبيرة والياً على العراق[٤٦] كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب تاريخ الخلفاء ..

---

(٤٣) ويعني هذا ان عبد العزيز بن حاكم بن النعمان ، كان يخفى عن مسلمة الرسائل او الكتب التي ترد اليه من الخليفة يزيد ، لذا فان مسلمة كان يتصور اقوال عبد العزيز له من باب المجاملة ، فلم يلتفت اليها ، ولم يعرها بالغ اهتمامه ..

(٤٤) وقد يكون في هذا عذرا او تبريرا من عمر بن هبيرة ، يخفى وراءه امر تعيينه واليا على العراق ..

(٤٥) ويعنى هذا ان يزيد لم يخبر مسلمة بعزله ساعة لقاءه معه ، وان مسلمة قد ادرك ذلك بنفسه وذلك عندما « جاءه خبر عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم » ..

(٤٦) ويعنى هذا ضمنا ان « حبابه » كانت في الوقت نفسه وراء عزل مسلمة عن ولاية العراق ..

وعليه – وبعد أن أعطينا لهذه النصوص والروايات التاريخية حقها في العرض ، والنقد والتحليل والتعليق وما قد تجلى فيها من الغموض ، والإلتباس والتناقض ، نستطيع القول : بأن مسألة عزل مسلمة عن ولاية العراق ، قد تكون أبعد عن كونها مسألة مالية ضيقة متمثلة « بإرسال شيء من الخراج » ، أو أنها أبعد من أن تكون مسألة شخصية بحتة ، متعلقة بشوق أو رغبة أو حاجة ، ساورت نفس كل من يزيد أو مسلمة .. أو إنها أبعد من أن تكون مسألة عاطفية تمثلت في تأثير « حبابة » جارية يزيد بن عبد الملك ..

والواقع ، أن عزل مسلمة بن عبد الملك عن ولاية العراق وتعيين عمر بن هبيرة مكانه ، كان له أبعاده السياسية الخطيرة والمتعلق بمصير الخلافة الأموية ، كما كان له أبعاده الإجتماعية القبلية والمتمثلة في الصراع القيسي – اليماني . « فإن الحالة في العراق والمشرق الإسلامي كانت مضطربة من جراء ثورة يزيد بن المهلب التي أدت إلى انقسام القبائل العربية على نفسها ، ومحاربة بعضها البعض الآخر ، فكان السبب الرئيسي في عزل مسلمة [٤٧] ...

وثورة يزيد بن المهلب، كانت ثورة ذات مدلول سياسي خطير... فقد أعلن ابن المهلب خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ودعا الناس إلى بيعته ، « دعاهم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وسيرة العمرين وجهاد الظالمين » [٢٨] .. ويبدو أنه قد اتخذ من الإسلام ذريعة ووسيلة

---

(٤٧) انظر : عبد القادر المعاضيدي ، واسط في العصر الاموي ، ط ١، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٩ .

(٤٨) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٩٢ .

يشد به أزره ، ويكسب به أتباعاً له [٤٩] ، وكان يزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم [٥٠] ، كما استمال ابن المهلب الناس بما كان يفرق فيهم من الذهب والفضة [٥١] ..

وكانت ثورة يزيد بن المهلب مؤشراً من مؤشرات الصراع — القبلي — القيسي — اليماني [٥٢] .. لذا اقتضت مصلحة الدولة الأموية العامة ، أن يكون عمر بن هبيرة الفزاري ... وكان قيسياً من أنقى دم في قيس [٥٣] أميراً على العراق وعلى خراسان بدلا من مسلمة بن عبد الملك ، والذي أنهى مهمته العسكرية بالقضاء على ثورة ابن المهلب .. وأن مسلمة — كما يبدو — لم يصدم بأمر عزله ،

---

(٤٩) انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٥ ٠

(٥٠) انظر : نفسه ، ص ٣٠٥ ٠ يبدو ان هذا كان مجرد زعم ، ولم يرد ذلك نصا في البيعة التي كان يعرضها ابن المهلب على الناس ٠

(٥١) وقد جاء في الطبري : ان ابن المهلب كان يقطع لمن يأتيه من الناس قطع الذهب والفضة ، وان عدى بن أرطاة ـ والي الخليفة يزيد على البصرة ـ كان لا يعطى الا درهمين درهمين ٠

انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٩٥٢ وانظر : فلهاوزن ، ص ٣٠٤ ٠

(٥٢) كان الاتجاه العام لثورة ابن المهلب يمانيا ، فرغم ان ازد خراسان لم يسهموا عمليا في الثورة ، الا ان قبائل اليمن في البصرة من ازد وربيعة أيدت الثورة وبخصوص ازد خراسان انظر ما ورد في هامش (٦٣) من هذا الفصل ٠

انظر فلهاوزن ، ص ٣٠٤ ٠

(٥٣) يقول فلهاوزن : وكان ذلك بمثابة اعلان الحرب على قبائل اليمن ، ان حكومة بني امية انقلبت الى حزب يحكم باسم قيس ، وان الخليفة يتحمل وزر ذلك ٠٠ وقد ترك ابن هبيرة في ميدان امرته الواسع يفعل ما يشاء ٠

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣١٢ ٠

فليس لدينا ما يشير إلى أن مسلمة قد أبدى امتعاضاً ، أو شكا أخاه يزيد بذلك ، بل وعلى العكس ، فإنه عاد إلى دمشق وبقي ملازماً وموجهاً مخلصاً لأخيه يزيد حتى ساعة وفاة هذا الأخير ....

سياسة مسلمة في العراق :

رغم قصر مدة ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق ، لكنه استطاع أن ينجز أعمالا عديدة شملت مختلف المجالات العسكرية والإدارية والقضائية يمكن تركيزها في الأمور الآتية : —

١ — القضاء على ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وتصفية جيوب هذه الثورة عسكرياً في العراق وبلاد فارس ، إضافة إلى قضائه على ثورة للخوارج في العراق أيضاً .

٢ — تعيين ولاة وقضاة جدد على المناطق التابعة له .

٣ — تقريب بعض الرجال الذين عرفوا بالفقه والعلم ، وتعيين بعضهم في مناصب إدارية ... وسنعرض لكل من هذه الأمور بشيء من الدقة والتركيز :

١ — القضاء على ثورة يزيد بن المهلب وتصفية جيوب هذه الثورة عسكرياً في العراق وبلاد فارس والقضاء على ثورة للخوارج سوف نبحث هذا الموضوع بدقة وتفصيل في الفصل القادم والخاص « بدور مسلمة بن عبد الملك في المجال العسكري » .

تعيين ولاة وقضاة جدد :

إتخذ مسلمة بن عبد الملك من مدينة الحيرة مركزاً جديداً لإدارة المدن والأقاليم التابعة له [٥٤] ..

ومن الحيرة بدأ مسلمة بتعيين ولاته الجدد على الكوفة والبصره ، وخراسان . .

فعلى مدينة الكوفـة : عين مسلمة ذا الشامه ، محمد بن عمـرو ابن الوليد بن عقبة إبن أبي معيط [٥٥] . كما عين على شرطتها ، قطن بن حبه الكلبي ، وكان عليها العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي [٥٦] .

وفي مدينة البصرة : أولى مسلمة اهتماماً كبيراً في أمنها وقضائها ، خاصة وأنها كانت معقل الثورة المهلبية ..

فقد أقام بأمر البصره — بعد أن خرج منها آل المهلب — شبيب بن الحارث التميمي فضبطها [٥٧] ، فلما ضمت إلى مسلمة بعث عاملا عليها وهو عبد الرحمن بن سليم الكلبي [٥٨] .. كما عين مسلمة على شرطة البصرة وأحداثها عمر بن يزيد التميمي [٥٩] .

---

(٥٤) يبدو ان الحيرة في هـذه الفترة كانت في معزل عـن مسرح العصبيات القبلية والانقسامات والاهواء السياسية والاحداث العسكرية التي كانت تعصف في مدن العراق الثلاث المهمة ، الكوفة ، وواسط والبصرة . لذا رأى مسلمة في مدينة الحيرة المكان الملائم في اتخاذها مركزا ، ومنطلقا في توجيه اموره الادارية والعسكرية .

(٥٥) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٦٠٤ .

(٥٦) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ..

(٥٧) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٦٠٥ .

(٥٨) انظر : نفسه ، جـ ٦ ، ص ٦٠٥ . اما خليفة بن خياط فيشير الى ان عبد الرحمن الكلبي كان على شرطة البصرة ، ابن خياط،جـ ١ ، ص ٣٣٥.

(٥٩) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٦٠٥ .

وقد كتب هذا إلى مسامة : إن عبد الرحمن الكلبي أمير البصره يريد استعراض أهل البصرة [٦٠] وقد استجاب مسلمة لكتاب صاحب الشرطة فأقدم على عزل الوالي ، وعين مكانه إبن عمه عبد الملك بن بشر بن مروان [٦١] ...

أما على قضاء البصرة ، فقد عين مسلمة بن عبد الملك موسى بن أنس بن مالك [٦٢] . وكان عالماً فقيهاً جليلا ...

وفي خراسان : حيث التزم المهالبة من الأزد فيها جانب الهدوء[٦٣]

---

(٦٠) ويعني هذا ان على مسلمة ان يسأل اهل البصرة عن كل من ساهم منهم في ثورة آل المهلب ، ويبدو ان مسلمة قد رأى في ذلك اثارة الفرقة والانقسام بين اهل البصرة ، فتجنب ذلك فعزل الوالي ·

(٦١) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٦٠٥ ·

(٦٢) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٤١ ·

(٦٣) ومن ذلك انها حافظت على حياة مدرك بن المهلب ، الذي جاء يستنصر قبيلته الازد ، والتي بسطت حمايته عليه ، ومنعت تميما من قتله ، ولكنها ــ في الوقت نفسه ــ اوضحت لمدرك بن المهلب عن عدم استعدادها لتحمل نتائج آل المهلب المعادية للسلطة ·

وبذلك جاء قول ثابت قطنه شاعر آل المهلب ومادحهم :

ألم تر دواسرا منعت اخاها ... وقد حشدت لتقتله تميم

فما حملوا ولكن نهتهتهم ... رماح الازد والعز القديم

رددنا مدركا بمرد صدق ... وليس بوجهه منكم كلوم

انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٥٨٦ ·

وان حياد ازد خراسان من ثورة ال المهلب ، يعود كما يبدو الى ان الاوضاع الداخلية العامة كانت هادئة في خراسان في هذا الوقت ، هذا الى ان انشغال العرب ، وشعورهم بالخطر الذي كان يهددهم من قبل السغد والترك من جهة حدود البلاد الشرقية ·

انظر : عبد المجيد الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٦ ·

والحياد ، وإن كانوا يكنون في أعماق نفوسهم العطف عليها والميل لها ، وقد وجه مسلمة في سنة ١٠٢ هـ صهره سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن أبي الحكم بن أبي العاص [٦٤] ، وهو الذي يقال له : « سعيد خذينة » [٦٥] والياً على خراسان .

وقد عامل سعيد خذينة بعض عمال يزيد بن المهلب في خراسان معاملة قاسية ، حتى مات قسم منهم تحت العذاب ، متهماً إياهم بجباية أموال اختانوها من فيء المسلمين [٦٦] .

وهناك روايتان في عزل سعيد خذينة عن خراسان الأولى يذكرها البلاذري ، وتعزو عزله إلى مسلمة بن عبد الملك . يقول البلاذري : «وشخص قوم من وجوه أهل خراسان إلى مسلمة يشكون سعيد أفعزله وولى سعيد بن عمر الحرشي خراسان » [٦٧] .

أما الرواية الثانية التي يذكرها الطبري ، فتعزو عزله إلى عمر بن

---

(٦٤) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٦٠٥ .

(٦٥) وقد استعمل مسلمة بن عبد الملك سعيد خذينه على خراسان ، لانه كان ختنه على ابنته ، وكان سعيدا متزوجا بابنة مسلمة ، وكان سعيدا رجلا لينا سهلا متنعما ، قدم خراسان على يخته ، معلقا سكينا في منطقته ، فدخل عليه ملك أبغر ، وسعيد متفضل في ثياب مضيفة حوله مرافق مصبغه، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الامير ؟ قال : خذينه ، لمته سكينة، فلقب خذينه . وخذينه : هي الدهقانة ربت البيت » .

انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٦٠٥ .

(٦٦) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٦٠٦ ، وعبد المجيد الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ، ص ٢٤ .

(٦٧) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤١٦ ..

هبيرة . يقول الطبري في حوادث سنة ١٠٣ هـ : « عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان . وكان سبب عزله عنها ، أن المجشر بن مزاحم السلمي ، وعبد الله بن عمير الليثي ، قدما على عمر بن هبيرة فشكوا سعيداً فعزله ، واستعمل سعيد بن عمرو الحرشي فبلغ الناس عزله ، فقفل خذينة وخلف بسمرقند ألف فارس [٦٨] ...

تقريب مسلمة لبعض الفقهاء والعلماء :

كان على رأس الفقهاء والعلماء الذين قربهم مسلمة بن عبد الملك الحسن البصري [٦٩] ، فقد أكرمه بما يليق به ويرفع من مكانته [٧٠]

---

(٦٨) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٦٢٠ ·
ان المدقق في هاتين الروايتين يرى الامور الاتية :
١ ـ تتفق الروايتان بان عزل سعيد خذينة يعود الى شكوى اهل خراسان منه ·
٢ ـ تنسب رواية البلاذري عزل سعيد خذينة الى مسلمة بن عبد الملك، بينما تنسب رواية الطبري عزله الى عمر بن هبيرة ·
٣ ـ ويبدو ان رواية الطبري هي الارجح ، فقد قام ابن هبيرة بعزل عمال مسلمة والغلظة عليهم بعد توليه على العراق وخراسان مكان مسلمة · وكان سعيد خذينة من بين من عزلهم ابن هبيرة ، وولى مكانه سعيد بن عمرو الحرشي ·
انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٦١٥ ·
٤ ـ يرى فلهاوزن ان عزل سعيد خذينة كان بسبب اللين الذي بدا للعرب انه قد وضع في غير موضعه · فعزل سعيد خذينة عن منصبه ·
انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٢٩ ·
(٦٩) الحسن البصري : واسمه ابي الحسن يسار ، وكان الحسن جامعا ، عالما ، عاليا رفيعا ، فقيها ، ثقة مأمونا ، عابدا ناسكا ، كبير العلم، فصيحا وسيما ··
انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ١٥٧ ·
(٧٠) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ ·
وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ١٧٧ ·

ولم يؤيد الحسن البصري ثورة يزيد بن المهلب ، فقد كان يثبط الناس عن الفتنة ، ويحضهم على أن يكفوا أيديهم عن قتال على دنيا زائفة ، وأن يكتفوا بالإقبال على الله ، وعظيم ثوابه في الآخرة ، وقد كان له تأثير كبير خصوصاً على الموالي في بعض القرى القريبة من البصرة (٧١) .

وكان الحسن البصري صديقاً حميماً للخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يكره المهالبة ، ويقول : إنهم جبابرة ، ولعل الحسن أيضاً كان يكره المهالبة للسبب الذي كرههم له عمر من قبل (٧٢) .

ومن الفقهاء الذين قربهم مسلمة بن عبد الملك ، موسى بن أنس ابن مالك ، حيث عينه على قضاء البصرة (٧٣) ...

كما استعمل عالماً وفقيهاً آخر ، هو رجاء بن حبوة بن جود الكندي (٧٤) حيث عينه على ديوان الخاتم (٧٥) ..

---

(٧١) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٨٧ وفلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٥ .

(٧٢) انظر : فلهاوزن ، هامش ص ٣٠٩ .

يذكر الطبري : ان الحسن البصري كان يقول : ان يزيد بن المهلب ، كان بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرح بها الى بنيمروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم ، وانه كان يرى ان يوضع قيد في رجل يزيد بن المهلب ، ثم يرد الى محبس عمر بن عبد العزيز ، الذي فيه حبسه .

انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٨٧ .

(٧٣) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

(٧٤) رجاء بن حبوة الكندي : وكان من العلماء الاعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز . وقد سبقت الاشارة اليه .

(٧٥) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ١٨١ .

المرحلة الثالثة : ١٠٧ هـ - ١١١ هـ / ٧٢٦ م - ٧٣٠ م

بقي مسلمة بن عبد الملك بعد عزله عن ولاية العراق ملازماً لأخيه الخليفة يزيد بن عبد الملك حتى وفاة هذا الأخير عام ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م.

وفي خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ م - ٧٤٣ م ، بدأت شخصية مسلمة تبرز في المجالين الإداري والعسكري خاصة على الساحتين التركية والرومية، وفي إقليمي أرمينيا واذربيجان(٧٦).

يبدو أن أرمينيا واذربيجان كانتا تشكلا ولاية واحدة خاضعة من الناحية الإدارية - تحت إشراف وال واحد ، خاصة في خلافتي يزيد ابن عبد الملك وأخيه الخليفة هشام .. ويبدو أيضاً أن والي هذين الإقليمين كان يجمع في يده السلطتين الإدارية والعسكرية ، وكان ينيب عنه أحياناً - من يتولى الشئون الإدارية ، ليتفرغ هو لواجباته العسكرية ... وهذا ما قد تجلى في ولاية مسلمة الثانية على هذين الإقليمين في خلافة هشام بن عبد الملك ..

وقد كان الجراح بن عبد الله الحكمي ، يشغل ولاية هذين الإقليمين في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٤ هـ / ٧٢٣ م بعد هزيمة الوالي السابق اليهراني أمام الخزر .(٧٧)

---

(٧٦) سبق ان اشرنا الى ولاية مسلمة الاولى على هذين الاقليمين في خلافة اخيه الوليد بن عبد الملك ، وما قام به من اعمال عديدية فيهما تناولت الامور الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية،اضافة الى العمليات العسكرية، وبذلك يكون مسلمة قد كسب خبرة واسعة واطلاع كبير في شؤون واحوال هذين الاقليمين .

(٧٧) انظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، بيروت ١٩٦٥، ص ١١١ .

وقد استمرت ولاية الجراح حتى عام ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م ، حيث عزله هشام بن عبد الملك ، وولى أرمينيا واذربيجان أخاه مسلمة بن عبد الملك [٧٨] .

وكان مسلمة ينيب عنه الحارث بن عمرو الطائي [٧٩] لينصرف هو إلى قيادة العمليات العسكرية على الساحة الشمالية الشرقية (أرمينيا وأذربيجان وبلاد الخزر) .

وقد كرس مسلمة جميع جهوده وطاقاته خلال فترة ولايته الثانية على هذين الإقليمين في قتال وحروب مستمرة مع الترك والخزر ، وسوف نشير إلى تفاصيل ذلك من خلال الفصل الخاص بدور مسلمة في المجال العسكري .

أرمينيا واذربيجان

المرحلة الرابعة :

١١٢ هـ - ١١٤ هـ / ٧٣١ م - ٧٣٣ م

ارمينيا واذربيجان

استمرت ولاية مسلمة بن عبد الملك على إقليمي أرمينيا واذربيجان حتى عام ١١١ هـ / ٧٣٠ م .. وفي هذا العام عزله الخليفة هشام بن عبد

---

(٧٨) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٦٠ .

(٧٩) انظر : ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، وانظر صاحب العيون والحدائق ، ص ٩٠ .

الملك ، وولى مكانه الجراح بن عبد الله الحكمي الولاية الثانية [٨٠] .

استمر الجراح في ولايته هذه مقاتلا الخزر حتى عام ١١٢ هـ حيث التقى بالخزر ، فقتل ومعه كثير من المسلمين قرب أردبيل [٨١]. وتقدم الخزر حتى بلغوا مشارف الموصل [٨٢] ...

يبدو أن الوضع العسكري أصبح حرجاً ، خاصة في إقليم اذربيجان مما دعا بهشام بن عبد الملك أن يعيد تعيين مسلمة على أرمينية أولا [٨٣] ثم ضم إليه إقليم اذربيجان عام ١١٣ هـ [٨٤] . إذ أن الخليفة هشام بن عبد الملك سبق أن وجه سعيد بن عمرو الحرشي على مقدمة مسلمة لقتال الخزر في إقليم اذربيجان ، ومعه قواد آخرون منهم أسحق بن مسلم العقيلي وأخوته ، وحيونه بن الحارث بن خالد أحد بني عامر من ربيعة بن صعصعة ، وذقافة وخالد إبنا عمير بن الحباب السلمي ، والفرات بن سلمان الباهلي ، والوليد بن القعقاع العبسي ، فواقع الخزر ، وقد حاصروا ورثان ، فكشفهم عنها وهزمهم فاتوا ميمز من عمل اذربيجان [٨٥] ...

أما مسلمة الذي عين والياً على أرمينيا ، فلم يرق له تقدم سعيد بن

---

(٨٠) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ ليس لدينا ما يشير الى سبب هذا العزل .
(٨١) اردبيل ، مدينة من اكبر مدن اذربيجان :
انظر : الاصطخري ، المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٠٨ .
(٨٢) انظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٦٠ .
(٨٣) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .
(٨٤) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .
(٨٥) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .

عمرو الحرشي [٨٦] ، فولى أمر عسكره عبد الملك بن مسلم العقيلي وسار بجيشه لقتال الخزر ، وعزل سعيد الحرشي ، وأمر مسلمة رسوله فقيده وحمله إلى برذعة ، فحبس في سجنها [٨٧] ، غير أن هشام كتب إلى مسلمة يلومه على ذلك ، ووجه برسل من قبله ، حتى أخرجوا سعيد بن عمرو الحرشي من السجن ، وحملوه عليه [٨٨] .

ظل مسلمة في ولايته الثالثة على إقليمي أرمينيا واذربيجان حتى عام ١١٤ هـ / ٧٣٣ م ، حيث عزله هشام بن عبد الملك وولى هـذين الإقليمين مروان بن محمد لمستهل المحرم سنة أربع عشر ومائة [٨٩] . ويبدو أن سبب عزل مسلمة يعود إلى مقابلة جرت بين الخليفة هشام ومروان بن محمد حيث طعن مروان بمقدرة مسلمة العسكرية في حروبه مع الخزر [٩٠] وقد يكون لتصرف مسلمة مع سعيد الحرشي السبب الأساسي في عزله خاصة وأن سعيد الحرشي قد عين من قبل الخليفة هشام فعزله مسلمة دون أن يأخذ رأي الخليفة ، وليس بسبب ضعف في مقدرة مسلمة العسكرية .

وبعد عام ١١٤ هـ / ٧٣٣ م لم نعد نسمع عن مسلمة بن عـبد

---

(٨٦) لما تهيأ الحرشي ـ وهو على مقدمة الجيش لقتال الخزر ، اتـاه كتاب مسلمة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ..
انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ .

(٨٧) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ .

(٨٨) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٦٠ ، وخليفة بن خياط ، جـ٢، ص ٣٥٨ .

(٨٩) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٣ ، ص ٣٥٩ . وابن الاثير جـ ٥ ، ص ١٧٧ .

(٩٠) انظر : ابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ .

الملك شيئاً في مختلف مجالات الحياة الإدارية ، والعسكرية والسياسية ، ويبدو أنه انصرف إلى إدارة أموره المالية والإقتصادية حتى وفاته عام ١٢٠ أو ١٢١ هـ / ٧٣٩ م [٩١] .

---

(٩١) هناك اشارة ترد في كتاب « تاريخ خليفة بن خياط » تشير « الى ان مسلمة غزا على الصائفة في سنة احدى وعشرين ومائة ، وسار معه هشام حتى بلغ ملطية » جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

وهذه الرواية لا تتفق مع رواية اخرى يذكرها « ابن خياط » ايضا في مكان اخر من كتابه تشير الى انه : « في سنة عشرين ومائة مات مسلمة ابن عبد الملك بن مروان يوم الاربعاء في المحرم بالشام » . نفسه جـ ٢،ص ٣٦٥.

الفصل السابع

مسلمة بن عبد الملك
ودوره
في المجال العسكري

أولا : الجبهة الشرقية : العراق وبلاد فارس وتشمل :

١ – القضاء على حركة الخوارج .

٢ – القضاء على ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

ثانياً : الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية وتشمل : –

أرمينيا ، واذربيجان ، والخزر وآسيا الصغرى.

ثالثاً : حصار القسطنطينية الكبير .

الفصل السابع

مسلمة بن عبد الملك
ودوره
في المجال العسكري

استهلال :

أعد عبد الملك بن مروان إبنه مسلمة إعداداً عسكرياً قوياً منذ نعومة أظفاره .. فقد دربه على ركوب الخيل والفروسية ، والرمي بالنبال والضرب بالسيف . وكان يبث في نفسه روح الإقدام والشجاعة لأن يكون قائداً عسكرياً مظفراً ....

وعبد الملك بن مروان هو القائل بحق ابنه مسلمة قبيل وفاته في وصية له لأبنائه : « أكرموا مسلمة ، فإنه سنكم الذي به تتزينون ، ونابكم الذي عنه تفترون وسيفكم الذي تصولون ، فاصدروا عن رأيه ، واسندوا جسيم أمركم إليه » [1]

---

(١) انظر البلاذري ، انساب الاشراف ، مخطوطة ، جـ ١١ ، ص ١٨١ . والمسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٦١ .

فلا غروة والحالة هذه أن يبعث عبد الملك إبنه مسلمة — وهو في ريعان الشباب — على الجيوش العربية الإسلامية عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م لغزو أرض الروم [٢] . .

ويروى عن عبد الملك أنه استبطأ إبنه مسلمة في مسيره إلى الروم وكتب إليه :

لمن الظعائن سيرهن تزحف سير السفين إذا تقاعسن يجذف

فلما قرأ مسلمة الكتاب ، كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زينته الحرب لم يترمرم [٣]

وقد تجلت عبقرية مسلمة العسكرية في كل الحروب والغزوات التي خاض غمارها ، سواء ما كان منها في إخماد الحركات والثورات التي قامت ضد نظام الحكم الأموي في العراق ، أو في حروبه وغزواته المستمرة ضد الترك والروم ، أو في حصاره العظيم للقسطنطينية الذي الذي دام عاماً كاملاً ...

وقد أصبحت خطط مسلمة العسكرية مثالا يحتذى من قبل بعض القادة العسكريين العباسيين أثناء ثورتهم وتقدم جيوشهم نحو العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي : « فقد جاءت خطط قحطبة هـذا مشبهاً للخطط الحربية التي عمل بها مسلمة بن عبد الملك ، وهو يحارب يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هـ [٤] .

---

(٢) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف، ص ٤٢٩ .

(٣) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ .

(٤) انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولـــة العربية ، ص ٥١١ ، هامش رقم (٢) .

جبهات مسلمة العسكرية :

ولكي يسهل علينا دراسة الدور الذي قام به مسلمة بن عبد الملك في المجال العسكري ، رأينا تقسيمه إلى جبهتين ، وذلك وفقاً لموقع سوريا الجغرافي والتي كانت تمثل في هذه الفترة الزمنية مركز الحكم العربي الإسلامي ... وهاتان الجبهتان هما :

١ — الجبهة الشرقية : وتشمل العراق وبلاد فارس ...

وتركزت نشاطات مسلمة العسكرية في هذه الجبهة بـ :

أ — إخماد حركة الخوارج : التي ظهرت في خلافة عمر بن عبد العزيز وانتهت بالقضاء عليها في خلافة يزيد بن عبد الملك .

ب — إخماد ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وتصفية جيوبها في العراق وبلاد فارس في خلافة يزيد بن عبد الملك ..

٢ — الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية : وتشمل أرمينيا واذربيجان وبلاد الخزر ، وآسيا الصغرى .

وكانت هذه الجبهة تشكل جميعها الساحة العسكرية الشمالية والشمالية الشرقية في حروب مسلمة وغزواته ضد الترك والروم .

ويدخل ضمن هذه الجبهة العسكرية الشمالية — حصار مسلمة بن عبد الملك العظيم لمدينة القسطنطينية ، الذي دام عاماً كاملا ، والذي رأينا أن نفرد له دراسة خاصة قائمة بذاتها ونجعلها تحت عنوان :

٣ — حصار القسطنطينية الكبير : ٩٨ هـ ٩٩ هـ/ ٧١٦ م — ٧١٧م

وسنعرض الآن لدراسة هذه الجبهات العسكرية بدقة وتفصيل ، ونبرز دور مسلمة بن عبد الملك الكبير في كل منها :

اولا : الجبهة الشرقية : وتشمل :

١ – حركة الخوارج – ٢ – ثورة يزيد بن المهلب

١ - حركة الخوارج :

لعب مسلمة بن عبد الملك دوراً كبيراً في إيقاف الخوارج عند حدهم والقضاء عليهم في خلافتي عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك بن مروان :

أ – حركة الخوارج في خلافة عمر بن عبد العزيز وموقف مسلمة منها ١٠٠ هـ – ١٠١ هـ / ٧١٨ م – ٧١٩ م

كون الخوارج قوة سياسية كبيرة ثائرة ضد نظام الحكم الأموي منذ قيامه . وقد جوبهت جميع ثوراتهم بقوة وعنف من قبل خلفاء بني أمية الذين سبقوا الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وفي عهد هذا الخليفة التقي الصالح ظهرت حركة أخرى للخوارج في منطقة جوخي (٥) ، بقيادة زعيمهم « شوذب » وإسمه بسطام من بني يشكر بن بكر بن وائل في عام ١٠٠هـ / ٧١٨م،وكان خروجه في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة (٦)

غير أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يعمد إلى استعمال وسائل العنف والقسوة في قمع هذه الحركة والقضاء عليها إلا عند الضرورة

---

(٥) جوخي : منطقة في شرقي دجلة · وجوخا اسم نهر تقع عليه كورة واسعة في سواد بغداد ·

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٦١ ·

(٦) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ص ١٣١ ·

فقد قامت سياسة هذا الخليفة الصالح على أساس التفاهم والتصالح ، ليس مع الخوارج فحسب ، وإنما مع مختلف القوى السياسية الأخرى المناوئة للحكم الأموي ...

فقد حاول هذا الخليفة الورع أن يجعل من الإسلام أساساً مشتركاً بين الجميع .. وقد حاول أن يزيل أسباب التذمر والسخط ، وخاصة ما كان في نفوس أهل العراق من شعور بأنهم تحت حكم أمـــوي أجنبي عنهم .. ولم يكن يعاقب المجرمين السياسيين على حين كان شديداً على غيرهم من المجرمين ، وخاصة مع المتلاعبين بأموال الدولة من ولاة وقواد ..

وقد أثبت حسن نيته بالعلويين ، ورد إليهم ما كان قد أخذ منهم من ممتلكات [7] وترك لعن علي بن أبي طالب على المنبر ، وكتب بذلك إلى الآفاق ...

وإزاء الخوارج — موضوع البحث — فإنه كان يضن إرضاءهم بمناظرته إياهم في آرائهم ، وقد نجح على الأقل في أن يجعلهم يغمدون سيوفهم ما امتدت حياته [8] .

يبدو أن الخوارج قد أدركوا حسن نية هذا الخليفة الورع وسياسته القائمة على أساس التفاهم والتصالح ، والإبتعاد عن استعمال وسائل العنف والقوة والحرب ، مما شجعهم على الخروج والثورة ...

---

(٧) من ذلك انه رد «فدك» الى ولد فاطمة، كما يشير الى ذلك اليعقوبي، تاريخ ، ج ٣ ص ٥٠ .

(٨) انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٩٩ .

ولكن رغم هذه السياسة العامة التي تميز بها الخليفة عمر ، فإنه لم يكن ليتوانى عن اللجؤ إلى استعمال السيف معهم .. ولو تتبعنا سياسة عمر تجاه الخوارج – والمستوحاة من روح النصوص التاريخية – نستطيع أن نخرج بالأمور الآتية :

أ – دعوة عمر إياهم أولا إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه . وإلى هذا يشير الطبري : « إنه لما خرجت الحرورية بالعراق ، كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق ، يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه [9] .

ولكن يبدو أن الخوارج قد رفضوا هذه الدعوة .

ب – محاولة عمر اللجؤ إلى التهديد ، وذلك باستعمال القوة العسكرية إذا ما لجأ الخوارج إلى سفك الدماء والإفساد في الأرض ... وبذلك كتب عمر إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، « أن لا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلا صليباً حازماً فوجهه إليهم ووجه معه جنداً وأوصه بما أمرتك به » فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمر به عمر [10] ...

---

(٩) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ، ص ١٣١ .

(١٠) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية .

ج — الصدام المسلح :

لم يستجب الخوارج إلى دعوة الخليفة عمر ولا إلى واليه عبد الحميد وقائده محمد بن جرير ، فولع الصدام العسكري بين جيش محمد ابن جرير والخوارج ، كان الإنتصار فيه للخوارج ... مما اضطر الخليفة عمر إلى بعث مسلمة بن عبد الملك لقتالهم ، وإلى هذا يشير الطبري : « فلما اعذر في دعائهم ، بعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمتهم الحرورية . فبلغ عمر . فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد :

« قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء . وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم ، فلقيهم مسلمة في أهل الشام ، فلم ينشب ان أظهره الله عليهم [11] .

د — مناظرة الخوارج : لجأ الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى وسيلة أخرى ، كي يتجنب بها سفاك الدماء وإراقتها ، وكي يحقق بها التفاهم والتصالح ، تلك هي طريقة المناظرة السياسية الدينية مع الخوارج ...

---

(١١) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية، ص ١٣١ وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٥٨ .

ملاحظة :

يبدو ان مسلمة بن عبد الملك لم يحرز نصرا حاسما وساحقا على الخوارج في هذا الصدام العسكري . وان زعيم الخوارج « شوذب » لم يقتل في المعركة . وان كل ما احرزه مسلمة هو انه اوقف الخوارج في مكانهم وعند حدهم . خاصة وان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد ظهرت عنده رغبة في اجراء مناظرة سياسية — دينية . مع شوذب زعيم الخوارج . فتوقف القتال بينهما انتظارا لنتيجة المناظرة .

وبهذا كتب الخليفة عمر إلى شوذب زعيم الخوارج ، كما يشير إلى ذلك الطبري : « يدعوه ويسأله عن مخرجه . فقدم كتاب عمر عليه . وقد قدم عليه محمد بن جرير بازائه لا يحركه ولا يهيجه فكان في كتاب عمر إليه : « إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ونبيه ، ولست أولى بذلك مني ، فهلم أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا » ... فلم يحرك بسطام « شوذب » شيئاً ، وكتب إلى عمر : قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك » [١٢] ...

ومهما كانت الآراء والأفكار التي طرحت أثناء المناظرة ، ولكن يبدو أن الخليفة عمر قد تفوق على المتناظرين الخارجيين وأقنعهما بآرائه وأفكاره لولا ظهور مسألة ولاية العهد ليزيد بن عبد الملك وتقرير مصير الخلافة إليه من بعد عمر — وهذا ما لا يرضاه الخوارج ، مما جعل الخليفة عمر أن يؤجلهما ثلاثاً توفي بعدها — كما يروى — مسموماً لذا ترك أمر حسم الموقف مع الخوارج إلى الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك ..

---

(١٢) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٣١ ــ ١٣٢

يذكر الطبري عن ابي عبيدة : ان احد الرجلين اللذين بعثهما شوذب الى عمر كانا ممزوج مولى بني شيبان ، والاخر من صليبة بني يشكر . فناظرا قالا له : اخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك ، قال : صبره غيري ، قال : افرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه ، اتراك كنت اديت الامانة الى من أئتمنك ؟ . قال : فقال : انظراني ثلاثا . فخرجا من عنده . وخاف بنو مروان ان يخرج ما عندهم وفي ايديهم من الاموال ، وان يخلع يزيد . فدسوا اليه من سقاه سما ، فلم يلبث بعد خروجهما من عنده الا ثلاثا حتى مات » .

انظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ .

ب ـ حركة الخوارج في خلافة يزيد بن عبد الملك ـ ودور مسلمة في القضاء عليها :

١٠١ هـ / ٧١٩ م

حال وفاة الخليفة عمر دون تحقيق نتيجة حاسمة للمناظرة السياسية الدينية التي جرت مع الخوارج . ويعني هذا أن حبل المناظرة قد انقطع وأن سياسة التفاهم والمصالحة معهم قد توقفت . ولم يبق من سبيـــل غير تجدد القتال بين قواد بني أمية والخوارج في خلافة يزيد بن عبـد الملك ، كان الخوارج في جميع المعارك هم المتفوقين والمنتصرين [١٣] . حتى تسلم مسلمة بن عبد الملك زمام القيادة العسكرية من جديد ..

---

(١٣) يمكن تلخيص العمليات العسكرية التي دارت بين قواد بني امية والخوارج وحتى تسلم مسلمة بن عبد الملك زمام القيادة العسكرية بما يأتي :

١ ـ اراد عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ـ وهو والي الكوفة ـ ان يحظى عند الخليفة يزيد بن عبد الملك . فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمناجزه شوذب ، ولما رأى الخوارج محمد بن جرير يستعـد للحـــرب قالوا : ما فعل هؤلاء هذا الا وقد مات الرجل الصالـــح (الخليفة عمر) . ونشب القتال بين الطرفين ، فاصيب من الخوارج نفر ، وقتل الكثير من اهل الكوفة وانهزموا ، وجرح محمد بن جرير ، فدخل الكوفة ، وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ، ثم رجعوا الى اماكنهم .

٢ ـ ووجه الخليفة يزيد بن عبد الملك تميم بن الحباب في الفين ، فحاربه الخوارج فقتلوه وهزموا اصحابه ، فلجأ بعضهم الى الكوفة ورجع الاخرون الى يزيد .

٣ ـ ثم وجه يزيد بن عبد الملك اليهم نجده بن الحكم الازدي في جمـــع فقتلوه وهزموا اصحابه .

٤ ـ ثم وجه يزيد بن عبد الملك اليهم الشحاج بن وداع في الفين فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه ، وقتل منهم نفرا منهم هدبة اليشكري ابن عم بسطام .

انظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الحسينية ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

سبق أن أشرت ، أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وجه مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام لقتال الخوارج ، « فلم ينشب أن أظهره الله عليهم » .

وذكرت أيضاً ، أن مسلمة لم يحرز انتصاراً حاسماً على الخوارج ولم يقتل زعيمهم شوذب « بسطام » ، بل أوقفهم عند حدهم خاصة بعد أن ظهرت عند الخليفة عمر رغبة في إجراء مناظرة مع الخوارج . وقد بقي محمد بن جرير البجلي مواجهاً شوذب زعيم الخوارج في انتظار نتيجة المناظرة التي لم تأت بشيء حاسم بعد وفاة الخليفة عمر .

وبعد وفاة الخليفة عمر ، جاء يزيد بن عبد الملك إلى منصب الخلافة في عام ١٠١ هـ / ٧١٩ م .

وفي هذه الأثناء ، وردت أنباء هروب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ولجوءه إلى البصرة ، وإعلانه خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي كان يخشاه ويكرهه ...

وبهذا صار على الخليفة يزيد أن يواجه أكبر خطرين أصبحا يهددانه في العراق هما : خطر الخوارج الذين انتصروا على جميع قواده ، والخطر الأعظم الثاني المتمثل في ثورة يزيد بن المهلب الذي أعلن خلعه .

فلا غرو — والحالة هذه — أن يجد الخليفة يزيد بن عبد الملك في شخصية أخيه مسلمة — وهو القائد العسكري المحنك — الساعد الأيمن في أن « يسند جسيم أمره إليه» على حد وصية أبيه عبد الملك بن مروان..

إن المهمة الأساسية التي بعث بها الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه

مسلمة ، كان القضاء على ثورة يزيد بن المهلب . ولكن قدوم مسلمة إلى الكوفة وشكوى أهلها من شوذب زعيم الخوارج – وخطره عليهم دفع مسلمة إلى قتاله والتخلص منه أولا ثم التفرغ إلى قتال ابن المهلب وبهذا يكون مسلمة قد أدرك خطر الخوارج – وهم أقرب إليه في الساحة العسكرية من ابن المهلب – ولكي لا يفتحوا أمامه جبهة قتالية أخرى تشغله عن قتال ابن المهلب ...

يشير الطبري : « فلما دخل مسلمة الكوفة شكا إليه أهلها مكان شوذب وخوفهم منه ، وما قد قتل منهم . فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي ، وكان فارساً . فعقد له على عشرة آلاف [١٤] ووجهه إليه وهو مقيم بموضعه . فأتاه ما لا طاقة له به . فقال شوذب لأصحابه : من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا وإنما البقاء في الدار الآخرة ، فكسروا أغماد السيوف وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً حتى خاف الفضيحة فذمر أصحابه وقال لهم : أمن هذه الشرذمة ؟ لا أباً لكم تفرون يا أهل الشام ، يوماً كأيامكم . قال : فحملوا عليهم فطحنوهم طحناً لم يبقوا منهم أحداً وقتلوا بسطاماً وهو شوذب وفرسانه ، منهم الريان ابن عبد الله اليشكري . » [١٥]

ومن هنا برزت مواهب مسلمة في المجال العسكري ، والمتمثلة في عدم القتال على جبهتين أو أكثر .. وهذا ما تؤكده الخطط

---

(١٤) قارن هذا مع عدد جيش شوذب في اول خروجه في خلافة عمر ابن عبد العزيز ، حيث كان عددهم ثمانين فارسا .

(١٥) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ١٤٣ .

العسكرية الحديثة ، والتي كانت سبباً من أسباب هزيمة الجيوش الهتلرية الألمانية في الحرب العالمية الثانية والتي قاتلت على أكثر من جبهة ..

ويتخلص مسلمة من خطر الخوارج ، أصبح الطريق أمامه مفتوحاً وممهداً للتفرغ التام في قتال يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

٢ ـ ثورة يزيد بن المهلب ودور مسلمة في القضاء عليها :

١٠٢ هـ / ٧٢٠ م

لكي نتفهم ونبرز بوضوح الصراع العسكري ـ والذي اتخذ طابعاً سياسياً أيضاً ـ بين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من جهة وبين الخليفة يزيد بن عبد الملك وقائده مسلمة من جهة أخرى ، رأينا وضع النقاط الجوهرية الآتية :

١ ـ موقف يزيد بن المهلب بعد هروبه من حبس الخليفة عمر [١٦] .

٢ ـ موقف الخليفة يزيد بن عبد الملك وقائده مسلمة بن أبي المهلب .

٣ ـ العمليات العسكرية بين مسلمة وابن المهلب .

٤ ـ عوامل فشل ثورة يزيد بن المهلب ..

٥ ـ مسلمة بن عبد الملك وتصفية جيوب الثورة المهلبية .

---

(١٦) سبق ان اشرنا ـ من خلال الفصل الثالث ـ الى المناصب الادارية والعسكرية التي وصل اليها يزيد بن المهلب وخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك » والاموال التي حصل عليها في عهد هذا الخليفة ، كما اشرت أيضا كيف ان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد طالبه بهذه الاموال وحاسبه عليها ثم اودعه السجن من اجل ذلك .

١ ـ موقف يزيد بن المهلب بعد هروبه من حبس الخليفة عمر :

استطاع يزيد بن المهلب الهرب من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز . وكان هروبه إما أثناء مرض الخليفة عمر أو بعد موته [١٧] وقد اتجه بعد هروبه إلى البصرة معقل قبيلته وعشيرته الأزد اليمانية . وبعد أن ثبت قدميه في البصرة أعلن خلافه ونزاعه مع الخليفة يزيد بن عبد الملك [١٨] ..

---

(١٧) هناك روايتان يشير اليهما الطبري بهذا الخصوص :

الاولى وهي رواية ابي مخنف وتقول : ان ابن المهلب هرب اثناء مرض الخليفة عمر ، وانه كتب اليه كتابا جاء فيه : والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكن لم آمن يزيد بن عبد الملك · فقال عمر : اللهم ان كان يزيد يريد بهذه الامة شرا فاكفهم شره ·· » والرواية الثانية وهي رواية « الواقدي وتقول:ان يزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر»· ··· اما عن كيفية هروبه:فان يزيد بن المهلب كان يعمل في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك · فبعث الى مواليه فاعدوا له ابلا ، ثم ان الابل جاءت فاحتمل فخرج ومعه عاتكة امرأته · انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ·

(١٨) تعود دوافع النزاع بين الخليفة يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب الى اسباب شخصية وعائلية وقبلية ، يمكن تركيزها وفق ما جاء في المصادر التاريخية بما يأتي : ـ لقد كانت ليزيد بن عبد الملك صلات وثيقة بالحجاج بن يوسف الثقفي · وقد تزوج ابنة محمد بن يوسف اخي الحجاج نفسه ، فانجبت له في حياة الحجاج ابنه الوليد بن يزيد المقتول » الذي صار خليفة فيما بعد ، وقد اسمت ابنها الاول الذي توفي الحجاج على اسم عمتها · وكان ابن المهلب واليا على العراق ، وقد عذب آل الحجاج في خلافة سليمان ابن عبد الملك ·· ومن جراء ذلك كان يزيد بن عبد الملك يبغض ابن المهلب ، وقد عاهد الله لئن امكنه من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا ·

انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ١٣٦ · وفلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٢ ·

يبدو أن يزيد بن المهلب لم يلق من العقبات والمصاعب الشديدة حالت دون تقدمه وسيره نحو البصرة [١٩] .

الموقف في البصرة بعد دخول ابن المهلب :

لأجل تقدير الوضع في البصرة ، يجدر بنا تبيان موقف كل من الوالي عدي بن أرطاة الفزاري – وهو من قيس – ويزيد بن المهلب – وهو من الأزد – الواحد منهما تجاه الآخر .

فبالنسبة لموقف عدي – وكان الخليفة يزيد بن عبد الملك قد كتب إليه : يأمره أن يتهيأ لإستقبال ابن المهلب ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته » [٢٠] .. لذا فقد قام باتخاذ الإحتياطات ووضع العقبات داخل البصرة وخارجها في مواجهة يزيد بن المهلب يمكن تركيزها بما يلي :

---

(١٩) يمكن تركيز العقبات التي واجهها ابن المهلب وهو في طريقة الى البصرة بما يأتي :

١ – مر في طريقة بقبيلة قيس ، فاتبعوه ، ولكن الهذيل بن زفر ردهم عنه ، بعد « ان اصابوا طرفا من ثقله وغلمة من وصفائه » ..

٢ – ثم اقبل ابن المهلب حتى ارتفع فوق القطقطانه (قرب الكوفه) ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن – والى الكوفة – جماعةمن شرطة الكوفة، ووجوه الناس واهل القوة ، وعلى رأسهم هشام بن مساحق القرشي ، ونزل عند العذيب (عين ماء تبعد اربعة اميال عن القادسية) – ومر يزيد بن المهلب منهم غير بعيد ، فاتقوا الاقدام عليه . ومضى نحو البصرة ..

انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ الحسينية،ص١٣٧و١٤٤

(٢٠) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، الحسينية،ص١٤٤ .

١ – وضع عدى بن أرطاة بعض آل المهاب في الحبس ، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب [٢١] .

٢ – جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها[٢٢] .

٣ – بعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيـــل الثقفي [٢٣] .

٤ – دعا عدي بن أرطاة أهل البصرة ، وبعث على كل خمس من أخماسها رجلا وهي :

خمس الازد ، وخمس تميم ، وخمس بكر بن وائل ، وخمس العالية .. وقد وقع الخلاف بين بعضهم وبين عدي بن أرطاة على استلام الراية [٢٤] .

٥ – وهنا رفض عدي بن أرطاة طلباً تقدم به عبد الملك بن المهلب حينما قال هذا له : خذ ابني حميد فاحبسه مكاني ، وأنا أضمن لك أن أرد يزيد بن المهلب عن البصرة ، حتى يأتي فارس ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك » [٢٥]

والملاحظ من جميع احتياطات عدي بن أرطاة هذه ، أنه لم يكن فيها جند من أهل الشام ، يبدو أنها لم تجلب انتباه الخليفة يزيد بن عبد الملك وهذا ما كان واضحاً من المحاورة التي دارت بين إبن المهلب وعدي بن أرطاة عندما وقع هذا الأخير أسيراً . فقال له ابن المهلب :

(٢١) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ ·
(٢٢) انظر : نفسه جـ ٨ ، ص ١٤٥ ·
(٢٣) انظر : نفسه ، جـ ٨ ص ١٤٥ ·
(٢٤) انظر : نفسه ، جـ ٨ ص ١٤٥ ·
(٢٥) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ ·

فلا يخفى عليك أن القوم ناسوك ، ... ولا يذكرونك ولا يحفلون بك ... » . أنظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٤٧ فشكلت هذه نقطة ضعف كبيرة كانت عاملا مهما في أن يخسر عدي المعركة مع ابن المهلب وأتباعه ..

أما بالنسبة إلى موقف يزيد بن المهلب ، فقد دخل هذا البصرة على مرأى ومسمع من واليها وأهلها دون مقاومة عسكرية قوية تذكر ورغم الإحتياطات والعقبات التي وضعها في وجهه عدي بن أرطاة ..

ويمكن تركيز العوامل التي ساعدت يزيد بن المهلب من دخول البصرة بما يأتي : —

١ — استطاع محمد بن المهلب — ولم يكن مع من حبس من آل المهلب — أن يجمع رجالا وفتية من أهل بيته ، وناساً من مواليه استقبل بهم يزيد بن المهلب . ويذكر الطبري أنه : « أقبل في كتيبة يهول من رآها » [(٢٦)]

٢ — تمكن محمد بن المهلب أن يفرج الطريق أمام أخيه يزيد ، حيث « حمل في خيله على خيل المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي » . [(٢٧)]

٣ — لم يبد أي خمس من الأخماس أي مقاومة في منع يزيد بن المهلب من دخول البصرة « حيث أقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي » [(٢٨)] ..

---

(٢٦) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .

(٢٧) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .

(٢٨) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .

وأقبل يزيد بن المهلب حتى نزل داره واختلف الناس إليه [٢٩] .

وفي البصرة بدأ يزيد بن المهلب يعزز مكانته وقوته ويجمع الناس إليه من كل فئة وقوم . وقد اتخذ من المال خير وسيلة لتحقيق ذلك .. حيث أخذ يعطي من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، فمال الناس إليه ، ومالت إليه ربيعة وبقية تميم وقيس ، وناس بعد ناس ، وناس من أهل الشام . [٣٠] بينما كان عدى ، يعطي إلا درهمين ويقول : لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، وحتى يأتي الأمر في ذلك » [٣١] .

فقال الفرزدق في ذلك :

أظن رجال الدرهمين يسوقهم إلى الموت أجال لهم ومصارع
فأحزمهم من كان في قعر بيته وأيقن أن الأمر لا شك واقع [٣٢]

وأخذ يزيد بن المهلب يبعث إلى عدي بن أرطاة : « أن أدفع إلى إخوتي ، وأنا أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي ما أحب من يزيد بن عبد الملك . فلم يقبل منه [٣٣] ويعني هذا أن يزيد ابن المهلب حاول أن يتجنب الدخول في معارك مع عدي بن أرطاة وذلك لكي يتفرغ ويستعد ويجمع قواه لتحقيق ما يريد تحقيقه من أهداف عسكرية وسياسية من الخليفة يزيد بن عبد الملك . ولكن رفض عدي طلبه جعل لا مناص هناك من وقوع صدام مسلح بينهما ....

---

(٢٩) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .
(٣٠) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .
(٣١) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .
(٣٢) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .
(٣٣) انظر نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ .

ويمكن تلخيص المعارك التي دارت بين يزيد بن المهلب وأنصاره من جهة وبين عدي ابن أرطاة وأتباعه من جهة أخرى بالمراحل الآتية :

١ ـ خرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي فنزلوا المربد[٣٤] فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس ، فحمل عليهم فهزمهم .. فقال الفرزدق في ذلك :

تفرقت الحمراء إذا صالح دارس
ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم
جزى الله قيساً عن عدي ملامة
إلا صبروا حتى تكون ملاحم [٣٥]

٢ ـ وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس حتى نزل جبانه بني يشكر [٣٦] ، وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام [٣٧] فاقتتلوا هنيهة ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ... وانهزموا [٣٨] .

---

(٣٤) المربد : مكان مشهور بالبصرة ٠ وكان معروفا منذ القدم بكونه كان سوق الابل ٠ ثم صار مكانا معروفا يجتمع فيه فحول الشعراء والخطباء٠ انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ١١ و ١٣ ٠

(٣٥) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٦ ٠

(٣٦) وهو مكان كان يقع على منتصف الطريق بين ابن المهلب وقصر الامارة في البصرة ٠
انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٦ ٠

(٣٧) يبدو ان انقساما وقع بين صفوف بني تميم وصفوف قيس ، وبين اهل الشام انفسهم في البصرة فمال بعض من كل من هؤلاء الى ابن المهلب ، وذلك حبا بما كان يقدمه لهم من قطع الذهب والفضة ، بينما بقي القسم الاخر من كل من هؤلاء مع عدى ابن ارطاة وقاتلوا معه ٠ وانظر اعلا هامش ٣٠ ٠

(٣٨) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ١٤٦ ٠

٣ – وأقبل يزيد بن المهلب ودنا من قصر الإمارة وحاصره وسقط القصر بيده . فجيء بعدى بن أرطاة فحبسه ، وانهزم أتباعه. وأخرج من كان من آل المهلب في السجن [٣٩] .

٤ – ولما انتصر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة من قيس وتميم ، فلحقوا بعبد الحميد ابن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام [٤٠] .

طموح يزيد بن المهلب ودعوته للخلافة :

لم يكتف يزيد بن المهلب بما أحرزه من انتصارات في البصرة ، بل أخذ يعمل على بسط نفوذه وسلطته إلى مناطق أخرى شرق البصرة وشمالها ، كما أخذ يعلن دعوته للخلافة ، ويطلق تصريحاته وتهديداته المعادية بقسوة وعنف ضد الخلافة الأموية في دمشق ..

يقول المسعودي : غلب يزيد بن المهلب على البصرة والأهواز وفارس وكرمان . وخلع يزيد بن عبد الملك . [٤١] . ويذكر ابن

---

(٣٩) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ، ص ١٤٦ ٠٠ وعند ما جيء بعدي بن ارطاة جرت محاورة بينه وبين يزيد بن المهلب وهي تنم وتعبر عن مدى الاعتزاز والقوة والطموح التي كانت تبدو على يزيد بن المهلب ٠ كما تعبر في الوقت نفسه عن مدى اعتزاز عدي بن ارطاة وتقديره وطاعته للخلافة الاموية وقوتها وقدرتها العسكرية في مواجهة «غدر ونكث وزلة ابن المهلب » ٠ على حد تعبير عدي ٠٠٠ انظر تفاصيل المحاورة في الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ٠

(٤٠) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٧ ٠

(٤١) انظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، القاهرة،١٩٣٨،ص٢٧٧٠

خلكان : أن ابن المهلب رام الخلافة لنفسه [٤٢] ». ويشير الطبري : أن يزيد بن المهلب أظهر دعوته وخطب الناس وأخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) [٤٣] ، ويحثهم على الجهاد ، وزعم بأن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم [٤٤] » ...

ويذكر صاحب العيون والحدائق : أن يزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك قال : إني لأرجو أن أهدم دمشق حجراً حجراً . فقال الفرزدق في ذلك :

تخبرك الكهان أنك ناقص ... دمشق التي كانت الجن جرت
لها من جبال الثلج صخراً كأنه ... قناعيس حتى أشرفت واشمخرت
أتتك خيول الشام تخطر بالقنا ... لها خرق كالطير لما استغلت
يقود نواصيها إليك مبارك ... إذا ما تصدى للكتيبة ولت
من آل أبي العاص حوالي لوائه ... ثمانون ألفاً كلها قد أطات [٤٥]

ويضيف صاحب العيون والحدائق : « إن يزيد بن المهلب لما علم بموت عمر بن عبد العزيز وتحقق ذلك عنده ، قويت نفسه وقال : لم

---

(٤٢) انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٠٣ ٠

(٤٣) كانت بيعة يزيد بـن المهلب : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وعلى ان لا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ، ولا يعـاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ٠ فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن ابي جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ٠ ثم يقول : تبايعون فاذا قالوا : نعم بايعهم ٠ انظر : الطبري، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

(٤٤) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

(٤٥) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٦٨ ٠

صار ابن أبي ذبان أحق بهامنا – يعني يزيد بن عبد الملك – وشتم بني مروان ، ودعى إلى الرضى من بني هاشم » [٤٦] ..

وفي خطبة يزيد بن المهلب في عسكره بواسط : حيث أطاق فيها ألفاظ الإستهجان والتحقير والإزدراء بحق مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بن عبد الملك ، وصف بها جيش الشام بكونـــه خليطاً من برابرة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس .. ونورد هنا نص ما قاله ابن المهلب وفق ما جاء في بعض المصادر التاريخية : خرج يزيد ابن المهلب يؤم واسطاً بعد أن استخلف على البصرة مروان بن المهلب .. وقد قدم يزيد واسطاً في مائة وعشرين ألف . وعظم الناس أمر أهل أهل الشام ، فخطبهم ابن المهلب بواسط فقال : إني قد اسمع قـــول الرعاع [٤٧] . قد جاء مسلمة ، وقد جاء العباس ، وقد جاء أهل الشام ، وما أهل الشام إلا تسعة أسياف ، سبعة منها معي وإثنان منها علي . وأما مسلمة فجرادة صفراء [٤٨] ، وأما العباس فنسطوس بن نسطوس [٤٩] ، أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس [٥٠] ..

---

(٤٦) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٦٥ ٠

(٤٧) وفي رواية صاحب العيون والحدائق : ارتجاس هذا العسكر ٠

(٤٨) لقد ناقشنا ـ من خلال الفصل الثالث ـ هذا اللقب بدقة وتفصيل٠

(٤٩) اشارة الى ان امه كانت رومية نصرانية ٠

(٥٠) انظر بهذا الخصوص : الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ والطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ ٠ والعيون والحدائـــق ، لمؤلف مجهول ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ٠

ترك يزيد بن المهلب واسطاً بعد أن استخلف عليها ابنه معاوية [٥١] وسار متوجهاً إلى الكوفة ،فمر بفم النيل،ووقف عند الموضع الذي يصب فيه النيل في الفرات ، ثم نزل « العقر » [٥٢] في انتظار مواجهة جيش مسلمة بن عبد الملك ...

---

(٥١) استخلف يزيد ابنه معاوية على واسط وجعل عنده بيت المـال والخزائن والاسراء ٠

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥١ ٠

وكان من بين الاسرى عدي بن ارطاة والي البصرة ٠٠ وذلك عندما ظفر به يزيد بن المهلب أخذه اسيرا وحمله معه في الحديد الى واسط ، فحبسه بها وجماعة معه ٠

انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ٠

(٥٢) العقر : بفتح اوله وسكون ثانيه ٠ والعقر عدة مواضع ٠ منهـا عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، قتل عنده يزيد بن المهلب بن ابي صفرة سنة ١٠٢ هـ ــ ويقول ابن خلكان وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين » ٠

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٦٩٥ ٠ والاصفهاني،الاغاني جـ ١٤ ، ص ٢٦٢ وابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٠٢ ٠

ويناقش فلهاوزن موقع عقر فيقول : ان عقرا المقصودة كانت تقع على الضفة الشرقية للفرات ، ولم تكن هي عقر كربلاء التي يجب البحث عنها الى القرب من مدينة الهندية ٠

ويذكر فلهاوزن رأى « نولدكة » بهذا الخصوص وهو : ان عقرا هي «قصر» (CASTRA) ، ويقول : انه محق بذلك ، لان نهر النيل القديم ــ احد روافد الفرات يصب في الفرات بين بلدة قصر وبين بلدة بابل ، لان الحصن كان يقع عند مصب النيل بين عقر وبابل ٠

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، هامش (١) ص ٣٠٧ ٠

٢ ــ موقف الخليفة يزيد بن عبد الملك وقائده مسلمة من ابن المهلب :

كان لخروج ابن المهلب في البصرة وإعلانه خلع الخليفة يزيد صدىً عميق في دمشق وأثر بليغ في نفس الخليفة يزيد بن عبد الملك ..

غير أن مسلمة كان يشجع أخاه يزيد ويشد من أزره ويهون الأمر عليه ... فقد روي : أن مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك ــ حين خلعه يزيد بن المهلب ــ فرآه في ثوب مصبوغ . فقال له : أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم   دون النساء ولو باتت بإطهار[٥٣]

وقد بعث مسلمة ــ في قوله هذا ــ القوة والعزيمة في نفس أخيه يزيد ، فانبرى يزيد على أثرها قائلا : ذا ونحن نحارب أكفاننا من قريش ، فإما أن ينعق ناعق مزوني : (**) ــ يعني ابن المهلب ــ فلا ولا كرامة . قال مسلمة : فشممت رائحة الفتح من هذه الكلمة[٥٤]

وقد حاول الخليفة يزيد بن عبد الملك تجنب الفتنة والحرب مع ابن المهلب ، لذا بعث مع حميد بن عبد الملك بن المهلب بالأمان

---

(٥٣) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٨٢ .

وابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٠٩ .

★★ المزون : عمان ــ وهو اسم من اسمائها ، ويعني ان اصل يزيد ابن المهلب من ازدعمان .

انظر : العيون والحدائق لمؤلف مجهول ، شرح هامش ص ٦٨ .

(٥٤) انظر : تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول ، ص ٣٨٢ .

للمهالبة جميعاً ، ولكن الأمان وصل متأخراً وبعد فوات الأوان(**) .

وعليه لم يكن أمام الخليفة يزيد بن عبد الملك إلا أن يتخذ الإجراءات الفورية : الإدارية منها والعسكرية لمجابهة خطر هذه الثورة العارم .

فعلى الصعيد الإداري : كتب الخليفة يزيد بن عبد الملك كتابين : الأول : إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة : يأمره أن يطلب ابن المهلب ويستقبله » [٥٥] وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم ويمنونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين (**)

والثاني : إلى عدى بن ارطاة والي البصرة : يعلمه هرب ابن المهلب ويأمره أن يتهيأ لإستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .. » [٥٦]

وعلى الصعيد العسكري: فقد عين الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة قائداً عاماً للجيش ، كما عين ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد

★★ : وكان حميد بن عبد الملك بن المهلب ـ لما ثار عمه يزيد ـ ذهب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فبعث هذا معه الامان للمهالبة جميعا ، ولكنه لما اقبل بالامان ومعه خالد بن عبد الله القسرى وعمرو بن يزيد الحكمي ، كان يزيد بن المهلب قد انتصر وقتل القتلى وحبس عدي بن ارطاة .

(٥٥) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٤٤ .

★★ انظر نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٨ .

(٥٦) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٤٤ .

الملك على جند دمشق خاصة . وأمرهم بالخروج [٥٧] .. ويقدر صاحب العيون والحدائق عدة جيش مسلمة – وجلهم من أهل الشام والجزيرة – بثمانين ألف .. [٥٨]

وكان اختيار الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة موفقاً وناجحاً وذلك لأسباب : منها شخصية ومنها عسكرية :

فإما الأسباب الشخصية : فيبدو أن العلاقات الشخصية بين مسلمة وابن المهلب كانت غير طيبة ، وليست على ما يرام . حيث كان كل منهما ينظر إلى الآخر نظرة الحسد والغيرة والتنافس ، وإن كلا منهما كان يكن للآخر روح العداوة والبغضاء : وكان يسمي كل منهما الآخر « بالجرادة الصفراء » [٥٩] وقد كان كلاهما قائدين متنافسين في قيادة الجيوش العربية الإسلامية ، خاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك . حيث كان مسلمة يقود جيوشه على الساحتين الشمالية والشمالية الشرقية في نفس الفترة التي عين فيها سليمان ابن عبد الملك يزيد بن المهلب على العراق وخراسان .

ولعل سوء العلاقات الشخصية بينهما يعود أيضاً إلى أن مسلمة قد تأثر من تصرفات يزيد بن المهلب ، واطلع على محاسبة الخليفة عمر بن

---

(٥٧) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٨٤ .

(٥٨) انظر : العيون والحدائق : لمؤلف مجهول ، ص ٦٨ .

(٥٩) لقد ناقشنا هذا اللقب بدقة وتفصيل من خلال الفصل الثالث وكيف كان ينعت كل منهما الاخر بهذا اللقب ، والنتيجة التي توصلنا اليها بهذا الخصوص .

عبد العزيز له على الأموال التي حصل عليها في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وإيداعه السجن من أجل ذلك [٦٠] ......

وقد أظهر مسلمة فعلا رغبته في التخلص من يزيد بن المهلب عندما أشار على أخيه يزيد بقتله ، يروي البلاذري في كتابه أنساب الأشراف : « أن مسلمة أوفد مروان بن عبد الملك إلى يزيد بن عبدالملك يشير عليه بقتل يزيد بن المهلب [٦١] »...

وقد أدرك الخليفة يزيد بن عبد الملك عمق الكراهية بينهما فوقع اختياره على أخيه مسلمة كي ينقذ مركزه وخلافته من جهة ويتخلص من ابن المهلب من جهة أخرى ، هذا إلى ما كان يبديه مسلمة لأخيه يزيد من وفاء وإخلاص وإرشاد وقد بقي كذلك طوال فترة خلافته .

أما الأسباب العسكرية : فتتمثل في كون مسلمة قد برز كقائد عسكري محنك ومجرب ، خاصة وأنه قائد الحملات الحربية في آسيا الصغرى وأرمينية واذربيجان وبلاد الخزر سنين طويلة ، حيث كسب من خلالها خبرات عسكرية فائقة .

---

(٦٠) كان مسلمة ملازما للخليفة عمر خلال مـــدة خلافته · ويبدو ان مسلمة كان على اطلاع مسبق بتصرفات يزيد بن المهلب وجمعه الامـــوال واقتنائها لنفسه ، وذلك من خلال كتاب ورده ـ وهو بأرض الروم على بـــاب القسطنطينية ـ من اخيه الخليفة سليمان بن عبد الملك يطلب منه بالشخوص اليه ليوجهه الى خراسان ، ومحاسبة ابن المهلب واخذ الاموال منه ·

انظر : ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ٢٩٥ و ٢٩٨ ·

(٦١) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، مخطوطة ، جـ ١١ ، ص٢٥١

هذا إلى أن مسلمة قد حارب الخوارج بقيادة زعيمهم شوذب ، وأوقفهم في مكانهم وعند حدهم في خلافة عمر بن عبد العزيز فأصبحت عنده بذلك خبرة عسكرية ودراية واسعة لمنطقة الكوفة وحواليهـا ، والتي أصبحت الآن — أيضاً — مسرحاً للعمليات العسكرية المقبلة بين مسلمة ويزيد بن المهلب .

٣ ـ العمليات العسكرية بين مسلمة وابن المهلب :

يصف الطبري الطريق الذي سلكه مسلمة بجيشه من الشام حتى وصوله إلى المكان الذي نزل عنده يزيد بن المهلب في « عقر » فيقول : « أقبل مسلمة يسير على شاطيء الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر فعبر من قبل قرية يقال لها فاراط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب [٦٢] ويذكر صاحب العيون والحدائق أنه عندما : « أقبل مسلمة والعباس في الجيش نزلا « النخيلة » من أرض الكوفة » [٦٣] . ولعلهما نزلا في هذا المكان لقضاء فترة من الراحة ، ثم واصلا السير نحو « عقر » ...

مرت العمليات العسكرية بين جيشي مسلمة بن عبد الملك ويزيد ابن المهلب في واقعتين أساسيتين هما :

---

(٦٢) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥١ .

ويعلق فلهاوزن على مسيرة مسلمة فيقول : ولما كانت الانبار على الضفة الشرقية ، فلا بد ان يكون مسلمة قد سار اولا من هناك،من عند بلدة القاراط الى الغرب ، ثم قفل راجعا الى الضفة الشرقية . كما فعل قحطبة بن شبيب الطائي ..

انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية (١) ص ٣٠٧ .

(٦٣) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٦٨ .

١ ـ واقعة سورا (٦٤) : وكانت واقعة جانبية غير فاصلة . وقد كان عبد الملك بن المهلب على رأس جيش بعثه أخوه يزيد نحو الكوفة ..

وكان العباس بن الوليد ـ ابن عم مسلمة ـ على رأس جيش من أهل الشام . تقابل الجيشان عند «سورا» ، فاصطفوا ثم اقتتلوا [٦٥] وقد كانت الغلبة في الجولة الأولى لصالح عبد الملك بن المهلب ، حيث كشف أصحابه أهل الشام واضطروهم إلى التقهقر إلى النهر .. ؟؟ غير أن أهل الشام كروا عليهم ، فكانت الغلبة لهم في الجولة الثانية . حيث انهزم أصحاب عبد الملك بن المهلب . حتى انتهى بهم إلى أخيه يزيد بالعقر [٦٦] .

٢ ـ واقعة عقر : ـ الموقف بين مسلمة ويزيد قبل المعركة : وقد بدأ كل من يزيد بن المهلب ومسلمة يعبىء جيشه ويعده وينظمه ويضع الخطط العسكرية اللازمة لخوض معركة المصير الفاصلة ..

وكان أمراً طبيعياً أن يفكر كل منهما بالفوز والنصر على الآخر ولكن ترى ماذا كانت خطط ابن المهلب وتفكيره في إعداد جيشه قبل خوض المعركة ؟؟ .. وماذا كانت ـ في الوقت نفسه خطط مسلمة وتفكيره بهذا الخصوص أيضاً ؟؟.

---

(٦٤) سورا : موضع من ارض بابل .. باتجاه الكوفة ..

(٦٥) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥١ .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٦٨ .

(٦٦) انظر ، نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

فبالنسبة إلى يزيد بن المهلب : فقد انضم إلى جيشه ــ عندما نزل بالعقر ، ناس من أهل الكوفة كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من « الثغور » حتى أحصى ما في ديوانه مائة وعشرين ألفاً [٦٧] ولكن ابن المهلب كان متخوفاً وغير مطمئن من صمود هذا الجيش في المعركة فقد تمنى وعلى حد قوله : « والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي »[٦٨] .

ومع ذلك فقد بدأ يزيد ينظم جيشه ويقسمه إلى أرباع ، وقد عين على كل ربع رجلا منهم . وقد اتبع بذلك التقسيم القبلي أي بالنسبة إلى

---

(٦٧) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

(٦٨) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

يبدو من بعض النصوص التاريخية ، ان جوا من الجدل والمناقشة كان يقع بين ابن المهلب وبين بعض قادته واصحابه ، تعطى انطباعا عاما عما كان يسود جيش ابن المهلب من التخوف والتردد وضعف الــــروح القتالية بين صفوفه ٠ فقد ورد بهذا الخصوص مثلا : ان يزيد بن المهلب قال لاصحابه : « ترون ان في هذا المعسكر الف سيف يضرب به » فعقب على قوله هذا حنظلة ابن عتاب التميمي ــ وكان على ربع تميم وهمدان اي والله واربعــة آلاف سيف ثم رديزيد قائلا :«والله ما ضربوا بألف سيف قط » ٠ وهذا يعني ان هذا العدد الكبير من الجيش لم يكن كله مؤهلا ومعدا للقتال ٠ ومن ذلك ايضا : ان يزيد بن المهلب حاول ان يظهر شجاعته وقوته وصموده امام جيش مسلمة، فقال لمن كان معه من اصحابه والله لو جاءوا بأهل الارض جميعا وليس الا انا ما برحت العرصة حتى تكون لي اولهم » ٠ فعقب بعضهم على قوله هذا : « نخاف ان تعنينا كما عنانا عبد الرحمن بن محمد (ابن الاشعث) » ٠

ومن الواضح انهم قد عنوا بقولهم هذا ، ان ابن الاشعث سبق ان قال مثل هذا القول ، وكان نصيب ثورته الفشل !! ٠ انظر هذه الاقوال والنصوص في الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

القبائل العربية وهي : الازد ، ومذحج ، وأسد ، وكنده وربيعة ، وتميم وهمدان ، وجمعهم جميعاً إلى أخيه المفضل بن المهلب »[٦٩]

حاول يزيد بن المهلب أن يستعمل أسلوبين في بعث القوة والعزيمة في صفوف جيشه : فهو من جهة كان يحث أصحابه على النيل من العدو أثناء القتال بقوله لهم : إن هؤلاء القوم – يعني جيش مسلمة – لا يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم والضرب بالمشرفية على عامهم[٧٠] .

ومن جهة أخرى ، كان يستعمل عبارات الإستهجان والإزدراء بجيش الشام وقادته ، ليقلل بذلك من شأنهم ويحط من قدرهم ظناً منه أن هذا الأسلوب سوف يرفع من معنويات أصحابه ومنزلتهم ومكانتهم وقدراتهم القتالية : فمن ذلك كان يقول بحق مسلمة بن عبد الملك أنه « جرادة صفراء » ، وكان يقول بحق العباس بن الوليد بن عبد الملك أنه « نسطوس بن نسطوس » و « عاقر ناقة ثمود » كما كان يصف جيش أهل الشام بكونهم مجرد « أقباط ، وأنباط ، وبرابرة وأخلاط من الناس »[٧١] ...

وقبل دنو ساعة المعركة ، حاول يزيد بن المهلب أن يضع خطة عسكرية يباغت بها جيش مسلمة ليلا .. ولكن هذه الخطة قوبلت

---

(٦٩) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

(٧٠) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

(٧١) انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ، والطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

في جيشه ، بذريعة أن دعوة سبق أن وجهت إلى أهل الشام يدعونهم فيها إلى كتاب الله وسنة نبيه » [٧٢] .

وهنا يقع يزيد بن المهلب في موقف حرج : بين أن يقنع جيشه ويدفع به إلى الحرب والقتال ، وبين أن ينصاع إلى دعوة هؤلاء الورعين من رجال الدين [٧٣] . وكان هـــذا عاملا آخراً في تصدع جيش ابن المهلب .

---

(٧٢) انظر الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

وكانت خطة يزيد بن المهلب العسكرية هذه كما جاءت في الطبري هي : « ان يزيد بن المهلب قد دعا رؤوس اصحابه ، فقال لهم : قد رأيت ان اجمع اثني عشر ألف رجل ، فابعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والاكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم ، وامده بالرجال حتى اصبح ، فاذا اصبحت ، نهضت اليهم انـا بالناس فنناجزهم ، فاني ارجو عند ذلك أن ينصر الله عليهم .. » .

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

(٧٣) كان على رأس هؤلاء الورعين من رجال الدين « السميدع » حيث قال ليزيد : « انا قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وقـد زعموا انهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا ان نمكر ولا نغدر ، ولا نردهم بسوء ، حتى يردوا علينا ما زعموا انهم قابلوه منا . « وقد أيد ابو رؤية » ـ وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه اصحاب له قائلا : صدق هكذا ينبغي » .

انظر الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

وقد حاول ابن المهلب ان يثنيهم ويردهم عن موقفهم هذا بقوله لهم : ويحكم اتصدقون بني امية انهم يعملون بالكتاب والسنة ، الخ ، غير انـــهم اصروا على موقفهم هذا .. »

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ ...

وبهذا فشلت خطة ابن المهلب العسكرية اضافة الى انها زادت في ضعف معنوية جيشه وتصدع وحدته ...

- ويشبه أحد المؤرخين المحدثين هذه الحالة بكونها أشبه بموقف الإمام علي بن أبي طالب حينما « خضع لأصحابه يوم صفين من قبل » (٧٤) .

كان هذا هو موقف يزيد بن المهلب وقادته وأصحابه قبل الدخول في المعركة ...

أما بالنسبة إلى موقف مسلمة بن عبد الملك ، فقد كان أمراً طبيعياً أن يكون موقفه كقائد أموي عام ، جاء على رأس جيش قوامه ثمانون ألفاً ، وكله ثقة وأمل بإحراز النصر على ثائر خارج على السلطة الأموية القائمة في الشام ..

ويبدو من بعض النصوص ، أن إيمان مسلمة كان قوياً ، ومعنويته كانت عالية بإحراز النصر على ابن المهلب ...

فيروى عن مسلمة قوله — وهو في طريقه إلى العراق : « إني أخشى أن يتعبأ ابن المهلب ويهرب فنطلبه . فقال له حسان النبطي وكان معه : لا يحسن ذلك أيها الأمير . قال : ولم ؟ . قال : سمعته يقول : ويح عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث هبه غلب على البصرة ، اغلب على الصبر ، وما ضره لو ألقى طرف ثوبه على وجهه ثم تقدم حتى قتل . فقال مسلمة : ما أجرأه أن لا يبرح » (٧٥) ..

كما يروى عن مسلمة قوله أيضاً عندما نزل « النخيلة » من أرض

(٧٤) انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٠٨ .

(٧٥) انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٥٤ .

الكوفة ، ليت هذا المزوني – يعني ابن المهلب – لا تكلفنا اتباعه في هذا البرد [٧٦] .

ومما يدل على سمو نفسية مسلمة وعلو منزلته ، أنه لم يستعمل أسلوب ابن المهلب في إطلاق عبارات الإستهجان والإزدراء بحق ابن المهلب وجيشه ، بل كان يعطي ابن المهلب حقه ومكانته باعتباره خدم الدولة الأموية – رغم ما إتهم به – في خلافتي عبد الملك وسليمان..

فيروى عن مسلمة أنه – عندما أقبل نحو يزيد بن المهلب – خطب الناس وقال : إلا أن يزيد بن المهلب كان سيداً جواداً ، أفضل وأضل عن سواء السبيل [٧٦] ..

عسكر مسلمة عند عقر ، وبدأ بتعبئة جيشه وتنظيمه ووضع الخطط العسكرية اللازمة بذلك . ويمكن تحديد الخطوط العامة والأساليب التي اتبعها مسلمة في مواجهة ابن المهلب قبل المعركة بما يأتي :

١ – قطع مسلمة الماء عن جيش ابن المهلب ، وأمر سعيد بن عمرو الحرشي ، ويقال الوضاح بعبور الجسر حتى يكون بإزاء جيش ابن المهلب [٧٧] .

ويبدو من هذا أن مسلمة قد حسب لهذا الجسر حساباً عسكرياً استراتيجياً في معركته المقبلة مع ابن المهلب . وهذا ما قد حدث فعلا كما سنرى ...

(٧٦) انظر : تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٣٩٠ – ٣٩١ .
(٧٧) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

٢ — عزل مسلمة عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ولاية الكوفة وعين مكانه رجلا أموياً وهو محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة . [٧٨]

٣ — إتبع مسلمة سياسة حسنة تجاه من كان يأتي إليه من أهل الكوفة وينظم منهم إلى عسكره [٧٩] .

٤ — ليس لدينا ما يشير إلى ظهور نوع من الضعف أو التصدع أو النقاش والجدل كان يحدث بين مسلمة وبين قواده أو في صفوف جيشه وهذا يدل على سيادة الوحدة والتماسك والنظام في جيش مسلمة .

---

(٧٨) ليس لدينا من النصوص التاريخية ما يشير الى سبب هذا العزل، ولكن يبدو ان السبب يعود الى ضعف سيطرة هذا الوالي على اهل الكوفة ، والذي كان يؤدي الى تسلل بعض من اهلها وانضمامهم الى يزيد بن المهلب· ولكن مع ذلك فقد قام عبد الحميد ابن عبد الرحمن في اول الامر بدور يستحق الذكر في مواجهة يزيد بن المهلب ويروى الطبري بذلك ويقول « وكـــان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وبعث الى المياه فبشقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب···كما وضع على الكوفة مناظر وارصاد لتحبس اهل الكوفة عن الخروج الى يزيد···وكذلك بعث هذا الوالي بعثين من الكوفة الى مسلمة الاول وكان عليهم سيف بن هاني الحمداني والثاني وكان عليهم سبرة بن عبد الرحمن الازدي » ·

انظر الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ·

(٧٩) كان مسلمة يستقبل البعوث التي تاتي اليه من اهل الكوفة استقبالا حسنا ، وكان يثني عليهم بطاعتهم · وكان يسند الى بعض رؤوساء هـــذه البعوث قيادة اهل الكوفة في جيشه · كما فعل مع سبرة بـــن عبد الرحمن الازدي ·

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ ·

معركة عقر الفاصلة :

ثمانية أيام خلت والجيشان متقابلان دون أن يحرك أحدهما تجاه الآخر ساكناً ... حتى كان يوم الجمعة ١٤ صفر سنة ١٠٢هـ ، السبت ٢٤ آب سنة ٧٢٠ م ، بدأ مسلمة بن عبد الملك بالهجوم [٨٠] .

وهنا تبرز عبقرية مسلمة العسكرية . حيث بعث إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن ويحرق الجسر .. فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه [٨١] ...

وخرج مسلمة معبئاً ميمنته وميسرته من جنود أهل الشام ، فشن حرباً خاطفة على جيش ابن المهلب الذي قد عبأ هو أيضاً ميمنتهوميسرته .

ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر. فقالوا ليزيد : إنهزم الناس [٨٢] . قال : ومما انهزموا ، هل كان قتال ينهزم من مثله . فقيل له : قالوا أحرق الجسر فلم يثبت أحد .

---

(٨٠) انظر الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٤ ٠

(٨١) انظر نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٥٤ ٠

(٨٢) جاء التعبير هنا عاما غير محدد ــ من هم الناس الذين انهزموا؟؟ خاصة وان جيش ابن المهلب كان يضم قبائل عربية عديدة ــ كما اشرنا ــ اضف الى ذلك ناس آخرون اليه من الجبال والثغور ٠٠

غير ان هناك اشارة صريحة الى طائفة من تميم قد وقعت بالاسر قد انهزموا بالناس املا في ان يعرف لهم جند الشام فضلهم في انهم بانهزامهم بالناس قد سهلوا على جند الشام بالنصر ، ولكن املهم لم يتحقق ، فكانوا اول من ضربت اعناقهم ٠٠

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٦ ٠

وفلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٩ ٠

قال : قبحهم الله « بق دخن عليه فطار » وأمر قومه بضرب وجوه من ينهزم ، غير أنه عدل عن ذلك وقال : دعوهم يرحمهم الله « غنم عدا في نواحيها الذئب » [٨٣]

وقد أشار أبو رؤبة المرجيء على يزيد بن المهلب أن ينصرف إلى واسط ويتحصن بها حتى يأتيه المدد من البصرة وعمان والبحرين غير أن يزيد أبى إلا الصمود والقتال .

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ، حتى إذا دنا منه ، أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب ، وقتل معه السميدع ومحمد بن المهلب .. وقيل أن الذي تولى قتل يزيد بن المهلب الفحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين [٨٤] .

وقد أسر أهل الشام نحواً من ثلاثمائة رجل ، فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد والي الكرفة فحبسهم . وجاء كتاب من يزيد ابن عبد الملك بضرب رقابهم ، وتم تنفيذ القتل في بعضهم ، حتى جاء رسول بكتاب من عند مسلمة ينهي فيه عن قتلهم [٨٥] .

وكان مسلمة — بعد انتهائه من ابن المهلب — قد نزل الحيرة ، واتخذ منها مركزاً لإدارة العراق . ومنها بدأ يعمل على تصفية جيوب الثورة المهلبية وتتبع المهالبة في العراق وبلاد فارس .

---

(٨٣) انظر : الطبري ، ج ٨ ، ص ١٥٤ .
(٨٤) انظر التفاصيل : الطبري ، ج ٨ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .
(٨٥) انظر : الطبري ، ج ٨ ، ص ١٥٦ .

٤ ـ عوامل فشل ثورة يزيد بن المهلب (٨٦) :

إن المتتبع لحركة يزيد بن المهلب منذ هروبه من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز وحتى واقعة عقر ونهايته المحتومة فيها ، يرى أن عوامل الضعف والفشل كانت تكمن في حركته وثورته منذ البداية وحتى النهاية ...

فقد دخلت هذه العائلة المهلبية في خدمة الدولة الأموية منذ حياة رئيس أسرتهم – المهلب بن أبي صفرة – الذي اشتهر بحربه مع الخوارج في خلافة عبد الملك بن مروان .. وقد برز ابنه يزيد – موضوع البحث – وتولى ما تولاه والده من مناصب إدارية وعسكرية في خلافتي عبد الملك بن مروان ، وبلغ ذروته في خلافة سليمان بن عبد الملك ..

وعليه فإن هذه الأسرة كانت معروفة بكون مصالحها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الدولة الأموية ، رغم ما كانت تعتورها من عداوات فردية وقبلية – قيسية ويمانية ، كانت تعمل على فصم عرى هذه المصالح ...

فيزيد بن المهلب خرج على الخليفة يزيد بن عبد الملك بدافع العداء الشخصي ، والذي اتخذ طابعاً قبلياً محدوداً ، ثم طابعاً سياسياً خالياً من كل عقيدة ومبدأ ...

---

(٨٦) انني في عرض هنا لبيان العوامل التي أدت الى فشل ثورة ابن المهلب ، سوف لم اذكر شيئا جديدا ، وانما هو تقديم صورة عامة وشاملة مستقاة من روح النصوص التاريخية التي ذكرتها سابقا ، وعليه فانني الفت النظر والعودة اليها . رغم اني كنت اعرض بعض هذه العوامل من خلال ما قدمته سابقا من سير حركة ابن المهلب وثورته حتى واقعة عقر ونهايته فيها ..

ويزيد بن المهلب لم يهرب من حبس عمر إلا خلاصاً من موت محقق أحدق به كان ينتظره من الخليفة يزيد بن عبد الملك كما ذكرنا سابقاً ...

ويزيد بن المهلب عندما دخل البصرة وانتصر على معارضيه فيها، لم يعلن عن أهداف ومبادىء سياسية واجتماعية واقتصادية يروم السير عليها وتطبيقها ، سوى أنه بعث إلى عدي بن أرطاة والي البصرة أن يخلي بينه وبين الخليفة يزيد بن عبد الملك ليحقق ما يحب تحقيقه منه– كما أشرنا إلى ذلك ...

ويزيد بن المهلب حينما توسعت حركته في البصرة وخارجها وأعلن خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك ودعا للبيعة ... كانت دعوته مضطربة وغير مقنعة .. فبعض المصادر أشارت إلى أنه « دعا إلى الرضى من بني هاشم » [٨٧] ، ولعله كان يقصد من وراء ذلك كسب أهل الكوفة والعلويين بصورة عامة ، وبعض المصادر أشارت إلى أنه دعا للسير على كتاب الله وسنة نبيه (ص) [٨٨] وهي دعوة لم تلق الصدى العميق في نفس رجال الدين الأتقياء وعلى رأسهم الحسن البصري الذي كان من أشد المعارضين له في البصرة [٨٩] ..

---

(٨٧) انظر : العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٦٥ ٠

(٨٨) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ٠

(٨٩) كان الحسن البصري من رجال الدين الاتقياء وصديقا حميما لعمر ابن عبد العزيز ٠ وكان عمر يكره المهالبة ويقول انهم جبابرة ، وكان الحسن يكره المهالبة لعله للسبب نفسه ، وكان يقول عنهم « بانهم عناة » ٠٠ وان الحسن البصري كان يرى في يزيد بن المهلب انه غير صادق فيما يدعو اليه من الكتاب والسنة،وان الاولى به أن يوضع قيد في رجليه ويرد الى محبس =

وحتى بعض من رجال الدين الذين كانوا معه في واقعة عقر وعلى رأسهم السميدع وأبو رؤية اللذان كانا يطالبان أهل الشام بالسير على كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وكان يزيد بن المهلب يثنيهما عن ذلك..

وبعد ، فمن هم الأتباع أو الناس الذين التفوا حوله وساندوه في خروجه وثورته ؟؟

أجل إن قبيلته من ازد عمان في البصرة قد وقفت إلى جانبه ، ولكن ازد خراسان – وإن أبدوا عطفاً على حركته – لم يأت أحد منهم ويحارب إلى جانبه ، رغم أنه تمناهم في لحظاتهالحرجة .

وحتى بعض من أفراد عائلته – من إخوته وأبناء اخوته – لم يكونوا مندفعين مثل اندفاعه العنيف في الثورة والخروج على الخلافة الأموية .. فأخوه عبد الملك بن المهلب : ألم يطلب من عدي بن أرطاة والي البصرة بأنه على استعداد أن يرد يزيد بن المهلب من دخول البصرة ؟؟ وابن أخيه حميد بن عبد الملك : ألم يذهب إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك ويأتي بالأمان منه لجميع المهالبة ؟؟ كما أشرنا ...

والناس الذين التفوا حوله في البصرة ، هل كان تأييدهم له بدافع الإيمان والعقيدة لحركته وثورته ؟؟ أم كان بدافع الأموال وقطع الذهب والفضة التي كان يقطعها لهم !! .

إن يزيد بن المهلب كان يدرك بعمق أن الذين التفوا حوله وانضموا

= عمر الذي حبسه فيه . وكان الحسن يعتقد ان ثورة ابن المهلب ليست لله ، وقد دعا الناس الى الكف عنها وعن الفتنة . وان ابن المهلب كان بالامس يضرب اعناق الناس ارضاء لبني مروان ...

انظر الطبري ، ج ٨ ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

وابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .

إليه عند وصوله عقر ، والذين بلغ عددهم مائة وعشرين ألفاً ، لم يكن من بينهم من يضرب بالسيف حقيقة سوى الألف ... وإنه لما أراد أن يظهر قرته وشجاعه وصموده في المعركة أمام بعض أتباعه في الجيش ، أو حبس هؤلاء خيفة وذكروه بمصير عبد الرحمن بن الأشعث الذي كان يدعي نفس ادعاءاته كما أشرنا ...

وثم : ألم يدرك يزيد بن المهلب ـ حينما وضع خطة عسكرية لمباغتة جيش مسلمة ليلا ـ بأنه مخذول ـ حينما جابهنه قوى رجال الدين المعارضة بالرفض المطلق لخطته هذه !! فكانوا عاملا مهماً في ضعف معنوية جيشه وتصدع وحدته ..

وأخيراً لم يكن جيش ابن المهلب وحدة متماسكة متراصة متفانية قلباً وقالباً ...

كل هذه العوامل كانت تنخر في جسم ابن المهلب وثورته ، وتعمل عملها مجتمعة حتى قادت به إلى نهايته المحتومة في واقعة عقر .

هذا إذا أضفنا مقابل ذلك ما كان يتمتع به جيش مسلمة بن عبد الملك من وحدة وتماسك وإخلاص وتفان ، وقيادة محنكة مجربة تجلت بصورة خاصة عبقرية مسلمة العسكرية ساعة المعركة عندما أمر بحرق الجسر فأربكت جيش ابن المهلب المنخوف المفكك ودفعت بـه إلى المزيمة ... وقادت بمسلمة بن عبد الملك إلى الإنتصار في واقعة عقر الفاصلة ...

٥ ـ تصفية جيوب الثورة المهلبية :

أثار مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وفشل ثورته مشاعر ابنه معاوية ، فاندفع بشكل عنيف إلى قتل جميع من كان أسيراً عنده

في مدينة واسط ، والبالغ عددهم مائتين وثلاثين ، وعلى رأسهم عدى ابن أرطاة الفزاري [٩٠] ، وإبنه محمد ، ولم يسلم من القتل إلا ربيع بن زياد بن الربيع ، وكان شيخاً كبيراً [٩١] .

ثم حمل معاوية بن يزيد بن المهلب معه « المال والخزائن » ، وأتى بها إلى البصرة [٩٢] ثم جاء المفضل بن المهلب بن أبي صفرة واجتمع آل المهلب بالبصرة ، وقد أعدو السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، فمضوا حتى إذا كانوا بجبال الكرمان ، خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب ، وكان معاوية بن يزيد قدمها ومعه « الخزائن وبيت المال » واجتمع آل المهلب ، وأمرو عليهم المفضل بن المهلب ، حتى خرجوا إلى كرمان ، وبكرمان فلول كثيرة [٩٣] .

معركة عقبة بفارس ومقتل المفضل بن المهلب :

يبدو أن مسلمة بن عبد الملك قد ركز جهوده العسكرية في تصفية

---

(٩٠) وكان عدي بن ارطاة واليا على البصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز وكذلك يزيد بن عبد الملك ٠

(٩١) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ، والطبري ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ١٥٧ ٠

(٩٢) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ٠ وهذا هو السبب الذي يدعو بنا الى الشك بان عزل مسلمة عن ولاية العراق لم يكن بدافع عدم ارساله « شيء من الخراج » الى دمشق ، خاصة بعد ان استحوذ آل المهلب وعلى راسهم معاوية بن يزيد على جميع مـــا في بيوت أموال الكوفـــة وواسط والبصرة !! ٠

(٩٣) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ ٠

المهالبة دون غيرهم ، وأمر بتتبعهم ، والقضاء عليهم فقد « تفــرق سواد الهاربين من المهالبة من كل ريح ، ولكن المطاردين لم يتعقبوا إلا المهالبة الذين نفروا كالوحوش [٩٤] .

وقد بعث مسلمة مدرك بن ضبه الكلبي في طلب آل المهلب في اثر الفل ، فأدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتتبعهم ، فأدركهم في « عقبة » ، فعطفوا عليه فقاتلوه ، واشتـد قتالهم ، فقتل المفضل بن المهلب ، وجماعة من خواصه [٩٥] .

وقد رجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأمنوا ، منهم مالك بن إبراهيم بن الاشتر النخعي ، والورد بن عبدالله ابن حبيب السعدي من تميم ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه ، وإبنه مسلمة تحته فأمنه [٩٦] .

معركة قندابيل ومقتل معاوية بن يزيد بن المهلب :

ومضى آل المهلب ، حتى انتهوا إلى قندابيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبة الكلبي فرده ، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي من بني مازن ، فلحقهم بقندابيل ، فأراد آل المهلب دخول قندابيل

---

(٩٤) انظر : فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٩ .

(٩٥) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ ، وابن خلكان ، وفيات الاعيان، جـ ٦ ، ص ٣٠٧ .

(٩٦) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ .

فمنهم ودّاع بن حميد [٩٧] .. وقد حاول مروان بن المهلب قتل النساء المهالبة ، ولكن المفضل بن يزيد حال دون ذلك ، ثم مشوا بأسيافهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم وكان من ضمن من قتل معاوية بن يزيد بن المهلب ،وكان ممن نجا من القتل عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل حيث لحقا بخاقان ورتبيل [٩٨] .

موقف مسلمة من نساء المهلب وذريته :

بلغ عدد من أسر من نساء المهلب في معركة قندابيل — بقيادة هلال بن أحوز خمسين امرأة [٩٩] ، غير الفتية البالغ عددهم تسعة منهم أحداث [١٠٠] .

ويبدو أن هلال بن أحوز لم يتعرض لهؤلاء النسوة بسوء ففي رواية فانه « لم يفتش النساء ، ولم يعرض لهن » [١٠١] ، وفي

---

(٩٧) وكان يزيد بن المهلب ، قد بعث وداع بن حميد الازدي على قندابيل اميرا ، واخذ عليه ايمانا غلاظا ليناصحن اهل بيته ان هم احتاجوا اليه ، ولجئوا اليه ·

انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ·

وهذا يشير الى ان الازد في بلاد فارس لم يكونوا مع ثورة المهالبة ، اضافة الى ازد خراسان كما اشرنا سابقا ···

(٩٨) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ ···

ويشير اليعقوبي « ان معاوية بن يزيد بن المهلب كان من بين القتلى ، وان عثمان ابن المفضل بن المهلب وقع اسيرا فقتل في دمشق » ···

انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ···

(٩٩) انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ·

(١٠٠) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٩ ·

(١٠١) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٤٢ ·

رواية أخرى « أنه لم يعرض للنساء وما في أيديهن [١٠٢] .

وهناك روايتان في مصير هؤلاء النسوة والفتية :

الرواية الأولى تشير إلى أن هلال بن أحوز بعث بالنسوة إلى يزيد ابن عبد الملك ، فحبسهن بدمشق [١٠٣] .

والرواية الثانية تشير بأن « هلال بن أحوز بعث بالنسوة والأولاد إلى مسلمة بن عبد الملك بالحيرة [١٠٤] ، وإن مسلمة بعث بهم إلى دمشق [١٠٥] .

ومهما يكن : فإن الروايتين تشيران بأن النسوة مع الأولاد لم يتعرض لهم بسوء ، وقد بعث بهم جميعاً إلى دمشق ليلقوا مصيرهم على يد الخليفة يزيد بن عبد الملك ...

ورغم ما ورد في الرواية الثانية ، من أن مسلمة بن عبد الملك كان قد أقسم — حينما عرضت عليه الذرية — وقال : « لأبيعن ذريتهم » ، وكان ذلك في دار الرزق ، فقال له الجراح ابن عبد الله الحكمي : « فأنا أشتريهم منك ولأبر بيمينك » فاشتراهم ، منه بمائة ألف [١٠٦] .

---

(١٠٢) انظر : العيون والحدائق ، ص ٦٦ ٠

(١٠٣) انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ٠
والعقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٤٢ ٠

(١٠٤) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٩ ٠

(١٠٥) انظر : نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٥٩ ٠

(١٠٦) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، ص ١٥٩ ٠

نقول رغم ما ورد في هذه الرواية إلا أن مسلمة قد شعر بعدها بالندم «فلم يأخذ من المال شيئاً ، كما أخلى سبيلهم » ، إلا تسعة فتية منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم فضرب أعناقهم [١٠٧] .

---

(١٠٧) انظر : نفسه ، ج ٨ ، ص ١٥٩ ٠

ان حادثة « ذرية آل المهلب » قد استغلت بشكل مشوه من قبل بعض المؤرخين المحدثين ، وعلى رأسهم المؤرخ المعروف « فلهاوزن » حيث صور موقف مسلمة حينما اقسم ببيع ذرية المهالبة بكونه ـ وعلى حد تعبير فلهاوزن ـ « مخالفا لكل آداب الاسلام » ـ تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٠٩ ٠٠

وقد نسي فلهاوزن او تناسى الامور الاتية : ـ

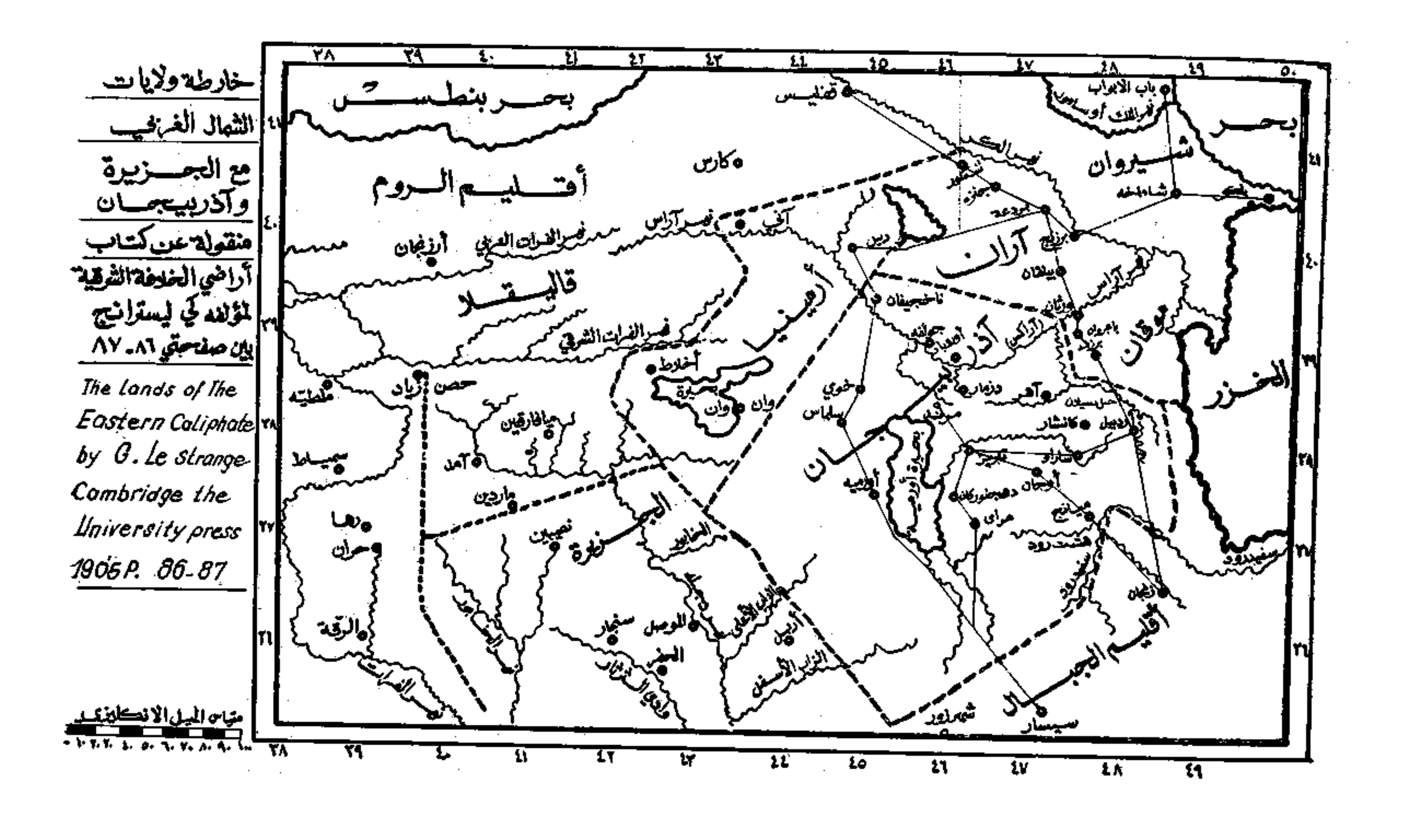
١ ـ ان احد المهالبة ـ وهو مروان بن المهلب ـ حاول قتل نساء المهلب، وان مسلمة لم يحاول مثل ذلك ٠٠٠

٢ ـ ان مسلمة قد امن بعضا من اصحاب يزيد بن المهلب ، ولم يتعرض لهم بسوء كما اشرنا الى ذلك سابقا ٠

٣ ـ ان مسلمة قد شعر بالندم ، وتراجع عن قسمه ، ويبدو انه كان في حالة تاثر وانفعال شديدين ، « فلم ياخذ من المال شيئا ، كما اخلى سبيلهم »٠

٤ ـ اننا لا نستطيع ان نحمل مسلمة مصير النسوة والاولاد بعد مـــا بعث بهم الى دمشق حيث حبس منهم من حبس ، وقتل منهم من قتل بأمر من الخليفة يزيد بن عبد الملك ٠

٥ ـ وبالتالي : ليس لدينا ما يشير ٠ بان مسلمة بن عبد الملك كان قد استعمل بعضا من وسائل القسوة والشدة تجاه « ذرية آل المهلب » من النساء والاولاد ٠٠ فكيف ـ والحالة هذه ـ يحق لفلهاوزن ان يحكم على مسلمة بكونه « مخالفا لكل آداب الاسلام » !!! ٠٠٠



خارطة ولايات
الشمال الغربي
مع الجزيرة
وآذربيجان
منقولة عن كتاب
أراضي الخلافة الشرقية
لمؤلفه كي ليسترانج
بين صفحتي ٨٦ - ٨٧
The Lands of The
Eastern Caliphate
by G. Le Strange
Cambridge the
University press
1905 P. 86-87
مقياس الميل الانكليزي
بحر بنطس
أقليم الروم
قاليقلا
أرمينيا
آران
آذربيجان
الجزيرة
أقليم الجبال
بحر الخزر
شيروان
موقان
كارس
تفليس
أرزنجان
ملطية
سميساط
الرقة
حران
الرها
حصن زياد
آمد
ميافارقين
ماردين
نصيبين
الموصل
سنجار
الحضر
أربل
أخلاط
وان
خوي
سلماس
أرومية
تبريز
أردبيل
ميانج
زنجان
سيسار
شهرزور
باب الأبواب
شماخية
برذعة
بيلقان
نهر آراس
نهر الكر
نهر الفرات الغربي
نهر الفرات الشرقي
الزاب الأعلى
الزاب الأسفل
الفرات

ثانيا :

الجبـهة الشمالية والشمالية الشرقـية وتشمل :

ارض الروم ـ ارمينيا ـ اذربيجان ـ بلاد الخزر

استهلال :

من الممكن القول أن عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م كان بداية تحول كبير في العلاقات العسكرية العربية ــ الرومية ، وبالأحرى الحروب الأموية ــ البيزنطية ...

فقبل هذا العام كانت العلاقات العسكرية الأموية ــ البيزنطية بين مد وجزر وبين صلح وحرب منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان ٤١ هـ/ ٦٦١ م [1] وحتى نهاية خلافة عبد الملك ابن مروان ٨٦ هـ/ ٧٠٥م[2].

---

(١) عقد معاوية بن ابي سفيان صلحا مع الروم ، وكان اول من صالح الروم . وكان صلحه اياهم في اول سنة اثنتين واربعين للهجرة . حيث صالح طاغية الروم على مائة ألف دينار ..

انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢) وعقد عبد الملك بن مروان صلحا مع الروم ايضا في سنة ٧٠ هـ / ٦٩٠ م . « فقد ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين ، فصالح عبد الملك الروم على ان يؤدي اليه في كل جمعه ألف دينار خوفا منه على المسلمين » ...

انظر الطبري ، جـ ٧ ، الحسينية ، ص ١٨١ . =

وإن الخلافة الأموية قد جابهت خلال هذه الفترة الزمنية أحداثاً حافلة بالفتن والثورات والحروب الأهلية والصراعات السياسية – عاقت كلها دون تركيز الجهود نحو مجابهة الأخطار الخارجية، وخاصة خطر الروم الجاثم على حدود الجبهة الأموية الشمالية ...

فأمام هذا الخطر الرومي الخارجي الجاثم على الحدود الأموية، ومن بين الأوضاع الداخلية المضطربة – رغم هدوئها في نهاية خلافة عبد الملك – برز مسلمة بن عبد الملك في عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م، كقائد عسكري مظفر من بين جميع القواد العسكريين الذين كانوا يشاغلون الروم الغزو والحرب خاصة في خلافة عبد الملك بن مروان [٣] ..

ومنذ هذا العام أصبح مسلمة قائد الحملات الحربية ضد الروم وبطلها بلا منازع ...

ففي عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م بعث عبد الملك بن مروان إبنه مسلمة

= وقد اشغلت المسألة الارمينية العرب بالدرجة الاولى منذ سنة ٦٩٣ وحتى ٧٠٥ م . وقد دخلت الجيوش البيزنطية الاقليم العربي من ارمينية ثلاث مرات: سنة ٦٨٩ م، ٧٠١ م، ٧٠٤ م . وكانت المرتان الاخيرتان بمعاونة سنباط (امير ارمينيا من قبل الروم) . ثم استطاع المسلمون تدمير الحصون الاناضولية في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م، فقد قام مسلمة بن عبد الملك بحملة موفقة وتوغل في الاراضي البيزنطية واستولى على قلعتين هما «يولق» و «الاخرم» .

انظر: فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية، ص ٧٥ .

(٣) كان من بين الولاة والقواد العسكريين الامويين الذين اشتهروا في حروبهم مع الروم في خلافة عبد الملك بن مروان: محمد بن مروان وكان واليا أيضا – وعثمان بن الوليد بن عقبة، ودينار بن دينار مولى لعبد الملك، كما كان من بينهم بعض ابناء عبد الملك امثال عبد الله، والوليد ..

في غزو أرض الروم [٤] ، وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره وبدأ يشق طريقه في قيادة الجيوش العربية الإسلامية ويقودها من نصر إلى نصر داكاً قلاع الروم وحصونهم ، حتى أظهر تفوقاً عسكرياً على الروم لم يضاهه أحداً من قبل ...

وفي هذا العام توفي عبد الملك بن مروان وجاء إبنه الوليد إلى الخلافة وقد أولى الوليد بن عبد الملك إهتماماً بالغاً في حرب الروم – خاصة وأن خلافته تميزت بالهدوء والإستقرار الداخلي – فأوكل إلى مسلمة أخيه وإبنه العباس حرب الروم فأظهر كلاهما مقدرة حربية وخاصة مسلمة الذي غطت إسمه المصادر التاريخية أكثر من غيره في قيـــادة هذه الحملات ...

وقد رأيت – قبل الشروع في تبيان دور مسلمة العسكري هذا – أن أقدم صورة جغرافية لطبيعة الأرض والمناخ التي كانت تتميز بها هذه الجبهة ، والتي كانت تقرر وتأثر على سير العمليات العسكرية بين العرب والروم ...

فهناك حاجز طبيعي منيع يساعد على الفصل شبه التام بين دولة العرب ودولة الروم ، وهو جبال طوروس التي تتكون من سلسلتين متوازيتين من الجبال : سلسلة جبال طوروس وسلسلة جبال طوروس الداخلية (ANTI-TAURUS) والتي تواجه الحدود العربية ، والتي كان العرب يسمونها جبل « اللكام » ..

---

(٤) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٧ .
والطبري ، جـ ٦ طبعة دار المعارف ، ص ٤٢٩ .

وكان العرب ينفذون من جبل اللكام من ممرات جبلية أو من دروب على حد تعبير العرب ، أحدهما درب الحدث والآخر بالقرب من طرسوس إسمه درب السلامة ، وكان أكثر ارتياداً من الطريق الآخر ...

أما مناخ هذه المنطقة فقد تميز بشتاء ثلجي طويل قارص البرد شديد المطر ، وبصيف وربيع قصيرين .

وفيما يخص السلاسل الجبلية ، فقد أقيم على منافذها القلاع والحصون والقواعد العسكرية . وكان يطلق عليها إسم الثغور والعواصم [٥] .

---

(٥) الثغور والعواصم :

اما الثغور : فهي خط الحصون الخارجي ، والثغر هنا ما يلي الى ارض العدو من ارض العرب . وكان خط الثغور ينقسم الى قسمين :

أ ـ ثغور الجزيرة : اي ثغور الاقليم الواقع شمال دجلة والفرات .

ب ـ ثغور الشام : اي الاماكن الحصينة التي تحمي الشام من عدوان الروم .

ومن الثغور الشامية : مدينة طرسوس الواقعة جنوبي آسيا الصغرى بالقرب من ساحل البحر المتوسط .. وقد هيمنت طرسوس على مركز الهجوم على مدخل بلاد الروم الجنوبي الشهير بأبواب قليقية ، وهو ممر في جبل طوزون ، فجعلها العرب قاعدة حربية شنوا منها الحملات على مناطق الروم. ومن الثغور المهمة ايضا اذنه (اطنه) ، والمصيصة .

ومن الثغور الجزرية : شمشاط ، وملطية ، ومرعش ، والحدث وزبطرة.

اما العواصم : فكان يلي خط الثغور ، اي يعصم الدولة العربية من الاعداء .

وأما بخصوص مناخ هذه المنطقة الشتوي والصيفي وما بينهما من فصل ربيعي فكانت تحدد بموجب ذلك غزوات العرب لأرض الروم وكان يطلق عليها إسم الشواتي والصوائف والربيعية [٦] .

لقد جابه مسلمة كل هذه الظروف الجغرافية الطبيعية ، وجابه كل قلاع العدو وحصونه وثغوره ، جابهها جميعاً بقوة رمقدرة عسكرية فائقة ، واستطاع بما أوتي من مواهب وقدرات وخطط عسكرية أن يحقق النصر تلو النصر ، ليس غازياً وفاتحاً فحسب وإنما معمراً ومشيداً من القرى والمدن والمساجد والمزارع والحقول على كل بقعة كانت تطأها قدماه ..

دور مسلمة العسكري :

ولكي نبرز دور مسلمة العسكري ، رأينا مراعاة الجانب التاريخي والتسلسل الزمني الذي تولى خلالها مسلمة القيادة العسكرية والولاية الإدارية . في أرض الروم ، وفي بلاد أرمينيا واذربيجان ...

وعليه فقد رأيت أن أقسم دوره هذا في المجال العسكري إلى المراحل الأربعة الآتية : ـ

---

(٦) الصائفة : وكان هذا الغزو يقع في الصيف ويقال له الصائفة ·

الربيعة : ويقع في الربيع ، ويقال له « الربيعية ، وكانت الصائفة اطول من الربيعية ·

الشاتية : اما غزو الشتاء فكان يحدث نادرا جدا ، لان البرد والثلوج كانا يعوقان حركة الجند · واذا كان لا بد من غزو الشتاء أو الشاتية ، فانها تكون قصيرة جدا لا تتجاوز العشرين يوما ، وكان يطلق احيانا اسم الشاتية على الغزوة الربيعية ··

١ – المرحلة الأولى : وتنحصر بين عامي ٨٦ هـ – ٩١ هـ / ٧٠٥ م – ٧٠٩ م . وكان مسلمة يشغل خلالها منصب القيادة العسكرية .. وكان محمد بن مروان يشغل منصب الولاية على هذه البلاد ..

٢ – المرحلة الثانية : وتنحصر بين عامي ٩١ هـ – ٩٨ هـ / ٧٠٩ م – ٧١٦ م .. وهي المرحلة التي كان مسلمة يشغل خلالها القيادة العسكرية والولاية الإدارية على الجزيرة ، وأرمينيا ، واذربيجان .

٣ – المرحلة الثالثة .. وهي فترة حصاره الكبير للقسطنطينية في عام ٩٨ هـ – ٩٩ هـ / ٧١٦ م – ٧١٧ م . أي عاماً كاملا . والتي سنخصص لها دراسة مستقلة ..

٤ – المرحلة الرابعة : وتنحصر بين عامي ١٠٧ هـ – ١١٤ هـ / ٧٢٧م – ٧٣٢م ، وتتناول استمرار قيادة مسلمة العسكرية وولايته الإدارية على إقليمي أرمينيا واذربيجان رغم ما كانت تتخللها من عزل وإعادة تعيين ..

وسنعرض لكل مرحلة من هذه المراحل بنوع من الدقة والتركيز والتفصيل ..

المرحلة الاولى : ٨٦ هـ – ٩١ هـ / ٧٠٥ م – ٧٠٩ م .

قلت أن عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م يعتبر بداية تحول كبير في العلاقات الحربية الأموية – البيزنطية .. ففي هذا العام بعث عبد الملك بن مروان إبنه مسلمة لغزو أرض الروم .. فكانت نقطة الإنطلاق الأولى التي حقق فيها مسلمة إنتصاراته العسكرية الباهرة على الروم ... حتى يروى

أن عبد الملك استبطأ إبنه مسلمة في حرب الروم ، فكتب إليه شعراً يحثه على جهادهم [٧] ...

وكانت أهم الإنتصارات التي حققها مسلمة على الروم في هذا العام فتح حصنين هما « بولق » و « الاخرم » [٨] . غير أن ابن أعثم الكوفي يذكر أن من فتوحات مسلمة في أرض الروم في خلافة أبيه عبد الملك بن مروان ، كانت : الطوانة ، وعمورية ، والقفورية وكان معه من القواد ، محمد بن مروان ، وعبد الرحمن بن صعصعة العبدي ، وعبد الله بن جرير بن عبد الله البجلي ، والبطال بن عمرو وهو عبد الله البطال [**] ..

ويبدو أن مسلمة حينما توجه غازياً لبلاد الروم قد سلك طريق الثغور الجزرية . واتخذ من هذه الثغور القاعدة العسكرية له ، وذلك في تأمين خافية عسكرية لجيوشه المتقدمة نحو بلاد الروم .. وإلى هذا

---

(٧) راجع ما ورد في اعلا هوامش ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من الفصل الاول ٠

(٨) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٧ ٠

وخليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ٠

★★ أنظر : ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ١٨٤ ــ ١٨٨ ٠

والبطال بن عمرو : وهو عبد الله البطال أبو محمد ، وكان على طلائع جيش مسلمة بن عبد الملك في غزواته ٠

أنظر : الزركلى ، كتاب الاعلام ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ ٠

وقد جاء اسم وطال الكامل في ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ ٥ ، ص ١١٦ ، وهو عبدالله أبو الحسين الانطاكي ، وكان بطلا شجاعا مقداما ٠

وكان جيش مسلمة في فتوحاته هذه مكونا من اهل الشام ، واهـل العراق ، واهل مصر ٠

أنظر : ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ١٨٧ ٠

يشير البلاذري : « فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس ، فأتاه أهلها ، وأهل بوبلس ، وقاصرين ، وعابدين ، وصفين ، وهي قرى منسوبة إليها فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ففعل ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشرط. ورم سور المدينة وأحكمه »[٩] .

والواضح من هذه الرواية ، أن مسلمة قد اتخذ في الثغور الجزرية المشار إليها . إجراءات عسكرية أمنية لتأمين خط دفاعه الخلفي فيها، كما اتخذ اجراءات اقتصادية ومالية وعمرانية لصالح السكان المحليين من أجل ضمان ولائهم واستقرارهم . والواقع فقد كانت هذه هي سياسة مسلمة العسكرية بصورة عامة تجاه الأراضي التي كان يغزوها ليس في الثغور الجزرية وحسب وإنما في أرض الروم وأرمينيا واذربيجان وبلاد الخزر ، وأنها لم تكن سياسة قائمة على أساس الغزو والإستيلاء بقدر ما كانت قائمة على أساس التعمير والبناء .

وبين سنتي ٨٧ هـ و ٨٨ هـ / ٧٠٦ م ٧٠٧ م توغل مسلمة في أرض الروم ومعه بعض القواد الأمويين أمثال يزيد بن جبير ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك وميمون الجرجماني ، وفتح قلاعاً وحصوناً عديدة ومدن مهمة في أرض الروم ....

ففي سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م إفتتح مسلمة « فبعم » ، وبحيرة الفرسان وبلغ عسكره « فلوذ بماثلس »[١٠] .. وفي هذه السنة أيضاً غزا

---

(٩) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(١٠) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

مسلمة أرض الروم ومعه يزيد بن جبير ، فلقي الروم في عدد كثير « بشوسنة » . من ناحية المصيصة [١١] .. وفيها لاقى مسلمة ميمـــونا الجرجماني [١٢] ، ومع مسلمة نحو ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانه ، فقتل منهم بشراً كثيراً وفتح الله طوانة [١٣] ... واستناداً إلى الطبري : أن فتح طوانة كان في هذا العام ، وكان مع مسلمة العباس ابن الوليد بن عبد الملك ، فهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم [١٤] .. غير أن خليفة بن خياط يشير إلى أن فتح طوانه كان

---

(١١) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، طبعة دار المعارف ، ص ٤٢٩ .

(١٢) ميمون الجرجماني ، كان عبدا روميا لبني ام الحكم اخت معاوية ابن ابي سفيان ، وانما نسب الى الجراجمة لاختلاطه ، وخروجه بجبل لبنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بأسا وشجاعة ، فسأل مواليه ان يعتقوه ففعلوا ، وبعثه على جماعة من الجند وصيره بانطاكية فغزا مع مسلمة بن عبد الملك « الطوانة » وهو على ألف من اهل انطاكية ، فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود .

انظر : فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ٨٠ .

(١٣) طوانة : بضم اوله ـ بثغور المصيصة :

أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٥٤ .

وكانت طوانة مفتاح الطريق الهام بين الشام والبسفور واهم معاقل كبادوكيا ، وتقع الى الجنوب من كيليكيا . وهي تسد ممر طورسوس . وقد حاصر المسلمون طوانة تسعة اشهر بالمنجنيقات ، حتى بلغت خسائر الـــروم فيها حوالي خمسين ألفا عدا الاسرى والغنائم ...

انظر : فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ٨١ .

(١٤) انظر الطبري ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٤٣٤ .

في عام ٨٨ هـ / ٧٠٧ م [١٥] .

وقد كان لفتح طوانة أهمية بالغة في نفس مسلمة بن عبد الملك ، حتى إنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك شعراً قال فيه :

أزفت وصحراء الطوانة بيننا
بيرق تلألأ نحو غمرة يلمح
أزاول أمراً لم يكن ليطيفه
من القوم إلا اللاوذعي الصمحمح [١٦]

وفي سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م غزا مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة وهي : حصن قسطنطينية ، وغزالة ، وحصن الأخرم ، وقتل من المستعربة [١٧] نحو ألف مع سبي الذرية [١٨] .

وفي سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م فتح مسلمة حصن سورية ، وكان معه العباس بن الوليد الذي فتح اذروليه ، وفيها أيضاً قصد مسلمة همورية فوافق بها الروم جمعاً كثيراً فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية أو « قمونية » [١٩] وهي قونية الآن ..

---

(١٥) ففي سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك فرابطا بانطاكيا وشتوا بها ، فجمعت لهم الروم جمعا كثيرا ، فرجعوا اليهم ، فهزم الله الروم ، وقتل منهم بشرا كثيرا يقال خمسون الفا وفتح الله جرقومة وطوانة .

انظر : خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(١٦) انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٥٥ .

(١٧) المستعربة : مما يلفت النظر هنا ذكر المستعربة داخل الاراضي البيزنطية ، ويبدو انهم من سلالة الذين رحلوا الى بلاد الروم منذ الفتح الاسلامي ، ومن الجراجمة الذين ، اجلوا الى هناك ..

(١٨) انظر : الطبري ، ج ٦ ، دار المعارف ، ص ٤٣٦ .

(١٩) انظر : نفسه ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ .

وكان مسلمة بن عبد الملك يشرك النساء في غزوه أرض الروم ، وكان يكن لهن تقديراً واحتراماً كبيرين ، وكان النسوة – في الوقت نفسه – يلعبن دوراً مهماً في الغزو والقتال .. يشير البلاذري إلى ذلك ويقول : « إن مسلمة بن عبد الملك لما غزا عمورية حمل معه نساءه وحمل ناس ممن معه نساءهم ، وكانت بنو أمية تفعل ذلك إرادة الجد في القتال للغيرة على الحرم .. فلما صار في عقبة بغراس عند الطريق المستدقة التي تشرف على الوادي ، سقط محمل فيه امرأة إلى الحضيض وأمر مسلمة سائر النساء فمشين ، فسميت تلك العقبة «عقبة النساء» [20].

ومن الأحداث العسكرية المهمة التي وقعت في عام ٨٩ هـ / ٧٠٨ م كان تغلب مسلمة بن عبد الملك على « الجراجمة » [21] ، حيث أوقفهم

---

(٢٠) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧١ ــ ١٧٢ ·

(٢١) الجرجـومة والجراجمة / الجرجـومة مدينة على جبـل اللكام «طوروس» او « امانوس » بالثغر الشامي فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكيا· ويقال لاهلها الجراجمة ··

ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٨٠ ·

ويطلق عليهم ايضا « المردة » وهم يدينون بالديانة المسيحية · والمردة شعب مجهول الاصل ، وقد عرفهم العرب بالجراجمة · وقـد اقـــام هؤلاء الجراجمة من انفسهم بين بلاد العرب وبلاد الروم«جدارا حديديا او «نحاسيا» كما يسميه « ثيوفانس » ·

انظر : حتى ، تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ·

ويظهر ان اصل الجراجمة في انطاكيا ونواحيها يعود الى جماعات من الزط والسيابجة ، نقلوا الى انطاكيا منذ عهد معاوية بن ابي سفيان ، يقول البلاذري :

عند حدهم ، وفتح مدينتهم « الجرجومة » . غير أن مسلمة لم يعاملهم معاملة قاسية ، وإنما اتبع معهم سياسة الترضية والتصالح . فأمن لهم طقوسهم وشعائرهم الدينية والإجتماعية ، وقدم لهم المساعدات المالية والمأن المعاشية ، وخير لهم السكن حيث أحبوا من الشام .

وبهذه الأساليب والوسائل الإيجابية تمكن مسلمة من إيقاف غاراتهم على الحدود الإسلامية ومساندتهم للروم ، كما أمن لهم حياة الإستقرار والعيش بسلام مع العرب .

ولعل في رواية البلاذري خير تعبير عن سياسة مسلمة الإيجابية مع هؤلاء الجراجمة حيث يذكر : « ولما كانت سنة تسع وثمانين إجتمع الجراجمة إلى مدينتهم ، وأتاهم قوم من الروم من قبل الإسكندرونة وروسس (لعلها رودس) . فوجه الوليد بن عبد الملك اليهم مسلمة

= نقل معاوية في سنة تسع واربعين او سنة خمسين الى السواحل قوما من زط البصرة والسيابجة ، وانزل بعضهم انطاكيا . وفي انطاكيا محلة تعرف بالزط .. وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل الى انطاكيا قوما من الزط (من السند) ممن حمله محمد بن القاسم الى الحجاج ، فبعث بهم الحجاج الى الشام » .

انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٦ .

ويضيف البلاذري قائلا : « وان اهل الجرجومة كانوا يغيرون في ايام عبد الملك بن مروان على قرى انطاكيا والعمق ، واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف واللاحق ، ومن قدروا عليه في اواخر العسكر ، وغالوا في المسلمين . فأمر عبد الملك بفرض لقوم من اهـــل انطاكيا وابنائها وجعلوا مسالح ، واردفت بهم عساكر الصوائف ليؤدوا الجراجمة عن اواخرها ، فسموا الروادیف ، واجرى على كل امرء منهم ثمانية دنانير » .

انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٦ .

ابن عبد الملك ، فأناخ عليهم في خلق من الخلق فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ، ويجري على كل امرء منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيلاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مدان من قمح ، وقسطان من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ولا أحد من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية ، وعلى أن لا يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ... وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين . وأخرب مدينتهم وأنزلهم فأسكنهم جبل الحوار وسنح اللولون وعمق تيزن ، وصار بعضهم إلى حمص . ونزل بطريق الجرجومة في جماعة معه إنطاكية ، ثم هرب إلى بلاد الروم » [٢٢]

والواقع أن مسلمة بن عبد الملك لم يكتف بدك حصون الروم وقلاعهم وفتح مدنهم ، وإيقاف هجماتهم داخل الحدود العربية الإسلامية ، وإنما وجه حملاته العسكرية نحو جبهة أخرى كانت تهدد في الوقت نفسه حدود العرب والإسلام ، تلك هي الجبهة الشمالية الشرقية باتجاه أذربيجان وبلاد الخزر ..

ففي عام ٨٩ هـ / ٧٠٨ م توجه مسلمة غازياً حتى بلغ الباب [٢٣]

---

(٢٢) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢٣) الباب : ميناء كبير على بحر الخزر ، وهي مدينة كبيرة محصنة انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٩ .
ويعود بناء مدينة الباب والابواب الى انو شروان كسرى بن قباذ . وانما سميت ابوابا لانها بنيت على طريق الجبل ..
انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٩٨ .

من ناحية اذربيجان ، وفتح حصوناً ومدناً هناك [٢٤] ويشير البلاذري إلى الخطة التي وضعها مسلمة في فتح مدينة الباب وقلعتها الحصينة فيقول « صمد مسلمة لمدينة الباب ففتحها ، وكان في قلعتها ألف أهل بيت من الخزر ، فحاصرهم ورماهم بالحجارة ، ثم بحديد إتخذه على هيئة الحجارة ، فلم ينتفع بذلك ، فعمد إلى العين التي كان أنوشروان أجرى منها الماء إلى صهريجهم ، فذبح البقر والغنم ، وألقى فيه الفرث والحلتيت ، فلم يمكث ماؤهم إلا ليلة حتى دود وأنتن وفسد . فلما جن عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة » [٢٥] ..

وفي سنة ٩٠ ﻫ / ٧٠٩ م غزا مسلمة سورية [٢٦] ، وفتح الحصون الخمسة التي فيها [٢٧] ...

---

(٢٤) انظر : الطبرى ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٤٤١ .

(٢٥) وجريا على سياسة مسلمة الاصلاحية في الفتح والغزو ، فانه لم يترك مدينة الباب دون بناء وتعمير . فاصلح العين التي فيها ، صهريج المدينة ، ورم المدينة وشرفها وبنى فيها هريا للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح،واسكن،واسكن فيها اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء.

انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٩ .

(٢٦) يتكرر هنا اسم «سورية» ويبدو انها وحصونها تقع في منطقة من ارض الروم جنوب اسيا الصغرى وشمال الشام ، وكانت تابعة للروم حتى غزاها العرب زمن الوليد بن عبد الملك بقيادة اخيه مسلمة .

انظر : د . سيدة اسماعيل كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص ١٦٥ .

(٢٧) انظر : الطبري ، جـ٨ ، الحسينية ، ص ٦٨ وخليفة بن خياط ، جـ١ ، ص ٣٠٦ ويبدو ان الحصون الخمسة تقع في نواحي «سيس» من اسيا الصغرى .

انظر : فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ٨٢ .

المرحلة الثانية : ٩١ هـ ـ ٩٨ هـ / ٧٠٩ م ـ ٧١٦ م

وهي المرحلة التي عين فيها مسلمة بن عبد الملك والياً على الجزيرة وأرمينيا واذربيجان ، حيث عزل الوليد بن عبد الملك محمد بن مروان في ٩١ هـ / ٧٠٩ م عن هذه الأقاليم وولاها مسلمة . وبهذا أصبح مسلمة يجمع في يديه بين السلطتين الإدارية والعسكرية على الجبهتين الشمالية والشمالية الشرقية ...

تابع مسلمة بن عبد الملك غزواته العسكرية طوال هذه الفترة الزمنية ... وقد تركزت حملاته في عام ٩١ هـ / ٧٠٩ على الجبهة الشمالية الشرقية في نواحي اذربيجان ، وفي ما وراء مدينة الباب ، حيث أخضع بعض العناصر التركية في هذه المناطق .. « ففي هذه السنة غزا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من نحو اذربيجان ، ففتح مدائن وحصوناً ، ودان له من وراء الباب » (٢٨) .

ويبدو أن الوليد بن عبد الملك أخذ يسهم بعض أولاده في الغزو مع مسلمة ، تمشياً مع خطة والده الذي كان يعنى عناية كبيرة بتنشأة أولاده على حب الفروسية والقتال وقيادة الجيوش .. فقد برز في هذا العام إسم عبد العزيز بن الوليد ، حيث غزا الصائفة ، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك (٢٩) .

وفي عام ٩٢ هـ / ٧١٠ م : برز أيضاً إسم عمر بن الوليد الذي

---

(٢٨) انظر الطبري ، جـ٦ ، دار المعارف ، ٤٥٤ .
وخليفة بن خياط ، جـ١ ص ٣٠٧ .
(٢٩) انظر الطبري ، جـ٦ ، دار المعارف ، ص ٤٥٤ .

غزا مع مسلمة أرض الروم ، ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سوسنة إلى جرف أرض الروم [٣٠] .

وفي سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م توغل مسلمة في عمق أرض الروم ، وفتح حصوناً ومدناً عديدة ،فقد فتح مسلمة فيها : ماسه ،وحصن الحديد وغزالة ، وبرجمة من ناحية ماطية [٣١] ...

وفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح سندره .. وفي هذا العام أيضاً أقام مسلمة الحج إلى الديار المقدسة [٣٢] .

ويبدو أن مدينة الباب التي سبق الإشارة إلى فتحها في عام ٨٩ هـ / ٧٠٨ [٣٣] ، قد انتفضت في عام ٩٥ هـ / ٧١٣ ، فعاد مسلمة إلى فتحها في هذا العام ، وهدم المدينة وأخربها ، ثم بناها بعد تسع سنين [٣٤] ..

---

(٣٠) انظر نفسه ، جـ٦ ، ص ٤٦٨ ·

ويبدو ان مدينة سوسنة كانت من المدن الرومية المهمة ، وان جلاء اهلها الى جرف ارض الروم ، يعني ان مسلمه اخذ يتقدم بجيوشه باتجاه ساحل الخليج الذي يؤدي الى مدينة القسطنطينية ·

(٣١) انظر : الطبري ، جـ٦ ، ص ٤٦٩ ·

(٣٢) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣١١ ·

(٣٣) راجع اعلا هوامش : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ·

(٣٤) وكان فتح مدينة الباب في عام ٩٥هـ/٧١٣ م قد تم بغير الطريقة او الخطة التي فتحت فيها في عام ٨٩ هـ/٧٠٨ م · وذلك « ان مسلمة عندما نزل على مدينة الباب » اتاه رجل فساله ان يؤمنه على نفسه واهل بيته ويدله على عورة المدينة ، فاعطاه ذلك ،فدخل المسلمون المدينة ، ونذرهم العدو،فاقتتلوا قتالا شديدا،فلما كان السحر كبر شيخ من المسلمون،واظهر الله المسلمين ·

وفي سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ : توفي الوليد بن عبد الملك ، وجاء إلى الخلافة سليمان بن عبد الملك ، فأقر أخاه مسلمة على ولاية هـذه الأقاليم وعلى قيادة الجيوش العربية الإسلامية ..

وفي هذه السنة غزا مسلمة الصائفة ـ بأمر من الخليفة سليمان ـ وفتح حصناً يقال له حصن عوف [٣٥] .

وفي سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م : غزا مسلمة أرض الروم ، ففتـح الحصن الذي كان فتحه الوضاح [٣٦] ـ صاحب الوضاحية [٣٧] .

ويضيف ابن خياط فتوحات أخرى تمت لمسلمة في هذا العام حيث يذكر : « غزا مسلمة برجمة ، والحصن الذي افتتحـه الوضـاح ، وهو حصن ابن عوف ، وافتتح حصن الحديد وسردوسل بضواحي الروم » [٣٨] ...

انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣١١ ٠

ويبدو ان مسلمة فتح في هذا العام ـ وهو في طريقه الى مدينة الباب عدة مدن منها سروان ، وجمران ، والبران ومدينة صول حتى اتى الباب ، وهي من نواحي سجستان واذربيجان ٠

انظر : نفسه ، جـ١ ، ص ٣١١ ٠

(٣٥) انظر : الطبري ، جـ٦ ، ص ٥٢٢ ٠

وخليفة بن خياط ، جـ١ ، ٣١٨ ٠

(٣٦) الوضاح : وكان احد قواد مسلمة في واقعة عقر ، والذي انـاط اليه بحرق الجسر في هذه الواقعة ٠

راجع اعلا هامش (٨٠) في واقعة عقر من هذا الفصل ٠

(٣٧) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٢٣ ٠

(٣٨) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ٠

وأخيراً – وليس آخراً ، نستطيع أن ندرك من هذا العرض العسكري الشامل الذي تمثل في غزوات مسلمة وحروبه السنوية على الجبهتين الشمالية والشمالية الشرقية خلال الفترة الزمنية ٨٦ ه – ٩٧ ه/ ٧٠٥ م – ٧١٥ م ، أي بما يساوي العقد من الزمن – أقول نستطيع أن ندرك أن مسلمة قد ثبت أقدام الجيوش العربية الإسلامية في هذه الأقاليم ، وأوقف الأخطار المحدقة على حدود الدولة العربية الإسلامية وخاصة على الجبهة الرومية – البيزنطية ...

فلا غروة والحالة هذه أن يرى الخليفة سليمان بن عبد الملك في أخيه مسلمة أبرز قائد يرشحه لتولي القيادة العامة على الجيوش العربية الإسلامية لفتح أكبر مدينة عرفت في ذلك الوقت – وهي مدينة القسطنطينية قلعة الروم الحصينة وعاصمتهم ومفتاح الشرق إلى الغرب..

وبهذا كانت حملة مسلمة الكبرى على هذه المدينة في عام ٩٨ ه ٩٩ ه/ ٧١٦ م – ٧١٧ م ، وحصاره العظيم لها والذي دام عاماً كاملا .. والذي دعا بنا إلى أن نخصص لها دراسة مستقلة كما أشرت ..

المرحلة الثالثة : ٩٨هـ ـ ٩٩ هـ / ٧١٦ م ـ ٧١٧ م :

وتتناول هذه المرحلة ، حصار مسلمة لمدينة القسطنطينية والتي سنخصص لها دراسة مستقلة .

المرحلة الرابعة : ١٠٧ هـ ـ ١١٤ هـ / ٧٢٦ م ـ ٧٣٣ م :

وهي الفترة التي عين فيها مسلمة والياً على أرمينيا وأذربيجان في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك ..

اولا ـ استهلال :

عاد مسلمة بن عبد الملك إلى دمشق ، بعد أن فك الحصار عن مدينة القسطنطينية عام ٩٩ هـ/ ٧١٧ م ، بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة في هذا العام ... وبقي مسلمة ملازماً لهذا الخليفة الورع حتى وفاته في عام ١٠١ هـ/ ٧١٩ م .

وعندما جاء يزيد بن عبد الملك إلى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مباشرة ، بقي مسلمة ـ أيضاً ـ ملازماً ليزيد حتى ساعة وفاته في عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٤م[١] حيث تولى هشام بن عبد الملك الخلافة في هذاالعام .

---

(١) لقد استعرضت مواقف مسلمة من كلمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك من خلال الفصل الثالث ..

كما اوضحت دور مسلمة العسكري في عهد هذين الخليفتين خاصة قضاءه على حركة الخوارج وثورة يزيد بن المهلب في مطلع هذا الفصل ..

وفي عام ١٠٧ هـ/ ٧٢٦ م عين هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة والياً على أرمينيا واذربيجان خلفاً للجراح بن عبد الله الحكمي ...

ويعني هذا أن مسلمة بن عبد الملك بقي بعيداً أو غائباً عن مجريات الأحداث العسكرية على الجبهتين الشمالية والشمالية الشرقية ما يقرب من الثماني سنوات ...

وعليه فقد رأيت ــ قبل أن أستعرض حروب مسلمة وغزواته على هاتين الجبهتين في الفترة ما بين ١٠٧ هـ ــ ١١٤ هـ/ ٧٢٦ م ــ ٧٣٣ م إن أبرز بعض الأمور السياسية والتغييرات العسكرية التي طرأت خلال فترة غياب مسلمة عن هاتين الجبهتين في الفترة ما بين ٩٩ هـ ــ ١٠٧ هـ/ ٧١٧ م ــ ٧٢٦ م ، والتي يمكن توضيحها بالنقاط الآتية : ــ

١ ــ تميزت سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية بطابع الدفاع عن الحدود الإسلامية والحفاظ عليها أكثر من طابع الفتح والتوسع والغزو إلا إذا كان في ذلك جهاد في سبيل الإسلام ..

٢ ــ ويعلل البعض أن سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية هذه قد شجعت الأقوام المحاذية للحدود الإسلامية على الساحتين الشمالية والشمالية الشرقية ــ من روم ، وترك وخزر ــ على الثورات والإضطرابات وشن الغارات على الحدود الإسلامية ...

٣ ــ شجع ــ فك الحصار عن القسطنطينية ــ الروم على إصلاح أوضاعهم الداخلية وخاصة العسكرية ، وتقوية بنودهم العسكرية وشن الغارات على الحدود الإسلامية تحت قيادة ليو الثالث الأيسوري الذي قاد الروم ضد مسلمة في حصار القسطنطينية .

٤ – وعليه فإن العلاقات الحربية الأموية – البيزنطية وكذلك في أرمينيا واذربيجان قد عادت وأخذت طابع المد والجزر كما كان عليه الحال قبل وخلال خلافة عبد الملك بن مروان [٢] .

---

(٢) ولعل في الامثلة الاتية خير توضيح لذلك والتي وردت احداثها في الطبري ، وسوف نكتفي بذكر السنة الهجرية فقط في الفترة ما بين ٩٩ هـ – ١٠٦ هـ ٠

١ – في سنة ٩٩ هـ : اغارت الترك على اذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعة ، ونالوا منهم ٠ فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فقتل اولئك الترك ٠
الطبري ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ، ص ١٣٠ ٠

٢ – في سنة ١٠٠ هـ اغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من اهل حمص الصائفة ٠٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ٠

٣ – في سنة ١٠٣ هـ : – اغارت الترك على اللان ٠٠٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٦٨ ٠

٤ – في سنة ١٠٥ هـ : وفيها غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون من وراء يلنجر ٠٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٧٨ ٠

٥ – في سنة ١٠٥ هـ : وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك ارض الروم، فبعث سرية في نحو من الف مقاتل ، فاصيبوا فيما ذكر جميعا ٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٧٨ ٠٠

٦ – في سنة ١٠٥ هـ – غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئا فقفل٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٧٨ ٠

٧ – في سنة ١٠٦ هـ : غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فصالح اهلها وادوا الجزية ٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٨٣ ٠٠

٥ ـ لقد ترك غياب مسلمة عن هاتين الجبهتين خلال الثماني سنوات فراغاً عسكرياً كبيراً ، رغم أن هذا الفراغ كان يشغله قواد عسكريون ، لكنهم كانوا أقل كفاءة ومقدرة عسكرية من مسلمة . هذا إلى فقدان القيادة العسكرية العامة على هاتين الجبهتين ، حيث كان القواد العسكريون شبه مستقلين ، أو مستقلين فعلا ، فقد كان كل واحد منهم يغزو ويغزى في ضوء ظروف منطقته .. وكان بعض هؤلاء القواد يبعثون من قبل الخليفة مباشرة ...

وقد جابه مسلمة هذه المشكلة ، وعاناها أثناء عودته وتعيينه والياً على أرمينيا واذربيجان في عام ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م .

٦ ـ ويبدو أن تعيين مسلمة على أرمينيا واذربيجان في عام ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م ، كان يعني أن حدود صلاحياته الإدارية والعسكرية قد حددت ضمن نواحي هذين الإقليمين ، وأن الجبهة الشمالية الرومية البيزنطية إدارياً وعسكرياً ـ كانت خارج نطاق صلاحياته هذه(**) .

لذا فإننا سوف نرى أن غزوات مسلمة وحروبه ـ بعد إعادة تعيينه في ١٠٧ / ٧٢٦ م قد تركزت على الجبهة الشمالية الشرقية (أرمينيا واذربيجان والخزر) أكثر مما كانت على الجبهة الشمالية الرومية البيزنطية ، بل تكاد تكون معدومة فيها ..

★★ وهذا عكس ما سبق ان ذكرنا ، من حروب مسلمة وغزواته في المرحلتين الاولى والثانية اي في الفترة ما بين ٨٦ ـ ٩٨ هـ/٧٠٥ م ـ ٧١٦م. حيث كانت الجبهتين الشمالية والشمالية الشرقية تحت امرته وقيادته العسكرية ..

٧ ـ هذا إلى أن تغيراً ـ كما يظهر ـ قد حدث بخصوص ما سبق أن أشرنا إليه في موضوع غزو الصوائف أو الصائفة . وإن هذا التغيير قد تجلى بظهور نوعين من الصوافي هما : الصائفة اليمنى [٣] والصائفة اليسرى [٤] واستقلالية كـل منهما في الغزو والقتال ..

وإن الصائفة اليمنى قد أصبحت داخل حدود صلاحيات مسلمة إدارياً وعسكرياً خلال فترة تعيينه والياً على أرمينيا واذربيجان ما بين ١٠٧ هـ ـ ١١٤ هـ / ٧٢٦ م ـ ٧٣٣ م .

أما الصائفة اليسرى ، فقد برز فيها وغلب عليها معاوية بن هشام ، رغم وجود بعض القواد العسكريين إلى جانبه [٥] ...

---

(٣) الصائفة اليمني : اصبحت تعني الغزو ومن نحو الثغور الجزرية باتجاه نواحي ارمينيا واذربيجان الوخزر ٠

(٤) الصائفة السري : اصبحت تعني الغزو من نحو الثغور الشامية باتجاه ارض الروم ٠٠

(٥) ولعل في الشواهد الاتية على استقلالية الصائفة اليسرى ، وتغلب معاوية بن هشام على القيادة العسكرية فيها خير توضيح لذلك ، والتي وردت احداثها في الطبري في الفترة ما بين ١٠٧ هـ ـ ١١١ هـ : ـ

١ ـ ـ ١٠٧ هـ : غزا الصائفة فيها معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشام ميمون بن مهران ، فقطع البحر حتى عبر الى قبرس ٠

الطبري ، جـ ٨ ، الطبعة الحسينية ، ص ١٨٨ ٠

٢ ـ ١٠٨ هـ ـ غزا ابراهيم بن هشام ، ففتح حصنا من حصون الروم٠
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٩٠ ٠ =

ثانيا : دور مسلمة العسكري : ١٠٧ هـ ـ ١١٤ هـ / ٧٢٦ م ـ ٧٣٣ م.

عين هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة والياً على أرمينيا واذربيجان في عام ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م خلفاً للجراح بن عبدالله الحكمي . وكان مسلمة ينيب عنه من يقوم بالمهام الإدارية [٦] كي يتفرغ هو لقيادة العمليات العسكرية التي تركزت على الصائفة اليمنى ، وهي كما قلنا ــ الغزو من نحو الثغور الجزرية باتجاه أرمينيا واذربيجان وبلاد الخزر ...

وسنعرض لغزوات مسلمة وحروبه في هذه الجبهة وفقاً للتسلسل الزمني ...

ففي سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م غزا مسلمة فأدرب من ملطية ، فأناخ

= ٣ ــ ١٠٩ هـ : غزوة معاوية بن هشام ارض الروم،ففتح حصنا بها يقال له طيبة ، واصيب معه قوم من اهل انطاكية .
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٩١ .
٤ ــ ١١٠ هـ : غزا معاوية بن هشام ارض الروم ، ففتح صمالة .
نفسه ، جـ ٨ ، ص ١٩٦ .
٥ ــ ١١١ هـ : غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وغزوة سعيد ابن هشام الصائفة اليمنى حتى اتى قيسارية .
نفسه ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .
وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك مسلمة ، وولى الجراح بن عبد الله الحكمي على ارمينيا .
نفسه ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٦) اناب مسلمة عنه الحارث بن عمرو الطائي ..
انظر : العيون والحدائق ، ص ٩٠ . وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥، ص ١٣٧ .

على قيساريه [٧] مما يلي الجزيرة فافتتحها عنوة ، وذلك لأربع خلون من شهر رمضان سنة سبع ومائة [٨] .

وفي سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٧ م غزا مسامة الصائفة اليمنى ، وعاصم ابن عبد الله بن زيد الهلالي الصائفة اليسرى .. وفيها أيضاً كان فـتح مسلمة قيسارية كما يشير إلى ذلك الطبري [٩] وفي سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٨ م غزا مسلمة ، وسرح الجيوش في اذربيجان فشتوا فيها [١٠]

وفي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ م : غزا مسلمة بلاد الخزر ، وهي الغزاة التي تسمى غزاة الطين [١١] .

وفي هذه السنة أيضاً كانت غزوة مسلمة الترك . سار إليهم نحو باب اللان [١٢] ، حتى لقي حاقان (لقب ملك الترك) في جموعه ،

---

(٧) قيسارية : مدينة كبيرة بين ملطية وكماخ مما يلي الجزيرة ٠

(٨) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ٠ والعيون والحدائق ، ص ٨٩ ٠

(٩) انظر : الطبري ، جـ ٧ ، دار المعارف ، ص ٤٣ ٠

(١٠) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٢ ٠

(١١) انظر : خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ ٠
ويبدو انها سميت « بغزاة الطين » بسبب هطول امطار غزيرة حولت ساحة المعركة الى وحل وطين ٠٠

(١٢) وهي مملكة باب الـــلان ، وفيها قلعة منيعة يصفها المسعودي بقوله : « احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة ، وقـد ذكرتها الفرس فـــي اشعارها ٠٠ » ويضيف المسعودي قائلا : وكان مسلمة بـــن عبد الملك حين وصل الى هذا الصقع ووطىء اهله،اسكن في هذه القلعة اناسا من العرب =

فاقتلوا قريباً من شهر ، وأصابهم مطر شديد ، فهزم الله خاقان ، فانصرف ، فرجع مسلمة ، فسلك على مسجد ذي القرنين .... [١٣]
هذه رواية الطبري ..

أما رواية خليفة بن خياط فتشير إلى أن مسلمة قصد في هذه السنة إلى تلميس فلقي طاغية الخزر في جمع كثير قريباً من الباب ، فاقتتلوا أياماً كثيرة ، ثم هزمهم الله ، وذلك يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة عشر ومائة ، وإن مسلمة قفل من باب اللان فلقيته الخزر ، فناوشوه حتى حجز الليل بينهم وقفل مسلمة سالماً ، وكان قتال مسلمة إياهم نحو من شهر في مطر شديد ، ثم هزمهم الله » [١٤]

بقي مسلمة بن عبد الملك والياً على أرمينيا واذربيجان حتى عام ١١١ هـ / ٧٣٠ م ، حيث عزله هشام بن عبد الملك ، وولى مكانه

= الى هذه الغاية،يحرسون هذا الموضع،وربما يحمل اليهم الرزق واقوات من البر من ثغر تفليس ، وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة ايام » . ويقول المسعودي ايضا : « ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكفار ان يجتازوا هذا الموضع ، لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق، والقنطرة والوادي » .

انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(١٣) انظر : الطبري ، ج ٧ ، ص ٥٤ .

(١٤) انظر : خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

مهما يكن من وجود خلاف بين هاتين الروايتين ، غير انهما تتفقان في ان مسلمة قد انتصر ، سواء كان ذلك على خاقان الترك او على طاغية الخزر ، وان المعركة قد وقعت بين مسلمة وبين هؤلاء في الطريق المؤدي الى باب اللان، وان المعركة دامت معهم حوالي الشهر وفي مطر شديد .

الجراح بن عبد الله الحكمي الولاية الثانية .. وليس لدينا ما يشير إلى سبب هذا العزل ، ولكنه بالتأكيد ليس بسبب ضعف في مقـدرة مسلمة العسكرية ، خاصة وأن الخليفة هشام أعاد مسلمة إلى الولاية بعد عام من عزله .

إستمر الجراح الحكمي في قتال الترك حتى عام ١١٢ هـ/ ٧٣١ م حيث التقى معهم قرب أردبيل [١٥] ، وقتل ومعه كثير من المسلمين وتقدم الترك وفتحوا أردبيل [١٦] وبهذا أصبح الوضع العسكـري حرجاً ، خاصة في إقليم اذربيجان ، مما دعا هشام بن عبد الملك إلى أن يعيد مسلمة والياً على أرمينيا واذربيجان [١٧] .

يبدو أن الخزر والترك بصورة خاصة أخذوا يشكلون خطـراً قوياً وتهديداً كبيراً على الحدود الإسلامية بعد مقتل الجراح الحكمي ، وخاصة في أذربيجان ونواحيها ، الذي دعا بمسلمة بن عبد الملك أن يتخذ تدابير عسكرية قوية في القضاء عليهم ، حتى تجاوز بذلك بما هو معتاد عليه بغزو الصائفة إلى غزو الشاتيه ، ، لا يقف أمامه مطر شديد ، وثلوج متراكمة ، ولا شتاء قارص شديد البرد ، وإلى هـذا تشير مصادرنا التاريخية :

---

(١٥) اردبيل : من اكبر المدن في اذربيجان .

(١٦) انظر : الطبري جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٢٠٥ .

(١٧) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .

الطبري جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٢٠٦ ويرجح خليفة بن خياط اعادة مسلمة على ولاية ارمينيا واذربيجان الى سنة ١١٣ هـ خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .

ففي سنة ١١٢ هـ/ ٧٣١ م خرج مسلمة بن عبد الملك بأرض الترك في أهل الشام في شتاء وثلوج ومطر شديد ، فلقي الترك ، فهزمهم حتى جازوا الباب ، وسار في أثرهم ، وخلف الحارث بن عمرو الطائي ليبني الباب ويحصنه ، وسار هو ، وفتح على يديه مدائن وحصون وقتل وسبا ، فحرق أهل الترك أنفسهم بالنار في مدائنهم ... ثم انصرف فأقبلت الترك ، بعد أن رجع الناس وخلفوا الباب وراء ظهورهم ، وهم في قلة ، فرجع إليهم مسلمة ، فقاتلهم وهزمهم ، وأصاب لهم كميناً ، وقتل خاقان ملك الترك ، وانهزم من بقي منهم في الليل [١٨] .

وبهذا وفي سنة ١١٣ هـ/ ٧٣٢ م قام مسلمة بعملية عسكرية واسعة النطاق ، وذلك بتفريق الجيوش في بلاد خاقان ، ففتحت مدائن وحصون على يديه ، ودان لمسلمة من كان وراء جبال البنجر[١٩] وقتل ابن خاقان [٢٠] .

وفي أوج انتصارات مسلمة العسكرية على الترك والخزر ، وبعد أن « فتح عامة البلدان » على حد تعبير اليعقوبي [٢١] ، تبرز أمام مسلمة مشاكل مع بعض القواد العسكريين الذين كانوا معه في جبهة القتال أمثال سعيد بن عمرو الحرشي ومروان بن محمد حيث تنعكس آثارها على الخليفة هشام بن عبد الملك ، فنجده سرعان ما يتخذ قراراً بعزل

---

(١٨) انظر الطبري ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٢٠٦ ، والعيون والحدائق، ص ٩٠ .
وخليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٧ .
(١٩) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر ، خلف باب الابواب .
ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ٢٧٨ .
(٢٠) انظر : الطبري ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٢١٧ .
(٢١) انظر : اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٦١ .

مسلمة عن ولاية أرمينيا واذربيجان ، وتعيين مروان بن محمد خلفاً له في عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م [٢٢] .

وبعد هذا التاريخ لم نعد نسمع عن مسلمة بن عبد الملك شيئاً في مختلف مجالات الحياة الإدارية والسياسية والعسكرية ، حتى وفاته عام ١٢٠ هـ أو ١٢١ هـ / ٧٣٩ م [٢٣] .

---

(٢٢) راجع تفاصيل ذلك من اعلا هامش ٨٦ الى ٩١ من الفصل السادس .

(٢٣) هناك اشارة ترد في كتاب « تاريخ خليفة بن خياط تشير : الى ان مسلمة غزا على الصائفة في سنة احدى وعشرين ومائة وسار معه هشام حتى بلغ ملطية » جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

وهذه الرواية تناقض رواية يذكرها ابن خياط ايضا في مكان آخر من كتابه تشير الى « انه في سنة عشرين ومائة مات مسلمة بن عبد الملك بن مروان يوم الاربعاء في المحرم بالشام » .

انظر : نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ ..

كلمة ختام وتقدير

١ ـ وفاة مسلمة :

يذكر خليفة بن خياط في وفاة مسلمة : أنه في سنة عشرين ومائة مات مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، يوم الأربعاء في المحرم بالشام[1] .

ويشير خليفة بن خياط في مكان آخر من كتابه إلى : « أن مسلمة غزا على الصائفة في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وسار معه هشام حتى بلغ ملطية » [2] ...

ويعني هذا أن مسلمة لم يمت في عام ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م ، وإنما كانت وفاته في عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م .

وينقل ابن حجر العسقلاني قول خليفة بن خياط : « بان مسلمة مات في سنة عشرين ومائة في المحرم » . لكن العسقلاني ينقل ـ في الوقت نفسه ـ عن محمد بن عابد أن « مسلمة مات سنة إحدى وعشرين ومائة » [3] ..

---

(١) خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ٣٦٧ .
(٢) انظر : نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ .
(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ص ١٤٤ .

أما البلاذري في كتابه أنساب الأشراف ، الذي نقلنا عنه تاريخ ولادة مسلمة ومكانها ، يذكر : « أن مسلمة مات بالخابور من حمص سنة إحدى وعشرين ومائة » [٤] .

وعليه فإن رواية البلاذري هي الأدق والأصوب ، خاصة وأنه من المصادر الأولية المتقدمة في تاريخ تأليفها على المصادر المشار اليها .. وأن البلاذري في الوقت نفسه ــ قد حدد تاريخ ولادة مسلمة ومكانها كما أشرنا إلى ذلك في مطلع الفصل الثاني .

يبدو لي أن مسلمة توفي أثر مرض ، أو علة كان يشكو منهـا ، والى هذا يشير الطبري : وكان برملك طبيباً ، فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به » [٥] ..

٢ ــ من اولاد مسلمة :

خاف مسلمة بن عبد الملك من الأولاد :

يزيد بن مسلمة . وابراهيم بن مسلمة ، وقتل هذا الأخير يوم أبي فطرس ، حينما قتل عبد الله بن علي العباسي الأمويين ... [٦]

ومن أولاده : شراحبيل بن مسلمة ، وقد سم هو وابراهـيم

---

(٤) انظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة السابقة ، جـ ١١، ص ١٦٠ .

(٥) انظر : الطبري ، جـ ٦ ، دار المعارف ، ص ٤٢٦ .

(٦) انظر : ابن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ، ص ١٠٣ .

الإمام بحران ، فماتا جميعاً في سجن حران[٧] .

ومن أولاده أيضاً محمد بن مسلمة : وكان من أجمل الناس وأشجعهم ، وشهد مع مروان بن محمد يوم التقى مع عبد الله بن علي العباسي ، وكان صديقاً لعبد الله فأمنه . فلما رأى فعل أهل خراسان في أهل الشام ، حميت نفسه فقال :

ذل الحياة وخزي الممات فكلا أراه شراباً وبيلا
فإن كان لا بد إحداهما فسيرا إلى الموت سيراً جميلا

ثم لحق بمروان فقاتل حتى قتل [٨] ...

٣ ـ قبيلة نسبت نفسها الى مسلمة :

ومن آثار مسلمة بن عبد الملك ، ظهور قبيلة في مصر نسبت نفسها إليه ، أطلق عليها « بنو مسلمة » .. وإلى هذا يشير القلقشندي حيث يقول : « بنو مسلمة ، بطن من بني أمية ، من قريش ، من العدنانية ، وهم بنو مسلمة بن عبد الملك ، مساكنهم مع قومهم بني أمية بتنده وما حولها من بلاد الأشمونيين » [٩] .

---

(٧) انظر : نفسه ، ص ١٠٣ ٠

ومن المعروف ان ابراهيم الامام قد تولى امامة الدعوة العباسية بعد وفاة والده محمد علي العباس عام ١٢٥ هـ في الحميمة ٠ وقد القى القبض على ابراهيم الامام في عام ١٣١ هـ من قبل الامويين ، واقتيد الى سجن حران حيث مات به مسموما كما يروى ٠

اما مدى علاقة شراحبيل بن مسلمة ووفاته مسموما مع ابراهيم الامام فلم نعثر على تفصيل في ذلك ٠

(٨) انظر : نفسه ، ص ١٠٣ ٠

(٩) انظر : القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب،ص٤٢١٠
وانظر : الزركلي ـ خير الدين ، كتاب الاعلام ، ص ١٢٢ ٠

وأخيراً وليس آخراً : أرجو أن أكون قد أوفيت مسلمة بن عبد الملك حقه ومنزلته في التاريخ العربي الإسلامي ، وأبرزت أهمية هذا الرجل الفذ في فترة ظهر فيها تعتبر من أوج فترات التاريخ الأموي ، حيث بقي مغموراً ومطموسة معالمه وآثاره بين كتب التاريخ العربي الإسلامي الحديث ، حتى تيسر لنا أن نظهره إلى الوجود بهذا السفر الدقيق والمركز والمفصل عن حياته وآثاره ...

وسوف يكون لنا عودة إليه – إنشاء الله – في دراستنا المفصلة القادمة في حصاره الكبير لمدينة القسطنطينية ، معقل بيزنطة وعاصمتها وجسرها الواصل بين الشرق والغرب ..

المصادر الاولية

- ابن الأثير – الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ابن الجوزي – سيرة عمر بن عبد العزيز ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ .
- ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، حيدر آباد ، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م
- ابن العسقلاني – تهذيب التهذيب ، حيدر آباد ، ١٣٢٧ هـ .
- ابن حزم الأندلسي – جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١١١٩ هـ
- ابن خرداذبة – المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩ .
- ابن خلكان – وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس .
- ابن سعد – الطبقات الكبرى ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ابن الطقطقي – الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- ابن الحكم – سيرة عمر بن عبد العزيز .
- ابن عبد ربه – كتاب العقد الفريد ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ابن العبري – تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٥٨ .
- ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .
- ابن قتيبة الدينوري – كتاب المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ـ ابن قتيبة الدينوري ـ عيون الأخبار ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

ـ أبو حيان التوحيدي ـ كتاب الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح أحمد أمين ، بيروت ، بلا .

ـ أبو حيان التوحيدي ـ البصائر والذخائر ، تحقيق د . إبراهيم الكيلاني ، دمشق ، بلا الأصفهاني ـ الأغاني ، بيروت، ١٩٥٩ .

ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف ، مخطوطة ، بعناية غريفزولد ، ج ١١ ١٨٨٣ .

ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٩

ـ تاريخ الخلفاء ـ مؤلف مجهول ، مخطوطة ، نشرغريازينوبيح كلية الآداب ، تحت رقم ت . ٢٢٤ .

ـ تقي الدين الفاسي المكي ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ـ الجاحظ ـ البيان والتبيين ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

ـ الجاحظ ـ كتاب الحيوان ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

ـ خليفة بن خياط ـ تحقيق أكرم ضياء العمري ، النجف ، ١٩٦٧ .

ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الحسينية .

ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دار المعارف مصر ١٩٦٧ .

ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، النجف ١٩٧٢ .

ـ العيون والحدائق ـ مؤلف مجهول ، ليدن ، ١٨٦٩ .

– المبرد – الكامل في اللغة والأدب ، القاهرة ، دار النهضة ، بلا .

– مجير الدين الحنبلي – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .

– المرصفي – سيد علي – كتاب رغبة الأمل من كتاب الكامـــل ، مصر ١٩٢٨ .

– المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، ١٩٦٥ .

– المسعودي – التنبيه والإشراف – القاهرة ، ١٩٣٨ .

– ياقوت ، معجم البلدان .

– يحي بن آدم – كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .

– اليعقوبي – تاريخ ، النجف ، ١٩٦٤ .

– اليعقوبي – تاريخ ، ليدن ، ١٨٨٢ .



المراجـع الثانويـــة

– إبراهيم أحمد العدوي – الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ، ١٩٥٣

– بلياييف ، ى . أ . – العرب والإسلام والخلافة العربية ، ترجمة د . أنيس فريحة ، بيروت ، ١٩٧٣ .

– الزركلي – خير الدين – كتاب الأعلام ، بيروت ، ١٩٥٤ .

– حتي – فيليب – تاريخ العرب المطول ، بيروت ١٩٦٢ .

– سيده إسماعيل كاشف – الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ، بلا

– صالح أحمد العلي – التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري . بيروت ١٩٦٩ .

– صلاح الدين أمين – فتح العرب أرمينية – رسالة ماجستير عـلى الآلة الكاتبة ، شباط ١٩٧٠ .

– عبد الأمير دكس – الخلافة الأموية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

– عبد العزيز الدوري – النظم الإسلامية ، بغداد ، ١٩٥٠ .

– عبد المجيد محمد صالح الكبيسي – عصر هشام بن عبد الملك ، بغداد ١٩٧٥ .

- عبد القادر المعاضيدي—واسط في العصر الأموي،ط ١،بغداد ١٩٧٦.
- محمد أبو النصر – عبد الملك بن مروان ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- عواد مجيد الأعظمي – الزراعة والإصلاح الزراعي في صدر الإسلام والخلافة الأموية ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- عواد مجيد الأعظمي – معالم التراث العربي والإسلامي في فلسطين بغداد ١٩٧٥ .
- فان فلوتن – السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات القاهرة ، ١٩٣٤
- فتحي عثمان – الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتصال الحضاري ، ج ٢ ، القاهرة ، بلا .
- فلهاوزن – تاريخ الدولة العربية ، ترجمة أبوريده ، القاهرة ١٩٦٨
- لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، بغداد ١٩٥٤ .
- محمد ضياء الدين الرئيس – عبد الملك بن مروان والدولة الأموية . القاهرة ، ١٩٦٩ .
- نافع توفيق العبود – آل المهلب بن أبي صفرة ، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة ، ١٩٧٦ .
- دائرة المعارف الإسلامية –
- مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الثامن والعشرون ، ١٩٧٧ .

